

لا يوم كيومك يا أبا عبد الله

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الثانية - العدد الخامس - محرم ١٤٢٧ هـ - فبراير ٢٠٠٦ م

٥

اقرأ في هذا المصعد

- ◆ حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)
- ◆ أحكام التربة الحسينية
- ◆ التطور والإبداع بين السلب والإيجاب
- ◆ الحكمة العاطفية في مدرسة آل البيت (عليهم السلام)
- ◆ أجمل زينة للمرأة العفيفة
- ◆ في ذكرى الشهادة

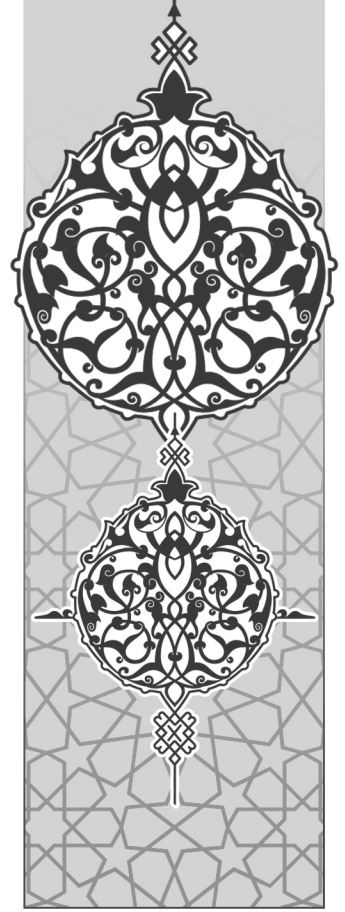
Resalat Alqalam

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية



■ المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاق

■ رئيس التحرير:
علي أحمد الكربابادي

■ مدير التحرير:
علي أحمد الجفيري

■ هيئة التحرير:
فاضل عبد الجليل الزاكي
جعفر عبد المهدي شهاب
سعيد حسن المادح



| | |
|-----|---|
| ٣ | هيات منا الذلة |
| | عاشوراء ملحمة الوعي الحسيني والعفاف الزينبي |
| ٤ | حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه) حاوره: غازي عبد الحسن إبراهيم..... |
| | أحكام التربة الحسينية |
| ٢٥ | فاضل عبد الجليل الزاكي..... |
| | الإنسان والمسؤولية |
| ٥٧ | السيد مجيد السيد حمزة العلوي..... |
| | التطور والإبداع بين السلب والإيجاب |
| ٧٢ | حسن عيسى مرزوق..... |
| | الحكمة العاطفية في مدرسة آل البيت(عليهم السلام) |
| ٨٢ | السيد عباس السيد جعفر شبر..... |
| | أجمل زينة للمرأة العفيفة |
| ٩١ | حسين فؤاد المرزوق..... |
| ١٣٥ | ثقافة البكاء / عزيز حسن الخضران..... |
| | حسابات النصر بين الإمام الحسين (ع) و الخواص |
| ١٤٥ | السيد حسن السيد أحمد الغريفي..... |
| | إطلالة على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ١٥٣ | جاسم بدر المطوع..... |
| ١٦٣ | ثورة الحسين الخالدة رد لمقولة: (الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)..... |
| | الحقائق الأربع |
| ١٦٩ | علي أحمد عبد الوهاب الجفيري..... |
| | ردّ الأباطيل عن نهضة الإمام الحسين (ع) |
| ١٨٤ | محمد حسن الكراني..... |
| | في ذكرى الشهادة |
| ١٩٠ | علي أحمد الكريبادي..... |
| | مصارع عشاق |
| ١٩٣ | علي عبد الحسين البُني..... |

هيهات منا الذلة

الحسين صرخة أصمت آذان اليزيديين على مدى التاريخ، وسوف يبقى صداها يتردد ويزلزل عرش كل يزيد، ومهما حاول اليزيديون اليوم أن يحاصروا الحسينيين، فهم والله أبناء عاشوراء، ومهما حاولوا أن يجوعوهم، فهم والله أبناء شهر رمضان.

فكد كيدك يا يزيد، فوهج زينب في عفاف نساءنا لن ينطفئ، وفداء العباس في قبضاتنا يتوقد، وصرخات الرضيع في حناجرنا تدوي، ودم الحسين في عروقنا يجري، وحرارة ثأره في قلوبنا لن تبرد، فهو ثأر الله عز وجل، فهيهات منا الذلة.

رئيس التحرير

عاشوراء

ملامة الوعي الحسيني والعفاف الزيني

حوار مع سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه)

حاوره: غازي عبد الحسن إبراهيم

في زمن تموت فيه الكلمة، وتدفن في مقبرة النفاق، تتجلى كلمة الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم، فتتصاغر حينها كل الكلمات المجانبة للحق والحقيقة. إن كلمة الحق إذا تلجلجت على أطراف اللسان، فحبسها صاحبها في غير رضا الله تعالى، لم يبق له إيمان. هكذا هي كلمة الحق، وهكذا هم رجالها، رحمة من الرحمن على المستضعفين، وغضب من الجبار على المستكبرين. وكم هو جميل أن يقف المرء بكله مع معسكر الحق ورجالته، وها نحن مع واحد من رجالات الحق، وبين يديه..

المراسم الحسينية بين الماضي والحاضر والمستقبل

● الملحة الحسينية، ملحمة قديمة متجددة ضاربة الجذور، تتنوع الأساليب في التعاطي معها بما ينسجم مع محتواها المقدس، عاشها أبناء الماضي ويعيشها أبناء الحاضر، وسوف يعيشها بإذن الله أبناء المستقبل، سماحة الشيطان، حبذا لو نعيش معكم أجواء المراسم العاشورائية قديما، ولو من خلال الكلمات؟ بمعنى آخر.. كيف كانت المراسم الحسينية في تلك الحقبة الزمنية الغابرة؟



■ كان الحس الرسالي، والولاء للدين ولأهل بيت العصمة والرسالة صلوات الله وسلامه عليهم، ولازال بصورة لا تخفى وراء الاهتمام الكبير بالمراسم الحسينية التي تمثل إحياءً لأمر الدين وشعائره المقدسة وإن كانت الشوائب قد تعرض بعض الممارسات هنا وهناك بدرجات مختلفة، الشيء الذي يلازم تجربة الإنسان الضعيف على الأرض، ويجرمه من عطاءات جمّة لروح الإخلاص والعبادة.

والأسلوب المبكر جداً للإحياء قد تمثل في إقامة المآتم الحسيني، ثم انضم إليه تسيير المواكب والعرض المسرحي الشعبي العام في الشوارع والساحات المكشوفة وهو ما كانت تغنى من الفاصلة الزمنية التي أشرتم إليها.

ودخل المآتم الحسيني العرض التاريخي لأحداث الطف، ومآثر أهل البيت عليهم السلام، وذكر أمجادهم وبطولاتهم وتضحياتهم، ومساوىء الظلم التي ووجهوا بها ودخل الذكرى في مآتمها قدر وآخر من الثقافة الإسلامية بصورة عامة.

وذهب الموكب العزائي يركز في الأكثر على التعبير عن المأساة، ولا يغفل البطولة والفداء واستثارة همّة الإيمان، وحس التضحية، ويلتفت إلى معاناة الواقع ومستوى تحدياته، ويعيش بدرجة وأخرى همّ الحاضر، وينتبه إلى بُعد المستقبل. ولا بد أن تختلف الرؤية سعة وضيقاً، والوعي تعمقاً وتسطحاً، والههم والمعاناة شدة وضعفاً، والطرح قدرة وكفاءة باختلاف التطورات العارضة على العقلية، والنفسية، والإرادة، والخبرة وحسب مدى التجربة التي تخوضها المجتمعات والجماعات في مراحلها المتلاحقة.

وبفرض التفاوت، الثقافات المتجددة، والمشاكل المعاشة لكل جيل، ونوع التحديات حيث يكون لذلك كله انعكاسه الخاص على مستوى الطرح في مضمونه، ومستوى أدائه، وأسلوب إخراج، وتوجهات الاهتمام ونوع الإثارة، والقدرة على استشفاف الرؤى والدروس، والتوفر على نوع العطاءات وكمها مما تزخر من ثورة كربلاء والمخزون الهائل لتجربة أهل البيت عليهم السلام على الأرض والمهيئة لتموين مسيرة كل الأجيال بالصالح المفيد البناء.

وكان لعرض الجانب المأساوي لواقعة الطف المترتب على استشهاد أبي عبدالله عليه السلام من هجمة علوج أمية على خيام بنات الرسالة وترويعهن وعملية السبي والأسر والتسيير إلى الكوفة والشام على مستوى التمثيل الحي في الشوارع والساحات حضوره المؤثر في تعميق الشعور بالمأساة وتغلغل روح الإنكار والاستبشاع لفظاظه الحكم الأموي وجاهلية ممارساته الوقحة.

وتحفز الإرادة الإيمانية، والاتسام بالجدية الصارمة، والاتشاح بروح المأساة، وتنبه روح الفداء والعطاء للدين، ووضوح طابع العبادية والإيمان بالثبوت، وتأجج العشق الحار لأهل البيت عليهم السلام، والانصهار بالأجواء الكربلائية، والرحلة القلبية الى أيام الحسين عليه السلام وأرض معركته الباسلة، ومصرع استشهاد الكريم، أمور كلها كانت تلون كل الممارسة وأجواءها وتحكمها، وتملأ كل الزوايا والجنبات وتفرض نفسها عليها، وتنفذ الى الأعماق بقوة، وتغذي الروح، وتصوغ الشخصية، وتشحن الإرادة، وتكافح عوامل الاهتراء والجهل والاستكانة وتنتصر عليها.

● ما هي قراءتكم للمراسم الحسينية في موسم عاشوراء في الوقت

الحاضر بمختلف أساليبها ؟



■ تقدم نوعي في المضامين المطروحة، وأسلوبها الأدائي، ويأتي ذلك نتيجة
حتمية لتقدم المستوى الثقافي، وتراكمات التجربة.

ولكن ربما لوحظ على أجوائنا الحاضرة في مناسباتنا الكريمة تأخراً في
التفاعل الروحي المطلوب، والقدرة على معايشة الحدث بما يتطلبه من انصهار في
أخلاقه وأهدافه ورؤاه ومشاعره وآفاه، والاسترفاد منه بما يتناسب مع قدرته
على العطاء والإثراء الضخم المتواصل.

ولك أن تقول إن تقدم الآليات، والتطور الحاصل في طرق الأداء، وحتى نوع
الطرح سعة وعمقا لا توأبه حركة روحية موازية، وتفاعل في الأعماق بالمستوى
المطلوب والمناسب لحجم ذلك التقدم والتطور.

ويقلل من أهمية التقدم الذي أحرزته التجربة في المضمون والأداء، ويجول في
الكثير بينه وبين تحقيق أهدافه في التربية الناجحة ما تنعكس به الأجواء المضادة
والممارسات المعاشة (العادية)، والسلبيات المصاحبة التي تقتحم بتأثيرها السيء
أجواء المناسبة، وتدخل بدرجة وأخرى في أداء هذا الخطيب أو ذاك الرادود
وذلك المعزي، وتتحول بالقلوب والمشاعر والاهتمامات من خطها الرسالي إلى
خط آخر، وتجعل العملية - ولو أحياناً - عملية استعراض أكثر منها عملية
تربوية هادفة منسجمة مع المدرسة الإيمانية الرسالية الكبرى لكرهلاء الحسين عليه السلام،
وتوجهات قيادتها المعصومة، والصفوة المؤمنة التي استرخصت أرواحها الطاهرة
على طريق الله العظيم بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

● ماذا يراد من المراسم الحسينية في موسم عاشوراء؟ المآثم الحسينية
على مستوى الخطيب والمستمع، والموكب الحسيني على مستوى الرادود

والمعزي، إضافة إلى بقية الفعاليات ؟

■ موسم عاشوراء وما يضمه من فاعليات وأنشطة، وما يشارك في ذلك من عناصر متعددة له أهدافه التي تلتقي على خط واحد من أهداف ثورة الحسين عليه السلام، وتصب في صالحها، وتشارك في تحقيقها. وليس شيء من ذلك إلا ويتخذ قيمته ومدى نجاحه من التقائه بتلك الأهداف، ودوره في تحقيقها.

وعملية الإصلاح والتغيير النافع الشامل الناهض بمستوى الإنسان في هداه وإيمانه، وزكاة نفسه، وسلامة ضميره، ونقاء وجدانه، وصحة إرادته، وسمو قصده، واستقامة حياته، والناهض كذلك بأوضاعه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأمنية وبكل أوضاع وجوده، وقبل ذلك تعيد الإنسان فرداً ومجتمعاً لربه الذي لا يتم خيره إلا به، ولا يهتدي سبيلاً إلى رقيه إلا عن طريقه، هو الهدف الكبير الذي انصبت جهود الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء والمصلحين على تحقيقه، وانتظمت كلها متناسقة متضافرة من أجله.

محرم من أجل أن يقترب فكرنا من فكر أهل البيت عليهم السلام، ورؤيتنا من رؤيتهم، وهدفنا من هدفهم، وطموحنا من طموحهم، وإرادتنا من إرادتهم، ورضانا من رضاهم، وغضبنا من غضبهم، وسرورنا من سرورهم، وحزننا من حزنهم، وشخصيتنا من شخصيتهم، وحياتنا بكل ما فيها من حياتهم، وفي ذلك تقدم على الطريق المرضي لله العلي العظيم.

وإن تقدم الأساليب، وتطور الآليات، والتفنن في الطرح والإخراج لا شيء، وجهد بلا طائل إذا لم يحقق لنا ذلك النوع من الاقتراب، وقد يكون مأساة ومصيبة فادحة، وذلك أن يساعد على السقوط، ويكون عوناً على الإنحراف.

وعلى المستوى الخارجي يمكن القول بأن التقدم المذكور صار ينفذ من جهة،



ويضر من أخرى، ويتحول هدفا في نفسه في بعض الفروض، وذلك واضح من ملاحظة الآثار في الساحة.

إنه ليراد للمراسم الحسينية أن تطرد حركتها الصاعدة من حيث المضمون والأداء على الخط الشرعي المنضبط، وأن تتجه بحركة الفرد داخله وخارجه، وحركة المجتمع في مختلف الصعد إلى الله سبحانه مخلصه له، مهتدية بهداه، غير مفارقة لأحكامه، متأدبة بأدب دينه، مستتنة بسنة نبيه والأئمة المعصومين من آله. وهذه مسؤوليتنا جميعا، وكل الطاقات الصالحة، وكل الفئات الواعية، وكل الشرائح الهادفة الرشيدة تتحمل قسطها المناسب من تحمل هذه المسؤولية، والقيام بعبء هذا المهم.

والصورة القائمة فيها كثير من القصور والتقصير والارتباك والتذبذب والميل والتسيب فلا بد من إصلاح.

● هل بإمكانكم أن تفضلوا وتقدموا نمطاً معيناً من حيث الأساليب

المساهمة في إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام، إضافة لما هو موجود ؟

■ العقلية الجديدة التي تتمتع بالإبداع قادرة إن شاء الله على العطاء في هذا المجال، ويرتقب لها أن تفتق عن جديد جيد مفيد يلتقي مع الرسالية والأصالة، ويتأطر بإطار الحكم الشرعي. ويساعده على ذلك حركة الأساليب المنطلقة في عالم اليوم بسرعة هائلة في كل الساحات في مجالات التوصيل وفي الخطاب بألوانه المتعددة.

ولا يمكن لي أن أدعي القدرة على تقديم الجديد في هذا المضمار، وإذا ذكرت شيئاً فمن باب التنبيه إلى أهمية بعض ما هو موجود على نطاق غير واسع

أو بدون تخطيط كافٍ، وتحفيزاً للقادرين على الإبداع والعطاء الجديد في هذا الحقل.

١) بطاقات للتوزيع اليدوي تزينها كلمات مختارة ومصممة تصميمًا رساليًا واعيا مراعيًا مقتضيات الزمان والمكان يفوق في روعته ورقية تصميمها الفني الأخاذ، وملفتنا إلى الحاجات التربوية القائمة، والفراغات الفكرية والنفسية المعاشة.

٢) كلمات من الوزن المعنوي نفسه، اختصارها لا يصل إلى اختصار سابقتها تلقى صوتيا بفتية وكفاءة بين الحين والآخر لتركيز مفاهيم محددة وقيم مقصودة تغذي الواقع الرسالي، وتعالج بعض الملابس.

٣) المطويات التي تركز على موضوع واحد، أو مفهوم واحد، أو شخصية معينة، أو موقف خاص مربٍ مما تغنى به كربلاء.

٤) المقابلات الإذاعية والتلفزيونية المختارة والواقعة تحت السيطرة التامة والتوجيه والتحكم، وكذلك الندوات المعد لها إعداداً جيداً بحيث لا يؤثر شيء من ذلك على الحشد الجماهيري الهائل في تواجده الحسينية في مجالس التعزية والموكب، ولا يفصل النخبة عن الجمهور، ولا يحول الإحياء إلى مسألة نظرية ترفية.

وفي العشرة يتوقع للإذاعات والتلفزيونات المملوكة لمحرم أن تنشط في التحشيد لإحياء المناسبة وترشيد أساليب الإحياء، وتهذيب الممارسة وتوجيهها، وأن تركز على لفتات مهمة من المحتوى الضخم للمناسبة، وإنارات كاشفة، ودروس سريعة مربية، وتدفع للبذل السخي للمال والوقت والجهد المتنوع لخدمة الإسلام العظيم، والأنشطة المرتبطة بالإحياء لذكرى الإمام الشهيد، وتشارك في

خلق أجواء العزاء، وإبراز مشاعر الأسى والحزن لمصارع الكرام في هاجرة الطف الشاهدة على هدى فئة وضلال أخرى.

وإنه لمهم أن تغذي الإذاعة و التلفزيون روح المشاركة في الحسينية والموكب، وضار أن تستقطب جماهيرهما ليذهب المظهر الجماعي المؤثر لعملية الإحياء وتتحول إلى متابعات فردية باردة وسلبية قابعة في البيوت والزوايا المنكفئة.

وبصدد الحديث عن ضمانات لاستمرارية تطور الأساليب وتقديمها وانضباطها كذلك على خط الحكم الشرعي، وضمان جدوائية أكبر لها وتناسبها مع المكان والزمان ينبغي التنبيه على لزوم اعتماد لجان للإعداد والتحضير الكافي لكل موسم مستجد.

بذلك نضمن حركة الأسلوب المستمرة، والمراجعة الدائمة لمستوى عملية الإحياء، وانضباط مسار التجدد في الصيغ وحمائته من التأثيرات السلبية للربة العارمة في التجديد مما قد ينحرف بعملية الإحياء عن خطها الشرعي الثابت.

الوحدة الإسلامية وموسم عاشوراء

● هناك من يدعي بأن إحياء موسم عاشوراء يكرس الطائفية في المجتمع

الإسلامي، كيف تنظرون إلى هذه الدعوى؟

■ واقع الثورة الحسينية المباركة كان حرباً على من استهدفوا تمزيق الأمة وتفتيت وحدتها، والتقوي بفرقتها للسيطرة الظالمة عليها، وإحياء ذكرى الحسين عليه السلام وهو ينطلق من أهداف ثورته الرسالية المخلصة مجاف بطبيعته وتوجهه وأخلاقته لاستهداف الفرقة بين صفوف الأمة.

وما كانت ثورة كربلاء إلا ضد المنكر والفسق والظلم والطغيان والتخلي عن

قيم الرسالة، وهي بذلك إسلامية عامة شيعية وسنية، وينبغي أن يتوحد وراء لوائها لواء الحق والعدل لجميع المسلمين، وأي تحسس منها ومن إحيائها لا بد أن يتسم بالغرابة، كما أن أي توظيف طائفي لها يعادي بين المسلمين، وينال من وحدتهم، وينسى حقوقهم، غريب كل الغرابة ولا يلتقي مع خط كربلاء وأهدافها الرسالية الواضحة.

فليس شيعياً ولا سنياً أن يتحسس من إحياء ذكرى الشهادة الكريمة لسبط الرسول ﷺ، و ليس شيعياً ولا سنياً أن يستهدف من إحياء هذه الذكرى المؤلمة المشرفة الملهمة القائدة ما يتنافى ووحدته المسلمين.

ولا أرى مسلماً واعياً يقف مع يزيد في خندق واحد مقابل الحسين ﷺ، وأن يساوي بين رجل الهوى ورجل المقدسات.

وأي مسلم يرى من يزيد مصداقاً مقبولاً للحاكم في الإسلام؟! وأي مسلم يشكك في كون الحسين ﷺ مصداقاً حقيقياً للحاكم الذي ارتضاه الله؟! ومن يتمنى للمسلمين اليوم أن يسودهم حكم يزيد، ويسوؤه أن يحكم فيهم الحسين ﷺ؟! وهل أشفق من أبي عبد الله على الأمة، وأضمن لوحدها، وأكثر إدراكاً لإسلامها، وأشد أمانة على دين الله ومصالحة الأمة والإنسان؟!

● كيف تساهم قضية الإمام الحسين ﷺ في تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

■ قضية الإمام الحسين ﷺ كانت من أجل الله الواحد الأحد الذي تؤمن به الأمة، ومن أجل الإسلام الجامع بين الناس على التقوى، ومن أجل وحدة الأمة وسد أبواب الفتنة والفرقة بينها، ومن أجل عزتها وكرامتها، وفي مواجهة واقع الذل والهوان الذي كان يريد يزيد أن يفرضه عليها.



وينبغي لإحيائها أن يلتزم أهدافها وخطها، ولا يعدل عنه أبداً مجتنباً ما قد يتوهم أنه لأمر آخر، ملتزماً بأمانة الحق غير مائل عنه، وصدق الكلمة غير خارج عليه، وصفاء الإخلاص للإسلام غير متساهل فيه، والوفاء للأهل بيت الرسالة غير جائر عنه، محسناً الاختيار فيما يطرح، ويحمله خطابه للآخرين.

كما ينبغي أن لا يستاء مسلم من ذكر أهل بيت الرسالة بما هم أهلهم، والتحدث عن مكانتهم الرفيعة ومنزلتهم الشاخصة التي بوأهم الله إياها، وميزهم بها لخالص عبوديتهم له، وصدق تفانيهم في سبيله.

ومن طرح يستهدف الوحدة لا الفرقة، ويحاول في حق لم شمل الأمة، ومن التفات إلى شأن أهل البيت عليهم السلام، وحققهم على الأمة، وتضحياتهم الهائلة للإسلام، وتركيز القرآن الكريم والسنة المطهرة على منزلتهم الكريمة ربطاً للأمة بهم فكراً وشعوراً وعملاً يستطيع إحياء عاشوراء والذكريات الأخرى للأئمة عليهم السلام أن تسهم إسهاماً كبيراً في تلاحم صفوف الأمة، وبناء وحدتها، والخروج بها من حالة الشتات والتمزق، والنزاع والاحتراب.

ولست تجد في أي كلمة من كلمات أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولا موقف من مواقفه، ولا كلمات ومواقف أصحابه ما يصح أن يكون مادة خلاف بين طلاب الحق وعاشقي الحقيقة، أو سبب فرقة بين المسلمين إذا كانوا لا يصرون فيما يحبون ويكرهون، ويأخذون ويدعون إلا عن الإسلام وهو الحق المبين.

فلنحسن التحدث عن الحسين وقضية الحسين عليه السلام، ولنأخذ من حكمة الحسين وخلق الحسين عليه السلام، ولنتعلم من سعة رؤية الحسين، ونرتفع إلى الأفق العالي الذي يعيشه الحسين عليه السلام، ولنستلهم من شفقة الحسين على الأمة وحرصه

على وحدتها، ثم لنقبل ما ثبت عن الحسين عليه السلام، وما دعا إليه، وعندئذ لن نختلف على إحياء ذكرى شهادته العطرة، وسيقودنا هذا الإحياء في اتجاه وحدتنا وعزتنا وكرامتنا، وفي اتجاه عودة حقيقية للإسلام العظيم.

تساؤلات من الواقع

● **تعدد المآتم والمواكب في المنطقة الواحدة، من وجهة نظركم، مسألة إيجابية أم سلبية؟**

■ لا إفراط ولا تفريط ففي كل منهما ضرر وخسارة، إذا كان التعدد مما تقتضيه تغطية حاجة المنطقة لاتساع دائرة المكان، والكثافة البشرية، وكان خاضعا للتنسيق عند الحاجة، ولا يسبب إرباكات مخرقة، ولا يدخل في التنافس على الدنيا، ولا يبدد الإمكانيات من مختلف أنواعها بما يفقدها أثرها النافع لمجتمعة ويقلل من المردود البناء لعملية الإحياء وعطاءاتها الكريمة، فهو أمر مقبول، ونافع، ولا بد منه في بعض الفروض. ومن فوائده توفير فرص المشاركة النخبوية والجماهيرية المستوعبة التي تحرك كل الطاقات، وتستفيد من الإمكانيات كلها، وتدفع الجميع على طريق الإحياء للمناسبة، تربية لكل المستويات بالانصهار في أجواء الذكرى، ومن خلال البناء والعطاء الهادف.

● **كيف تنظرون إلى مسألة جلب الخطباء والرواديد من خارج البحرين؟**

■ مسألة التبليغ لا تخضع للحدود الجغرافية. وهناك ظروف موضوعية وملايسات خاصة منها ما يرتبط بالقضية المعاشية، ومنها عدم انفتاح الفرص لتبادل ساحاتنا الإيمانية للخطباء والمبلغين مما قد يفرض لونا من التنسيق والموازنة، ومنها أن يتعطل الداخل التبليغي لساحة ما تماماً بسبب تدفق التبليغ

من الخارج، وفي هذا تخلف كبير لهذه الساحة في حركتها الثقافية والتبليغية وركود خطير في المستوى، ومنها أن تنغلق ساحاتنا كل واحدة على نفسها، وتسد الأبواب أمام أي تبليغ من الخارج، وفي هذا شذوذ عن الحالة الإسلامية وقطيعة بين إخوة الإيمان.

ويمكن أن تتم الموازنة بصورة تلقائية وذلك من خلال انفتاح المآتم في أي قطر على خصوص الكفاءات المتميزة من خارج الحد الجغرافي والتي يمكن لها الإسهام في تنوع الطرح وإثراء التجربة، وليس أن تستقبل كفاءات أقل مستوى من أحد أقطارنا لتتعطل كفاءات أجدر في القطر المستضيف.

أما طلب التدخل الرسمي في هذا المجال، ومحاربة الخطابة من خارج الحد الجغرافي، وإقامة الفواصل الحديدية بين جماعات المؤمنين وصفوفهم فما لا يمكن المساعدة عليه.

● ما هو تقييمكم للخطيب والرادود المحليين ؟

■ لا يقاس الحاضر بالماضي في كثير من الأمثلة، وعملية التطوير لا تقف عند حد، والكثير من الخطباء محتاجون إلى جدية أكبر وإلى كفاءات طبيعية متميزة مما قد يكون البعض غير متوفر عليها.

والساحة محتاجة إلى مشاريع تعليم وتربية لإعداد خطيب الحاضر والمستقبل ومنشد الموكب الحسيني إعداداً يرتفع بهما إلى مستوى قضية كربلاء والإسلام عموماً هدفاً عالياً، وقصداً طاهراً، وشعوراً كريماً، علماً جماً نافعاً، وخلقا سامياً، ورشداً كثيراً، وأسلوباً ناجحاً.

إنه يراد للجميع أن يستلهموا أهداف الحسين عليه السلام، ورساليته، وتقواه وورعه،

وإيثاره وتضحيته، وأن يرتقوا إلى آفاقه الإيمانية الواعية الرحبة الرفيعة، وأن تواقع عقولهم ونفوسهم، أبعاد ثورته، الثرة المعطاءة المباركة.

وإذا كان تطوير الأداء، والتقدم بأسلوب الإخراج مطلوباً لكل من الخطيب والمادح فإنما يطلب ذلك من أجل إيصال المضمون الصحيح النافع، لأن المضمون حيث يكون صحيحاً نافعاً مريباً هو المطلوب بالذات، والمنظور إليه في نفسه، وهو الغاية، وفيه القيمة النهائية لعملية الإحياء كلها.

ومن هنا لا يقبل لخطيب أو مادح أن تنتهي به العناية بوظيفة الصوت إلى تضييع المضمون وتغييبه، أو الخروج به عن أهدافه وتشويبهها، واغتيال قدسيته في ميوعة النغم، واستفزازية اللحن لمشاعر الهبوط.

أهداف ثورة الحسين عليه السلام وأخلاقيتها وآفاقها الرسالية إنما تتطلب إيماناً ووعياً، ومعرفة وعلماً، ورجولة وجدية، وعزيمة قوية، واستقامة سلوك، وعفة، وعواطف كريمة، ووجدانيات طاهرة راقية. ولا قيمة لمضمون ولا أداء لا يأخذان بهذا التوجه.

● هل ترجحون طرح الملفات السياسية المحلية، وبعض القضايا الإسلامية، في الموكب والمآتم؟ كالملف الدستوري محلياً، ومحنة الشعب العراقي كقضية إسلامية؟

■ ثورة كربلاء لله، للإسلام، للإنسان، لقضايا الدين والدنيا كما هو الإسلام تماماً. والإسلام وكربلاء لا يغرقان في الدنيا، ولا يهملانها، وينظران للدنيا، ولا يقفان بنظرتيها عندها. المنظور لهما صلاح الإنسان، ورقية وكمالها، وفلاحه. ولا يرقى الإنسان ويكمل وهو أسير الأوضاع المنحرفة، وقليل جداً من لا تحاصر الظروف المنحرفة رحلته إلى الله.

والمنظور الكبير لهما الآخرة، وفساد الدنيا كثيراً ما يفسد على الإنسان آخرته، وثورة كربلاء - وهي دينية بكل صدق وتأكيد - كان مما فجرها الفساد السياسي والأمني والاقتصادي الذي خيف منه على سلامة الدين وإنسانية الإنسان، وكان مما استهدفته الثورة المباركة بوضوح تصحيح تلك الأوضاع، وردّ الأمة إلى المسار الصحيح.

فإصلاح الأوضاع الحياتية لمجتمع الإنسان وفرده واقع لا محالة في دائرة الاهتمام الكبير لحركة الإمام عليه السلام، وإن كان المنظور الأول لها أن يستقيم الإنسان ويكون على طريق النمو الطبيعي لإنسانيته وكماله، وأن تصلح آخرته الذي هو أهم من صلاح دنياه.

وما وقع في دائرة الاهتمام لثورة كربلاء يقع في دائرة الاهتمام لإحيائها مع كون المنظور الأول هناك هو المنظور الأول هنا، فلا بد للإحياء من التفاته للأوضاع الحياتية الحاضرة واستهداف إصلاحها من إنشاده إلى الهدف الرئيس، إصراره على التزام خطى الإسلام، وأخذه بوعي كربلاء، وأخلاقيتها وإخلاصها، وشفقتها على الأمة، وحرصها على وحدتها، وتقديرها الدقيق لأمر التواضع والأولوية، وتقييم الظروف، ومعالجة الشأن بالحكمة حتى في أشد المضائق مع الاستعداد الكامل للبذل والعطاء والإيثار والتضحية والفداء، الشيء الذي لا يعني التعدي والظلم والطيش والتهور.

واختيار الشعارات في كل الأزمان والأماكن وتوقيتها وإخراجها يحتاج إلى نباهة موضوعية، وإدراك سياسي، وتقدير دقيق من نظر ثاقب. ولا يكفي لأن تقول ما تقول أن ما تريد قوله حق، بل علينا مع ذلك أن نتعرف مدى خدمته

للحق أو إضراره به، وأن نتعرف كيف نقول ما فيه خدمة الحق ليخدمه بالفعل.

● هل ترجحون حضور العلماء وطلاب العلوم الدينية في المآتم و الموكب؟

■ العلماء وطلاب العلوم الدينية شريحة من شرائح المجتمع الإسلامي المسؤول بكامله عن الحفاظ على الإسلام، وتعزيز موقعه في الناس وأخذهم به عن رضى وإعجاب. ومن شرف أي فئة وأي فرد أن يوفق لخدمة الإسلام والتمكين له في النفوس والعقول والأفئدة والأرواح والسلوك، وأن تكون حياته لحياة الإسلام وانتشاره. وقد تتفاوت الممارسات التي تسهم في خدمة الإسلام بتفاوت الفئات والأفراد موقعاً وطاقة وخبرة وكفاءة. ولكل دور قد يكون أكثر تناسباً مع قدرته على العطاء في هذا الموقع أو ذاك.

وحضور العلماء وطلاب العلوم الدينية مجالس التعزية لأهل البيت عليهم السلام ومواكب ذكرياتهم الإيمانية العبقة إلى جنب ما يمثله من دور المشاركة يؤدي دوراً في مقام القدوة الحسنة على أن تلتزم ممارسة الموكب مقتضيات الحكم الشرعي وأدب الرسالة.

وقد تقتضي الضرورة أحياناً من العالم أو طالب العلم حضور الحسينية والموكب، وعليه أن يتحمل مسؤوليته بأمانته، وقد تقصيه اشتغالاته الأخرى في صالح الإسلام عن التواجد المكثف أحياناً أخرى. وهناك أبطال في المجتمع لهذا الميدان قد لا يكون بينهم عالم، أو طالب علم. ولحسابات المصلحة الإسلامية، والملايسات الخارجية مقتضاها وحكمها في الموضوع.

● كيف لنا أن نطرح قضية الإمام الحسين عليه السلام للأخر - المذهبي والديني -؟

■ علينا أن نطرح قضية الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة كما هي في صورتها الأصلية المشعة منطلقاً وهدفاً ومضموناً ومنهجاً وأخلاقية وشعاراً، بلا إضافات عندية من وحي الأنا والظرف الضيق والمعاناة الخانقة مما تضغط به على الفكرة والشعور والكلمة والحركة بعيداً عن المديات الممتدة والآفاق الشاسعة الرفيعة للثورة فنسب لأننا نُسب، ونشتم لأننا نُشتم، ونظلم لأننا نُظلم. فكثيراً ما تشوه هذه العنديات الصورة الإسلامية الشفافة لثورة كربلاء ولخط الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتسييء إلى كرامته، وتكدر صفاءه، وتهبط به عن مستواه، وتقزم حجمه، وتغتال روعته، وتطرد عنه الناس وإن كانوا من الباحثين عن الحقيقة.

مذهبياً من الظلم الفاحش أن توضع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، في قفص بعنوان أنها مذهبية أي لا تمثل إلا اتجاهاً خاصاً في الإسلام من بين اتجاهات متعددة له تقف على صعيد واحد، وينظر إليها بقيمة واحدة إن لم يكن هذا الاتجاه أقل قيمة أو بدون قيمة إسلامية على الإطلاق.

إنه ظلم فاحش لأن المسلمين ليس لأحد منهم أن يحتل إسلاماً آخر يرضاه الله، ولا يفهمه الحسين عليه السلام، أو يفهمه ولا يأخذ به، والحسين من أهل آية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودة، وحديث الثقلين، وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة وسفينة النجاة ومصباح الهدى، والحسين هو الإمام القدوة في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام أجل من أن يتهم في دينه فهماً وعلماً وتقوى وورعاً وعملاً.

نعم لا يلتقي كل المسلمين مع التشيع في كل أفكاره وأحكامه^(١)، ولكن لا يسهل على مسلم أن يكون الحسين عليه السلام في خندق، ويختار خندقاً آخر يعادي الحسين. ولقد كان للحسين عليه السلام يوم كربلاء خندق، وليزيد خندق آخر، وكان الإمام جبهة، ويزيد جبهة أخرى استباح من سبط رسول الله دمه الشريف، ونفسه الطاهرة، وأسر حريمه وبتاماه.

ومن الصعب أن يتصور من مسلم واع أن يغضبه الانتصار للحسين عليه السلام على يزيد، وأن يشاد بالحسين وحركته وتضحيته وإيثاره وفدائه وإخلاصه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين، وأن يندد بيزيد وطاغوتيته وظلمه وعدوانيته واستهتاره. وإذا كانت الثورة الحسينية المباركة ثورة إيمان على جاهلية، وتقوى على فسق، وعدل على ظلم، وحرية على عبودية، ومعروف على منكر، وشرعية على طاغوتية، ومن أجل بقاء الدين، وصفائه وحاكميته، وإنقاذ الأمة وعزتها وكرامتها وسؤدها، وإصلاح دينها ودنياها، فالتزام الخطاب في إحياء الذكرى بنفس ما التزمت به الثورة لا يتوقع فيه بحسب طبيعته أن يستفز أحداً من المسلمين أو يعاديه.

إن خطاباً هذا محتواه من غير شوائب من هنا وهناك هو الخطاب الذي يفهمه المسلمون جميعاً ويقبلون عليه، ويتفاعلون معه، ويتقبلونه.

ثم إن خطاب الثورة الحسينية الهادية بما كان فيه من مواجهة للطاغوتية والدكتاتورية، وشجب لحاكم بلا مؤهلات، ورفض للاستغلال والاستعباد للأمة، ونهب لثرواتها، واستئثار بخيراتهما، وتحذ لالة التنكيل بأحرارها، وخنق الصوت

(١) وهو أمر خاضع للنقاش. (منه حفظه الله).

الحر فيها هو خطاب إنساني عام، وهو اللغة التي تتحدث بها كل شعوب العالم المضطهدة اليوم وهي تتطلع إلى مبدأ صادق أصيل يعترف لها حقاً بلغتها ويدفعها على هذا الطريق دفعاً لنيل حقوقها.

إن لغة كربلاء - وهي لغة إحيائها فيما ينبغي - لغة محتضنة عالميا وهي تتحدث عن عالم بأسره، وتلامس جراحه، وتلتقي مع طموحاته وأمانيه التي تتلخص في تبدل الجور إنصافاً، والظلم عدلاً، والباطل حقاً، والخوف أمناً، وانسحاق الإنسان كرامة، وإنها الطموحات التي لا يحققها إلا دين الإسلام، ولا تتم إلا بقيادة من نوع قيادة الحسين عليه السلام.

علينا في إحياء عاشوراء أن نجاري خطاب ثورة الحسين عليه السلام، ومؤثراته، وإضاءاته، ودلالاته، ونأخذ بهداياته وأخلاقياته، ورشده، وحكمته، ودقته، ورسالته، ونظافته، وهادفيته، وأحكامه، وذكائه، ونزاهته، وعلميته، وفنيته، وخبرته، ودرأيته.

وإذا فعلنا ولم نشوه خطاب الثورة فلن يعادي هذا الخطاب منصف من المسلمين ومن خارج الإسلام، وسيكون الخطاب القادر على التوحيد داخل الأمة، والاستقطاب من خارجها.

الحالة الأخلاقية في موسم عاشوراء

● كيف تقيمون الحالة الأخلاقية في موسم عاشوراء ؟

■ حالة تحتاج إلى معالجة جادة وحازمة، وهي تعمل باستمرار على تلويث الجو الروحاني للمناسبة بل تخلق أجواء مضادة دنيئة منافسة.

أن يبقى الشكل وتخسر المضمون، بل أن يكون الشكل والممارسة في خدمة

أهداف مضادة. غباء أو تفريط كل منهما لا يليق بالمؤمنين، الكل يضحج من الأجواء الفاسدة الموبوءة الشيطانية التي تقتحم نقاء المناسبة وتستولي على مساحات من سمائها للتشيع بالسموم والجرائم الفتاكة، والعملية أصبحت عملية مكشوفة في بعض المناطق وهي آخذة في الاتساع إن لم يوقف المد السيء. وأنتم تجدون أن الصوم باقٍ، والحج باقٍ، والأعياد باقية ولكن كل ذلك يتعرض إلى سياسة التمييز والخروج بالمواسم العبادية والشريفة عن خطها وتحويلها إلى مواسم نزهة أو ترف أو تبذل ومساحات زمنية صارخة بما يهدم الدين.

وهناك نابهن، وهناك غيارى، وهناك جادون ومخلصون لدين الله، وبنبغي للجهود المؤمنة أن تجتمع منتظمة متكاتفة مثابرة جاهدة من أجل حماية المواسم العبادية وشعائر الدين من استمرار العبث بها وتحويلها في صالح الكفر والفسق والميوعة والرذيلة آخذة (هذه الجهود) في سعيها الكريم بمقتضى الدين والحكمة وعزم وحزم وصلابة بعيداً عن حالات التهور والانفلات والعدوانية.

● كيف تنظرون إلى مسألة تواجد النساء والفتيات للتفرج على

المواكب الحسينية الرجالية ؟

■ قوام الموكب عنصر مشارك بفاعلية إيجابية تتناسب وطبيعة الموكب ورسالته النابعة من رسالة الذكرى المحتضنة له ... عنصر متأدب بأدب الحسين عليه السلام، غني بالشعور بالمسؤولية، متشح بوشاح السكينة والوقار، ظاهر عليه التأثر بالمصاب الجلل، ودرك لدور المشاركة في شد العقول والأرواح والأفئدة لأجواء كربلاء وإشارتها وإيجاءاتها ودروسها وإلهاماتها المربية، ومشاعرها الملتهبة،

وعطاؤها الإيمانية الثرة.

وتأتي من بعد ذلك مرتبة العنصر المتلقي المنفعل بالمحتوى الكريم للذكرى، المنتفع بزادها الطيب والهنئى من فكر نير، وشعور زكي، ورسالية واعية، وحس بالكرامة، ويقظة في الضمير، ونصرة للحق، ومناهضة للباطل، ورؤى سديدة، وعواطف حميدة رشيدة.

أما العنصر المتفرج الذي لا هم له إلا التفرج بلا قصد إفادة، ولا استفادة، فضلاً عن عناصر الإضرار فلا مكان له في الموكب فيما تقتضيه جدية الموكب ورسالته.

والنساء المتواجرات في الموكب وفي أجوائه لسن على حد واحد، فمن ثبت أن وجودها للإضرار فلا بد من العمل على إقصائها، ومن كانت تتخذ من الموكب فرصة للتفرج فأولى بها أن تبحث عن التفرج في أجواء أعدت لذلك وليس منها الموكب بمجديته ورسالته وهادفيته.

ويبقى أن تمازج الرجال والنساء في الموكب بمظهره المعاش غير المحتشم، البعيد عن التحرز والتوقي وغيض البصر والباعث على الفتنة، وكذلك اصطفاف النساء في حالة استعراضية فاتنة مما يفسد أجواء الموكب، ويسقط فاعليته المربية، ويخرجه من وضعه الرسالي الهادي إلى وضع تخريبي مفسد محارب.

● كيف نعالج هذه المسألة ؟

■ لا ضرورة أصلاً تحتم تواجد العنصر النسوي في أجواء الموكب الرجالي، ولا مصلحة في ذلك توازي المضار المحتملة خاصة في ظل الأوضاع القائمة، ثم لا انحصار لإحياء النساء المناسبة في هذا الأسلوب، ولو انحصر الأمر فيه وأدى إلى

هتك حرمة الموكب، والإضرار برسالته لتعين الإستغناء عن مشاركتهم في الإحياء بهذا الأسلوب.

ويمكن للنساء إذا أردن تسيير مواكب عزائية بأسلوب فيه حفاظ على الوقار والسكينة والالتزام بالحشمة في أجواء خاصة بهن لا تكون محل تفرج للرجال.

ختاما

● كلمة ختامية توجهونها للحسينيين والزينبيات في هذا الموسم

العاشورائي ؟

■ موسم انطلق من رحم ثورة الحسين عليه السلام ويراد له أن يكون امتداداً لخط الثورة المباركة لا بد أن يكون حسينياً بحق، والحسين عليه السلام كله إسلام، وكله من أجل الإسلام، فمن مسؤوليتنا أن يكون الموكب واقعا كما هو شأننا وطبيعة إسلاميا خالصا، ورساليا هادفا، ومربيا واعيا، ودعوة إلهية هادية، وأن يكون لوحدة الأمة وانبعائها، وعودتها لدينها وكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وآله، والاستظلال ببيت النبوة والرسالة والأمانة.

وكربلاء جادة فكل إحيائها يجب أن يكون جادا، كربلاء هادفة فيجب أن تكون كل امتداداتها هادفة، وكربلاء واعية فينبغي أن تكون أيام مناسباتها مشحونة بالوعي، وكربلاء للمعروف، وفي مواجهة المنكر فيتحتّم أن تتسم الممارسات المنتمية لها بالمعروف، وتتنزه عن المنكر، وأن تكون في نصرة المعروف وهزيمة المنكر.



أحكام التربة الحسينية

فاضل عبد الجليل الزاكي

مدخل البحث:

كثيراً ما لا شك فيه أن هناك بقاعاً كثيرة احتلت مكانة خاصة في نفوس الناس وذلك لأسباب مختلفة، فقد يكون ذلك نتيجة لاقترانها ببعض الحوادث السعيدة أو الحزينة أو المفصلية، وقد يكون ذلك بسبب اشتغالها على قبور تحوي أجساداً لها قدسيته، أو لأسباب تعبدية صرفة.

وعلى هذا الصعيد تأتي تربة كربلاء في الفكر والفقهاء الشيعي، فهذه التربة لها مكانتها الخاصة في وجدان الشيعة وفي فقههم، وإذا ما أردنا تلمس السبب والعلّة لهذه المكانة الخاصة لأمكننا طرح ما يلي كأهم وأوضح الأسباب لهذه المكانة:

١- اقتران هذه التربة بحادثة حزينّة دامية تُعد الأكثر وقعاً وإيلاماً في وجدان الشيعة، وذلك برغم كثرة الحوادث الحزينّة والمؤلمة التي تستعر في وجدانهم، ألا وهي حادثة كربلاء العظيمة التي تعتبر - وبكل المقاييس - حادثة مفصلية في تاريخ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

٢- احتوائها على قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه من الشهداء (رضوان الله عليهم)، مع ما تمثله هذه القبور من رمزية مهمة لدى الشيعة.

٣- ما ورد من روايات أهل البيت عليهم السلام الكثيرة في فضل هذه التربة وبيان مزاياها، وهو ما أكدته - تبعاً لذلك - فتاوى فقهاء الشيعة على مر العصور.

ونظراً لأهمية هذه التربة، ولما جاء فيها من روايات عديدة عن أهل بيت

العصمة والطهارة عليه السلام، هذه الروايات التي أسست للعديد من الأحكام المرتبطة بهذه التربة والتي تعرض لها الفقهاء منذ القدم في كتبهم وموسوعاتهم الفقهية، فقد رأيت أن أتطرق هنا إلى ما ورد حول هذه التربة المباركة من فتاوى وأحكام، ثم أعقب بذكر ما دل عليها من أدلة ونصوص، وأسألتعرض هذه الفتاوى ضمن تسعة مباحث كالتالي:

- ١- حرمة تنجيس التربة الحسينية.
- ٢- خلط التربة الحسينية بحنوط الميت.
- ٣- الكتابة بالتربة الحسينية على كفن الميت.
- ٤- وضع التربة الحسينية مع الميت في قبره.
- ٥- السجود على التربة الحسينية.
- ٦- التسييح بالتربة الحسينية.
- ٧- الاستشفاء بالتربة الحسينية..
- ٨- تحنيك المولود بالتربة الحسينية.
- ٩- الإفطار على التربة الحسينية يومي الفطر وعاشوراء:

وصدّرتُ أغلب هذه المباحث بذكر الفتوى التي تناسبها، معتمداً في نقلي للفتوى بشكل أساسي على كتابي (العروة الوثقى) للسيد اليزدي، و(وسيلة النجاة) للسيد الأصفهاني، كما نقلت عبارة واحدة من كتاب الدروس للشهيد الأول لاشتمالها على بعض المزايا.

١ - حرمة تنجيس التربة الحسينية:

قال السيد اليزدي قدس سره في العروة الوثقى: «مسألة ٢٥: يجب إزالة النجاسة عن التربة الحسينية، بل عن تربة الرسول وسائر الأئمة عليهم السلام المأخوذة من قبورهم، ويحرم

تنجيسها، ولا فرق في التربة الحسينية بين المأخوذة من القبر الشريف أو من الخارج إذا وضعت عليه بقصد التبرك والاستشفاء، وكذا السبحة والتربة المأخوذة بقصد التبرك لأجل الصلاة»^(١).

والكلام هنا إنما هو بالنسبة إلى تربة القبر أو التربة المأخوذة من تلك البقاع الطاهرة لأجل التبرك أو الاستشفاء أو ما شابهه، وليس الكلام عن مطلق التراب الموجود في تلك البقاع الطاهرة مما هو على وجه الأرض أو مما تصنع به الأواني الخزفية هناك، ضرورة أن التربة بعد أخذها لتلك الغاية تُنسب إلى صاحبها، بحيث يُعد هتكها هتكاً لحرمة صاحب القبر وتعظيمها تعظيماً له، ومن هنا لزم تعظيمها وحرُم هتكها، وأما قبل أن تنتسب لصاحبها بالنحو المتقدم فلا دليل على حرمة هتكها، بل هي من هذه الجهة كباقي الأراضي، والسيرة قائمة على التعامل معها كغيرها.

ثم إن حرمة التنجيس إنما هي في صورة استلزامه الهتك، وكذا بالنسبة إلى وجوب الإزالة، وأما إذا لم تستلزم الهتك فلا دليل على الوجوب.

بقي أن نشير إلى مبحث مهم أشار له الشيخ الصيمري رحمته الله في غاية المرام، حيث قال: (والمحترم من التربة الذي لا يجوز تقريب النجاسة منه هو ما أخذ من الضريح أو من خارج ووضِع على الضريح المقدس، أما ما أخذ من خارج ولم يوضع على الضريح فإنه لم يثبت له الحرمة، إلا أن يأخذه بالدعاء المرسوم ويختم عليه فيثبت له الحرمة حينئذ)^(٢).

وذكر الشهيد الثاني رحمته الله في شرح اللمعة^(٣) ما يقرب من هذا المعنى، هذا والظاهر أن مقصود الصيمري بقوله: (أو من الخارج) هو ما أخذ من خارج الضريح المقدس من المناطق المجاورة له، لا أنه يقصد ما أخذ حتى من المناطق الأخرى

التي هي خارج كربلاء ثم وضع بعد ذلك على الضريح المقدس، وهذا المعنى هو الذي يظهر أيضا من عبارة صاحب العروة التي ذكرناها سابقا، إلا أن في عبارات البعض ما يشير إلى المعنى الثاني، حيث قال: بأنه لو أخذ التراب من مكان آخر، وأُتي به إلى كربلاء، ووضع على الضريح المقدس بقصد التبرك، للحقته الأحكام المذكورة من حرمة التنجيس والتهتك.

هذا ما ذكرناه، إلا أنه لم يتضح الوجه في إناطة الإحترام بوضع التربة على القبر إذا كانت مأخوذة من خارجه، أو إناطته بأخذها بالدعاء والختم المذكورين في بعض الروايات؛ إذ أن تمام المناط في لزوم الاحترام وحرمة التهتك - كما مر سابقا- هو انتساب هذه التربة إلى صاحب القبر بحيث يعد هتكها هتكاً له، وتعظيمها تعظيماً له، وهذا لا يتوقف على وضعها على القبر، ولا على أخذها بالدعاء والختم كما هو واضح، وإنما يتوقف على صدق الانتساب ليس إلا، وهو أمر عرفي، ولم يظهر من النصوص أن الإلتزام بالآداب الخاصة بالدعاء والختم على التربة يؤلّد لها حالة خاصة تكون منشأ لتلك الأحكام الشرعية، نعم لو توقف صدق الإنتساب عرفاً على وضع التربة على القبر أو الإتيان بالآداب الخاصة لثم ما ذكرناه.

وعلى هذا فلا فرق في حرمة التنجيس بين التراب المأخوذ من نفس القبور المقدسة، وبين غيره مما أخذ من البقاع المجاورة لها مادام هذا التراب منتسباً إلى تلك النفوس الطاهرة على النحو المذكور.

٢ - خلط التربة الحسينية بحنوط الميت:

قال السيد اليزدي قده في العروة الوثقى عند حديثه عن تحنيط الميت: «مسألة

٩: يستحب خلط الكافور بشيء من تربة قبر الحسين عليه السلام لكن لا يمسح به المواضع

المنافية للإحترام»^(٤).

ويدل على هذا الحكم ما ورد في مكاتبة الحميري قال: «كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله عن طين القبر يوضع مع الميت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب - وقرأت التوقيع ومنه نسخت - : يوضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه إن شاء الله»^(٥).

وواضح أن المقصود بطين القبر هنا هو طين قبر الحسين، لأنه المعهود لدى الشيعة عند الإطلاق، وهو في غاية الوضوح لمن تتبع الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

والرواية صحيحة كما هو واضح، والتوقف في سندها من جهة محمد بن أحمد بن داود القمي - لعدم ورود توثيق صريح له - في غير محله، فإن ما ورد فيه من المدح لا يقصر عن التوثيق، بل ويدل على جلالته قدره وعظم شأنه أيضا. هذا بالنسبة إلى أصل استحباب خلط التربة الحسينية بالكافور، وأما عدم المسح به على المواضع المنافية لاحترامها كإبهامي الرجلين أو العورة، فهو واضح بعد ما تقدم من لزوم تعظيمها وحرمة هتكها.

والظاهر من النص أن المقصود هنا هو خصوص تراب القبر وما يقرب منه على وجه يلحق به عرفا، نعم ورد في بعض الروايات أن طين قبر الحسين يؤخذ ولو من على عدة أميال أو فراسخ^(٦)، إلا أن جل هذه الروايات قابلة للنقاش سنداً ودلالة، نعم سيأتي في مبحث الإستشفاء بالتربة أن هذه الأحكام تثبت للتربة المحيطة بالقبر إلى مسافة خمسة وعشرين ذراعاً من جوانبه الأربعة، وأما ما زاد على هذا المقدار فلم يثبت دليل معتبر، وعليه فلا يُعلم شمول هذا الإستحباب للتربة الحسينية التي تؤخذ من كربلاء في هذه الأعصار وتنقل إلى البلدان المختلفة لأجل السجود عليها في الصلاة، نعم لا بأس باستعمالها رجاءً، خصوصاً بالنظر إلى الروايات المشار إليها

والتي تذكر الأميال والفراسخ، وهذا الكلام جارٍ بالنسبة إلى أكثر الأقسام الآتية، فلا نحتاج للإعادة.

٣ - الكتابة بالترربة الحسينية على كفن الميت:

قال الشهيد الأول قدس سره في الدروس عند كلامه عن استحباب وضع الجريدتين مع الميت «ويستحب جريدتان من النخل... ويكتب عليها وعلى القميص والإزار والحبرة واللغافة والعمامة بترربة الحسين عليه السلام اسمه، وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وزاد الشيخ وأسماء الأئمة عليهم السلام»^(٧) وذكر مثله في العروة^(٨).
والكلام هنا في عدة نقاط:

أ- أصل استحباب الكتابة على الكفن، وما الذي يكتب؟ هل خصوص الشهادة الأولى أو الشهادتين معا؟ وهل يلحق بهما الإقرار بالأئمة عليهم السلام أيضا؟ وهذا خارج عن محل كلامنا، إلا أن أكثر الفقهاء ذكروا استحباب كتابة الشهادتين والإقرار بالأئمة إما على وجه الإستحباب، أو برجاء المطلوبة.
ب- هذا الإستحباب هل يختص بالكفن أم يشمل الجريدتين أيضا؟ وأي القطع هي التي يكتب عليها، هل هي قطعة معينة بخصوصها، أم جميع قطع الكفن؟ وهذا أيضا خارج عن محل كلامنا، وقد اختلفت فيه عبارات الفقهاء أيضا.
ج- كون الكتابة بالترربة الحسينية، وهذا قد ذكره الكثير من الفقهاء المتقدمين، وإن قلت الإشارة له في عبارات متأخري المتأخرين والمعاصرين.

وقد وردت فيه رواية في كتاب الاحتجاج للطبرسي، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري «عن صاحب الزمان عليه السلام، أنه كتب إليه: قد روي لنا عن الصادق عليه السلام أنه كتب على إزار إسماعيل ابنه: إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله، فهل يجوز لنا أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟ فأجاب: يجوز ذلك، والحمد لله»^(٩).

والمقصود بطين القبر هنا طين قبر الحسين عليه السلام كما تقدمت الإشارة سابقاً، إلا أنها لا تدل على أكثر من الجواز، ولا تثبت استحباباً على ما يبدو، كما أنها ضعيفة لجهالة سند الطبرسي إلى الحميري، ولعله قلّت الإشارة له في عبائر متأخري المتأخرين والمعاصرين، نعم قد يستفاد عموم الاستحباب من المكاتبة الأولى التي تقدم تصحيح سندها حيث ورد فيها «يوضع مع الميت في قبره»^(١٠)، وهي صريحة في استحباب وضعها مع الميت في قبره ومن غير تعيين لكيفية خاصة، فتشمل الكتابة بها على الكفن فإنها نحو من الوضع مع الميت، إلا أنها لا تثبت استحباب الكتابة بها بعنوان كونها كتابة، نعم يمكن الكتابة بها رجاءً أو بعنوان الوضع مع الميت.

د- بقي أن نشير إلى أن جملة من الفقهاء أشاروا إلى أنه ينبغي أن تبلّ التربة بالماء، ولعل أول من تعرض لذلك هو الشيخ المفيد^(١١)، وتبعه بعض من جاء بعده^(١٢)، وقد علله المحقق الكركي بقوله: «لتكون الكتابة مؤثرة حملاً على المعهود»^(١٣).

وقد يقال بعدم اشتراط أن تكون الكتابة مؤثرة، لعدم الدليل، ولما ذكره الشيخ في المصباح حيث قال «ويكتب ذلك بتربة الحسين أو بالإصبع ولا يكتب بالسواد»^(١٤)، فقد يقال بأنه يرى كفاية الكتابة بالتربة وإن لم تكن مؤثرة، لأنه عطف عليها الكتابة بالإصبع، ومن المعلوم أنها غير مؤثرة، فظاهر كلامه أن الكتابة تصدق وإن لم يبق لها أثر.

وجوابه واضح؛ إذ لم يدع أحد بأن الكتابة لا تصدق إن لم تكن مؤثرة، ولكن لا شك ولا ريب في أن المنصرف عند إطلاق اللفظ هو خصوص المؤثرة، وأما الكتابة غير المؤثرة فهي فرد خفي غير معهود لا يحمل النص عليه، مضافاً إلى أن

الدليل في المسألة إن كان هو رواية الإحتجاج المتقدمة فقد جاء فيها عنوان (طين القبر) ومن المعلوم أن الطين هو الممزوج بالماء، دون الجاف المعبر عنه بالمدر، ودون التراب الخالص، وإن كان الدليل هو رواية التهذيب فقد دلت على عنوان (الوضع مع الميت) وهو لا يتحقق إذا لم تكن الكتابة مؤثرة، إلا بمقدار ما قد يتساقط على الكفن من ذرات، مما لا يصدق عليه اسم الطين الوارد في هذه الصحيحة أيضا، فعلى كلا الاحتمالين لا بد أن تكون الكتابة مؤثرة. والكلام عن موضع أخذ التربة هو عين ما تقدم في المبحث السابق.

٤ - وضع التربة الحسينية مع الميت:

قال السيد اليزدي قده في العروة الوثقى في مستحبات الدفن: «الثاني عشر: جعل مقدار لبنة من تربة الحسين عليه السلام تلقاء وجهه، بحيث لا تصل إليها النجاسة بعد الانفجار»^(١٥)

وهذا الاستحباب مشهور في فتاواهم، ويدل عليه نفس مكاتبة الحميري المتقدمة، حيث ورد فيها «توضع مع الميت في قبره»، ومن الواضح أن السؤال والجواب لم يكن عن إباحة الوضع، وإنما هو عن وجود الرجحان في هذا الوضع وعدمه، ويدل على ذلك نفس جواب الإمام عليه السلام حيث قال: «يوضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه» إذ من الواضح أن عطف (الخلط بالحنوط) على (الوضع مع الميت) يدفع احتمال أن يكون الكلام عن أصل الإباحة، إذ لو كان الكلام عن الإباحة لم يكن هناك معنى للعطف المذكور، فالكلام عن وجود الرجحان في ذلك ليس إلا.

كما يمكن تأييد هذا الحكم بما نقله العلامة في منتهى المطلب حيث قال: «روي أن امرأة كانت تزني وتضع أولادها فتحرقهم بالنار خوفا من أهلها، ولم يعلم

به غير أمها، فلما ماتت دفنت فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الأرض، فنقلت عن ذلك الموضع إلى غيره، فجرى لها ذلك، فجاء أهلها إلى الصادق عليه السلام وحكوا له القصة، فقال لأمها: ما كانت تصنع هذه في حياتها من المعاصي؟ فأخبرته بباطن أمرها. فقال عليه السلام: إن الأرض لا تقبل هذه لأنها كانت تعذب خلق الله بعذاب الله، اجعلوا في قبرها شيئا من تربة الحسين عليه السلام. ففعل ذلك بها فسترها الله تعالى»^(١٦).

كما يؤيده ما ورد من أنها أمان من كل خوف، كما في رواية الحارث بن مغيرة النصري عن الصادق عليه السلام «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به؟ فقال: وأين أنت عن طين قبر الحسين عليه السلام؟ فإن فيه الشفاء من كل داء، والأمن من كل خوف، فقل إذا أخذته: اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة... قلت: قد عرفت الشفاء من كل داء، فكيف الأمان من كل خوف؟ فقال: إذا خفت سلطانا أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام وقل إذا أخذته: اللهم إن هذه طين قبر الحسين وليك وابن وليك، أخذتها حرزا لما أخاف ولما لا أخاف، فإنه قد يرد عليك ما لا تخاف»^(١٧).

ومثلها رواية زيد الشحام عن الصادق عليه السلام: «إن الله جعل تربة الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف»^(١٨)

وحيث أن أهوال القبر مما يخاف منه كل أحد، فتشمله الرواية بإطلاقها. وأما جعلها تلقاء وجهه فقد يستفاد ذلك مما أورده الشيخ في مصباح المتعجب «عن جعفر بن عيسى أنه سمع أبا الحسن عليه السلام يقول: ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده التراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من الطين، ولا يضعها تحت رأسه»^(١٩)، ومن الواضح أن المقصود هنا هو طين قبر الحسين عليه السلام لأنه هو المعهود للتبرك، وقد أورده الشيخ في مصباحه في ضمن الأحاديث الخاصة بتربة الحسين.

وأما جعل التربة في موضع لا تصيبها النجاسة فهو وإن كان النص خالياً منه، إلا أنه بمثابة من الوضوح بعد ما تقدم من لزوم تعظيمها وحرمة هتكها على ما تقدم بيانه سابقاً.

وقد تقدم الحديث في آخر المبحث الثاني عن مواضع أخذ التربة الحسينية، والكلام هنا هو عين ما تقدم هناك فلا نعيد.

٥ - السجود على التربة الحسينية:

قال السيد اليزدي قده في العروة الوثقى في باب مكان المصلي: «مسألة ٢٦: السجود على الأرض أفضل من النبات والقرطاس، ولا يبعد كون التراب أفضل من الحجر، وأفضل من الجميع التربة الحسينية فإنها تخرق الحجب السابع، وتستتير إلى الأرضين السبع»^(٢٠).

لا نتكلم هنا عن لزوم السجود على الأرض أو ما أنبتت، فإنه خارج عن بحثنا هذا وقد تعرض له الفقهاء مفصلاً في بحوثهم الفقهية، وكلامنا هنا إنما هو عن خصوص استحباب السجود على التربة الحسينية وتفضيلها على غيرها، وهذا الحكم أفتى به الشيخ الصدوق في الفقيه، وأفتى به أكثر المتأخرين، وجرت عليه سيرة الشيعة منذ القدم، ويمكن الاستدلال على الحكم بنحوين من الاستدلال:

الأول: الروايات الخاصة التي نصت على هذا الحكم، وهي أربع روايات:

أ- ما أورده الشيخ في مصباح المتعبد، «عن معاوية بن عمار قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجاده وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: إن السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السابع»^(٢١).

ب- ما رواه الحسن بن محمد الديلمي في إرشاد القلوب، قال «كان

الصادق عليه السلام لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذلل الله واستكانة إليه»^(٢٢).

ج- ما رواه الصدوق قال «قال الصادق عليه السلام: السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها»^(٢٣)

د- ما رواه في الاحتجاج عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن صاحب الزمان عليه السلام «أنه كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين القبر هل فيه فضل؟ فأجاب عليه السلام: يجوز ذلك، وفيه الفضل»^(٢٤)

ورغم إمكانية المناقشة في سند هذه الروايات الأربع من جهة الإرسال، إلا أن الرواية الرابعة نقلها الشيخ الطبرسي في الاحتجاج في ضمن رسالة طويلة تحتوي على مجموعة مسائل أرسلها الحميري إلى الإمام صاحب الزمان عليه السلام وقد أجاب عنها الإمام، ورغم أن الشيخ الطبرسي - وكما هي عادته في هذا الكتاب - لم يذكر هنا سنده إلى الحميري إلا أن الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب أورد عدة مقاطع من هذه الرسالة بسند معتبر، وهذا وإن لم يكن كافياً للحكم بصحة هذا المقطع بخصوصه، إلا أنه يعطيه نوعاً من المزية كما لا يخفى.

الثاني: وهو مركب من مقدمتين:

المقدمة الأولى: لا شك في أفضلية السجود على الأرض، وأنها تُقدم على غيرها كما في النصوص الصحيحة مثل صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل»^(٢٥).

المقدمة الثانية: بعد ثبوت استحباب السجود على مطلق الأرض نقول: لا شك في تفاوت بقاع الأرض من حيث الفضل، وأنها ليست على حد سواء، وقد دلت

الروايات على فضل تربة كربلاء، وتميزها عن بقية الأراضي والبقاع، وهي روايات كثيرة أشرنا لبعضها في ما سبق وسيأتي التعرض لبعضها ضمن النقاط التالية، وبعضها روايات معتبرة.

فيستفاد استحباب السجود على تربة كربلاء من نفس تلك الروايات الدالة على استحباب السجود على الأرض؛ وذلك لأنها من خير بقاع الأرض كما دلت النصوص.

والكلام بالنسبة إلى محل أخذ التربة هو عين ما تقدم في المبحث الثاني، إلا أنه قد يقال هنا بإمكانية التوسع عن مقدار الخمسة والعشرين ذراعاً، لأن التعبير الوارد في بعض الروايات هو (السجود على تربة الحسين)، كما أن جملة من الروايات تثبت الفضيلة لتربة كربلاء ولو كانت بعيدة عن القبر.

٦ - التسبيح بالتربة الحسينية:

قال السيد اليزدي قده في العروة الوثقى في فصل تعقيب الصلاة عند حديثه عن استحباب تسبيح فاطمة عليها السلام، قال: «مسألة ١٩: يستحب أن تكون السبحة بطين قبر الحسين صلوات الله عليه، وفي الخبر أنها تسبح إذا كانت بيد الرجل من غير أن يسبح، ويكتب له ذلك التسبيح وإن كان غافلاً»^(٢٦)

وقد وردت روايات كثيرة تؤيد هذا المضمون، نذكر هنا جملة منها:

أ- ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام: «ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها»^(٢٧).

ب- ما رواه الشيخ في مصباح المتهجد، قال «وروي عن الصادق عليه السلام أن من أدار الحجر من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر به مرة واحدة كتب الله له سبعين مرة وإن أمسك السبحة بيده ولم يسبح بها ففي كل حبة منها سبع مرات»^(٢٨).

ج- ما رواه الشيخ في التهذيب عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: «كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: تسبح به، فما في شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح»^(٢٩). وهذه الرواية صحيحة السند، والمقصود بالفقيه هنا هو صاحب الزمان (أرواحنا فداه).

د- ما رواه الشيخ في التهذيب عن الحسن ابن علي بن شعيب يرفعه إلى بعض أصحاب أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «دخلت إليه قال: لا يستغني شيعتنا عن أربع: خمرة يصلي عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر أبي عبد الله عليه السلام فيها ثلاث وثلاثون حبة متى قلبها ذاكرا لله كتب الله له بكل حبة أربعين حسنة، وإذا قلبها ساهيا يعث بها كتب الله له عشرون حسنة أيضا»^(٣٠).

٧ - الاستشفاء بالتربة الحسينية:

من المعروف أن الفقهاء (رضوان الله عليهم) يفتون بحرمة أكل الطين، لقيام الأدلة على حرمة، إلا أنهم مع ذلك يستثنون طين قبر الحسين عليه السلام، ونحن هنا نستعرض ما أورده السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره في كتاب وسيلة النجاة^(٣١)، حيث أورد بضع مسائل تتعلق بهذا الموضوع، فبعد أن ذكر حرمة أكل الطين قال:

مسألة ٩: يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين عليه السلام للاستشفاء، فإن في تربته المقدسة الشفاء من كل داء، وإنها من الأدوية المفردة، وإنها لا تمر بداء إلا هضمته. ولا يجوز أكلها لغير الاستشفاء، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة، ولا يلحق به طين غير قبره حتى قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على الأحوط لو لم يكن أقوى، نعم لا بأس بان يمزج بماء أو شربة والتبرك والاستشفاء

بذلك الماء وتلك الشربة.

مسألة ١٠: لأخذ التربة المقدسة وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية مذكورة في محالها، خصوصا في كتب المزار ولا سيما مزار بحار الأنوار، لكن الظاهر أنها كلها شروط كمال لسرعة تأثيرها لا أنها شرط لجواز تناولها.

مسألة ١١: القدر المتيقن من محل أخذ التربة هو القبر الشريف وما يقرب منه على وجه يلحق به عرفا، ولعله كذلك الحائر المقدس بأجمعه. لكن في بعض الأخبار يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين ذراعا، وفي بعضها طين قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل، بل وفي بعضها أنه يستشفى مما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، بل وفي بعضها على عشرة أميال، وفي بعضها فرسخ في فرسخ، بل وروي إلى أربعة فراسخ. ولعل الاختلاف من جهة تفاوت مراتبها في الفضل فكل ما قرب إلى القبر الشريف كان أفضل، والأحوط الاقتصار على ما حول القبر إلى سبعين ذراعا، وفيما زاد على ذلك أن تستعمل ممزوجا بماء، أو شربة على نحو لا يصدق عليه الطين ويستشفى به رجاء.

مسألة ١٢: تناول التربة المقدسة للإستشفاء، إما بازدرادها وابتلاعها، وإما بحلها في الماء وشربه، أو بأن يمزجها بشربة ويشربها بقصد التبرك والشفاء.

وللتعليق على كلامه نعقد الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: في أصل استثناء طين قبر الحسين عليه السلام.

وهو متسالم عليه بين الأصحاب، وبمضمونه روايات مستفيضة، نذكر بعضها منها:

١- عن أبي يحيى الواسطي عن رجل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الطين حرام

كله كلحم الخنزير ومن أكله ثم مات فيه لم أصل عليه، إلا طين القبر فإن فيه شفاء

من كل داء، ومن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء»^(٣٢).

٢ - عن سعد بن سعد قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين؟ فقال: أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا طين الحائر، فإن فيه شفاء من كل داء وأمنا من كل خوف»^(٣٣).

٣ - وروى سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أكل الطين حرام على بني آدم ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام من أكله من وجع شفاه الله»^(٣٤).

٤ - عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا»^(٣٥).

٥ - علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليهما السلام قال: «إن الله تعالى خلق آدم من الطين فحرم الطين على ولده، قال: فقلت: ما تقول في طين قبر الحسين بن علي عليه السلام؟ فقال: يحرم على الناس أكل لحومهم ويحل لهم أكل لحومنا؟ ولكن اليسير منه مثل الحمصة»^(٣٦).

٦ - وروي: «أن رجلا سأل الصادق عليه السلام فقال: إني سمعتك تقول: أن تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة، وأنها لا تمر بداء إلا هضمته. فقال: قد قلت ذلك فما بالك؟ قلت: إني تناولتها فما انتفعت بها. قال: أما أن لها دعاء فمن تناولها ولم يدع به واستعملها لم يكذب ينتفع بها. قال: فقال له: ما يقول إذا تناولها؟ قال: قبلها قبل كل شيء وتضعها على عينيك، ولا تناول منها أكثر من حمصة، فإن تناول منها أكثر فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا...»^(٣٧).

٧ - وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله عليه السلام وحرمة وولايته أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة كان له دواء»^(٣٨).

الوقف الثانية: في عدم جواز أكلها لغير الاستشفاء:

وذلك لأن مقتضى النصوص العامة هو حرمة أكل الطين، وإنما رفعنا يدنا عنه في مورد الاستشفاء بطين قبر الحسين عليه السلام للتسالم على استثنائه واستفاضة الروايات به، فيبقى أكله لغير الاستشفاء مشمولاً للنصوص المانعة، سواء كان الأكل بقصد التبرك أم لا، وقد نصت بعض الروايات أيضاً على حرمة لغير الاستشفاء، كما في رواية حنان بن سدير المتقدمة.

الوقفه الثالثة: لا يجوز أكل أكثر من مقدار الحمصة:

ودليله واضح أيضاً، إذ أن أكله خلاف مقتضى النصوص العامة، فيقتصر فيه على القدر المتيقن وهو مقدار الحمصة، لورود تقييده بهذا المقدار في بعض النصوص المتقدمة^(٣٩)، كما ورد هذا التقييد في بعض الفتاوى أيضاً^(٤٠). فما زاد عن هذا المقدار لا يعلم خروجه عن النصوص العامة الناهية عن أكل الطين.

الوقفه الرابعة: هذا الحكم لا يشمل طين قبور بقية المعصومين عليهم السلام:

وذلك لأن الاستثناء الوارد في الروايات وفتاوى الأصحاب، هو خصوص طين قبر الحسين عليه السلام، فيبقى غيره تحت عموم النهي، فلا يجوز أكله، نعم هنا رواية أوردها ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي حمزة الثمالي «عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أنه سُئل عن طين الحائر هل فيه شيء من الشفاء؟ فقال يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وكذا طين قبر الحسن وعلي ومحمد فخذ منها فإنها شفاء من كل داء وسقم وجنة مما تخاف ولا يعدلها شيء من الأشياء التي يستشفى بها إلا الدعاء وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها وذكر الحديث - إلى أن قال: - ولقد بلغني أن بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخف به حتى أن بعضهم يضعها في مخلالة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده؟»^(٤١).

وهذا الحديث مخالف لغيره من الأحاديث الكثيرة التي حصرت الاستثناء بطين قبر الحسين عليه السلام وقد حُمل هذا على الاستشفاء بغير الأكل، إذ لا إشكال في جواز الاستشفاء بما يؤخذ من قبورهم بمثل التمسح والحمل ونحوه، بل ولا إشكال في مزجه بالماء بحيث يستهلك فيه ويخرج عن عنوان الطين، إذ لا تشمل أدلة تحريم الطين حينئذ.

الوقففة الخامسة: في جواز أكلها وإن لم يأت بالأدعية الخاصة:

وردت في جملة من النصوص آداب خاصة لكيفية أخذ التربة وتناولها أيضا، وقد علل في بعض الروايات سبب عدم تأثيرها بعدم مراعاة هذه الآداب الخاصة، هذا ولكن المعروف بين الأصحاب الذي لا يكاد يخالفه أحد هو أن جواز الأكل لا يتوقف على الإتيان بهذه الآداب، فهي ليست سوى شرط كمال في المقام، خصوصا وأن جملة كبيرة من الروايات هي روايات مطلقة وغير مقيدة بالإتيان بهذه الآداب، بل في بعضها إشارة واضحة إلى أنها شرط كمال كما في الرواية السادسة المتقدمة.

الوقففة السادسة: في مكان أخذ الطين الذي يؤكل:

اختلفت الروايات في تحديد مكان أخذ الطين، وهل يشترط أن يكون من نفس القبر الشريف، أم يكفي أن يكون من الأماكن البعيدة كما تشير إليه بعض الروايات؟ فقد جاء في بعضها أنه يؤخذ من مسافة خمسة وعشرين ذراعا من الأربعة جوانب التي للقبر^(٤٢)، وفي بعضها كفاية أخذه ولو على بعد سبعين ذراعا من القبر^(٤٣)، وفي بعضها على رأس ميل^(٤٤)، أو أربعة أميال^(٤٥)، أو عشرة أميال^(٤٦)، أو فرسخ في فرسخ^(٤٧)، بل وروي إلى خمسة فراسخ^(٤٨)، وعلى أي حال فبعد الالتفات إلى أن هذا الحكم تقييد لعمومات المنع من أكل الطين، ولأن أكثر المتقدمين لم يتعرضوا لحيثية المسافة، والروايات مختلفة في المقام، وجلها لا يخلو من إرسال أو

ضعف، وعليه فقد يقال بلزوم الاقتصار في جواز الأكل على تراب القبر الشريف أو ما يقرب منه بحيث يلحق به عرفاً، لأنه القدر المتيقن الخارج من تحت عمومات المنع من أكل الطين.

هذا ولعل الصحيح إمكان التعدي عن هذا المقدار، وذلك بأحد توجيهين:

التوجيه الأول: التمسك بما ورد في بعض الروايات من التعبير بطين الحائر، وهي ما رواه ابن أبي عمير عن عمته، قالت: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أن في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف»^(٤٩). وقد عبرت الرواية بطين الحائر بدلاً من طين القبر، والحائر أوسع من القبر كما هو معلوم، وهذه الرواية قد يُناقش في سندها من جهة عيسى بن سليمان، ومن جهة عمه ابن أبي عمير، فإنهما ممن لم يذكر في كتب الرجال، إلا أنه يمكن توثيق عيسى بن سليمان لرواية يونس عنه لو قيل بأن الشيخ في عبارة العدة ناظر إلى أصحاب الإجماع حيث قال: (وغيرهم من الثقات الذين عرفوا بأنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عمن يوثق به)^(٥٠)، ولكن هذا المبنى لم يثبت بالنسبة لغير الثلاثة بأعيانهم، ولم نحرز نظره إلى بقية أصحاب الإجماع، وعليه فلا يتم التوثيق.

ويمكن التغلب على المشكلة عند من يكتفي في تعويض الأسناد بعبارة (أخبرنا بجميع كتبه ورواياته)، وذلك لأن الشيخ قال في فهرسته في حق ابن أبي عمير: (أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه ومحمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله والحميري، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير)^(٥١). فيقال بأن هذا طريق إلى جميع الروايات التي رواها ابن أبي عمير سواء كانت مذكورة في نفس كتب الشيخ أم في كتب غيره بشرط أن نحرز إطلاع الشيخ على هذه الكتب وروايتها لها، فيكون الطريق شامل لما ورد في كامل

الزيارات على ما ذهب إليه بعض المحققين، فلو قبلنا بهذا النحو من التعويض لارتفع الإشكال، إلا أن الصحيح عدم تمامية هذا المبنى، فإن الظاهر من عطف الروايات على الكتب في عبارة الفهرست هو إرادة خصوص الروايات الواردة في هذه الكتب، لا إرادة مطلق الروايات التي رواها ابن أبي عمير مما كان منتشرًا في الكتب الأخرى، إذ من البعيد أن يكون الشيخ ناظرًا إلى جميع هذه الروايات على كثرتها وانتشارها، ويؤيده أن نفس الشيخ ناقش في التهذيبي في أسناد بعض الروايات التي هي صحيحة على هذا المبنى من التعويض^(٥٢)، وعليه فلم يبق سوى التمسك بدعوى وثيقة جميع رواة كامل الزيارات - كما كان يذهب إليه السيد الخوئي قدس سره - للحكم بوثيقة عيسى بن سليمان، ولكنه مبنى ضعيف، لعدم دلالة العبارة على المدعى بالنسبة لغير المشايخ المباشرين، ولهذا عدل عنه السيد الخوئي قدس سره في آخر عمره الشريف بالنسبة لغير مشايخ ابن قولويه.

والنتيجة أنه لم يبق وجه لتصحيح الرواية من جهة عيسى بن سليمان.

وأما (عمة ابن أبي عمير) فيمكن توثيقها بنفس رواية ابن أبي عمير عنها، إلا أن ذلك يتوقف على صحة الطريق إلى ابن أبي عمير كما لا يخفى، وحيث تقدم عدم صحته فلا مجال لتوثيقها من هذا الطريق، وعلى هذا فلا يتم هذا التوجيه.

التوجيه الثاني: التمسك بما ورد في موثقة إسحاق بن عمار، قال: «سمعت أبا

عبد الله عليه السلام يقول: إن لموضع قبر الحسين بن علي عليه السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير، قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك، قال: امسح من موضع قبره اليوم، فامسح خمسة وعشرين ذراعًا من ناحية رجله، وخمسة وعشرين ذراعًا مما يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعًا من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعًا من ناحية رأسه، وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه

بأعمال زواره إلى السماء...»^(٥٣) فإنها دلت على التحديد بما هو أوسع من القبر الشريف، ورغم أن الرواية أشارت إلى الاستجاره به وأنها توجب الأمان، ولم تشر إلى بقية الأحكام الأخرى كالاستشفاء وغيره، إلا أنه لا ينبغي الريب في أن الإمام كان بصدد تحديد المكان الخاص الذي ثبت له كافة الأحكام الواردة في تربة كربلاء، ويفهم ذلك من قوله في صدر الرواية (إن لموضع قبر الحسين) فهذا النص حاكم على النصوص الأخرى التي عبرت ب(طين القبر)، إذ أنه هنا وسع من مفهوم القبر كما فعلت جملة من النصوص الأخرى التي ذكرت الفراسخ أو الأميال، ويؤيده ما ورد في جملة من الروايات من عطف الأمان على الشفاء «فيه شفاء من كل داء، وأمنا من كل خوف»^(٥٤). والظاهر تمامية هذا التوجيه الثاني، وعليه فلا مانع من القول بالتوسعة المذكورة، فيقال بجواز أخذ الطين من مسافة خمسة وعشرين ذراعا من القبر الشريف من جهاته الأربع، وأما ما زاد على ذلك فيبقى تحت عمومات المنع عن أكل الطين على ما تقدم بيانه.

ومما تقدم يتضح الحال في التربة الحسينية التي تؤخذ من كربلاء في هذه الأعصار وتنقل إلى البلدان المختلفة لأجل السجود عليها في الصلاة، فمن المعلوم أنها ليست من طين القبر الشريف، كما أنها لا تؤخذ من المسافة المشار إليها، بل تؤخذ من البقاع البعيدة عنه، وعليه فلا تكون مستثناة من حرمة الأكل، نعم يجوز أن تمزج في الماء ونحوه على وجه تكون مستهلكة فيه، فتشرب معه وهذا لا يعد أكلا للطين كما هو واضح.

الوقفه السابعة: كيفية تناول:

الظاهر عدم وجود كيفية مخصوصة لتناول التربة - أكلها - الحسينية والاستشفاء بها، إذ أن الروايات خالية عن التعرض لهذا الشرط، نعم ورد في بعضها أن الإمام

الصادق عليه السلام مزجها في ماء وسقاها لبعضهم^(٥٥)، وفي روايات أخرى ورد عنوان الأكل^(٥٦)، ولكن أكثر الروايات خالية عن التعرض للكيفية، كما أن فتاوى الأصحاب لم تُشر لكيفية خاصة، ولذا أفتى من تعرض لهذه المسألة من المتأخرين أو المعاصرين بجواز أن يكون التناول بالازدرد والابتلاع، أو أن تُحل التربة - تذاب - في الماء أو غيره ويُشرب بقصد التبرك والشفاء.

الوقف الثامنة: في ذكر جملة من الآداب الواردة في الاستشفاء بالتربة:

هناك روايات كثيرة أشارت إلى آداب الاستشفاء بالتربة الحسينية، وقد أورد الشيخ جعفر بن قولويه قسما من هذه الروايات في كتابه (كامل الزيارات)، كما أورد الشيخ الطوسي قسما آخر في كتاب (مصباح المتعبد)، وأورد ابن المشهدي أيضا روايات أخرى في كتاب (المزار الكبير)، والروايات في هذا الباب كثيرة جدا، ورغم ما أشرنا إليه سابقا من أن هذه الآداب ليست سوى شرط كمال هنا، إذ أن جواز الأكل والاستشفاء غير منوط بها، إلا أنه لا ريب أن ترك هذه الأدعية والإعراض عنها مما لا يليق بالمستشفى الذي يأمل نيل الرحمة الإلهية وبركات هذه التربة الشريفة، فلذا آثرنا أن نذكر بعضا مما ذكره ابن قولويه في (كامل الزيارات) كتتمة أو ملحق لهذا المبحث:

١- حدثني علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن حماد الأنصاري، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا تناول أحدكم من طين قبر الحسين عليه السلام فليقل: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْمَلِكِ الَّذِي تَنَاوَلَهُ، وَالرَّسُولِ الَّذِي بَوَّأَهُ، وَالْوَصِيِّ الَّذِي ضَمَّنَ فِيهِ، أَنْ تَجْعَلَهُ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ كَذَا وَكَذَا وَيُسَمِّي ذَلِكَ الدَّاءَ**^(٥٧).

٢- حدثني حكيم بن داود، عن سلمة، عن علي بن الريان بن الصلت، عن

الحسين بن أسد، عن أحمد بن مصقلة، عن عمه، عن أبي جعفر الموصلي أن أبا جعفر عليه السلام قال: إذا أخذت طين قبر الحسين فقل: **اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ وَبِحَقِّ الْمَلِكِ الْمُؤَكَّلِ بِهَا وَالْمَلِكِ الَّذِي كَرَّبَهَا وَبِحَقِّ الْوَصِيِّ الَّذِي هُوَ فِيهَا صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ هَذَا الطِّينَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ** ^(٥٨).
فإن فعل ذلك كان حتما شفاء من كل داء و أمانا من كل خوف.

٣- حدثني جعفر بن محمد بن إبراهيم الموسوي، عن عبيد الله بن نهيك، عن سعد بن صالح، عن الحسن بن علي بن أبي المغيرة، عن بعض أصحابنا، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواء إلا وقد تداويت به فقال لي: فأين أنت عن تربة الحسين عليه السلام فإن فيها الشفاء من كل داء والأمن من كل خوف وقل إذا أخذته: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الطِّينَةِ، وَبِحَقِّ الْمَلِكِ الَّذِي أَخَذَهَا، وَبِحَقِّ النَّبِيِّ الَّذِي قَبَضَهَا، وَبِحَقِّ الْوَصِيِّ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَاجْعَلْ لِي فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ**.

قال: ثم قال عليه السلام: إن الملك الذي أخذها جبرائيل عليه السلام وأراها النبي صلى الله عليه وآله فقال: هذه تربة ابنك هذا تقتله أمتك من بعدك، والنبي الذي قبضها فهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الوصي الذي حل فيها فهو الحسين بن علي عليه السلام سيد الشهداء.

قلت: قد عرفت الشفاء من كل داء، فكيف الأمان من كل خوف؟ قال: إذا خفت سلطان أو غير ذلك، فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام وقل إذا أخذته: **اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ طِينُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَوَلِيِّكَ وَأَبْنِ وَوَلِيِّكَ أَخَذَتْهَا حِرْزاً لِمَا أَخَافُ وَلِمَا لَا أَخَافُ**.

فإنه قد يرد عليك ما لا تخاف.

قال الرجل: فأخذتها كما قال، فصح بدني وكان لي أمانا من كل ما خفت وما

لم أخف، كما قال عليه السلام، فما رأيت بحمد الله بعدها مكروها^(٥٩).

٤- حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري بالعسكري، قال: حدثنا الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت حمل الطين من قبر الحسين عليه السلام فاقراً فاتحة الكتاب والمعوذتين و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و«وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» و«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» ويس وآية الكرسي، وتقول:

اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَحَبِيبِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ وَأَمِينِكَ، وَبِحَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةَ وَلِيِّكَ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَبِحَقِّ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، وَبِحَقِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحَقِّ الْمَلِكِ الْمُؤَكَّلِ بِهَا، وَبِحَقِّ الْوَصِيِّ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، وَبِحَقِّ الْجَسَدِ الَّذِي تَضَمَّنَتْ، وَبِحَقِّ السَّبْطِ الَّذِي ضَمَّنَتْ، وَبِحَقِّ جَمِيعِ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَاءِكَ وَرُسُلِكَ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ هَذَا الطِّينَ شِفَاءً لِي وَلِمَنْ يَسْتَشْفِي بِهِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسَقَمٍ وَمَرَضٍ وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ.

اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ اجْعَلْهُ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسَقَمٍ، وَآفَةً وَعَاقِبَةً، وَجَمِيعِ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وتقول: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمَيْمُونَةَ وَالْمَلِكِ الَّذِي هَبَطَ بِهَا وَالْوَصِيِّ الَّذِي هُوَ فِيهَا صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْفَعْنِي بِهَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٦٠).

٥- حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أخذت من تربة المظلوم ووضعتها في فيك فقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحَقِّ الْمَلِكِ الَّذِي قَبَضَهَا، وَالنَّبِيِّ الَّذِي حَضَنَهَا، وَالْإِمَامِ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ

وَأَلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي فِيهِ شِفَاءً نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَدَاءٍ.
فإنه إذا قال ذلك وهب الله له العافية وشفاه^(٦١).

نكتفي بهذا المقدار من الروايات، ونحيل من يطلب المزيد على الكتب الموسعة.

٨ - تحنيك المولود بالتربة الحسينية:

قال السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره في كتاب وسيلة النجاة في باب أحكام الأولاد: «مسألة ٢: يستحب غسل المولود عند وضعه مع الأمن من الضرر، والأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى فإنه عصمة من الشيطان الرجيم، وتحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين عليه السلام، وتسميته بالأسماء المستحسنة...»^(٦٢).

وهذا الاستحباب مذكور في عبائر كثير من الأصحاب كالشيخ^(٦٣) وابن البراج^(٦٤) وابن حمزة^(٦٥) وابن إدريس^(٦٦) والمحقق^(٦٧) والعلامة^(٦٨) وغيرهم^(٦٩)، وذلك للخبر الذي أورده الشيخ الكليني في كتابه الكافي حيث قال: «وروي: حنكوا أولادكم بماء الفرات، وبترربة قبر الحسين عليه السلام، فإن لم يكن فبماء السماء»^(٧٠)، وللخبر الذي أورده ابن قولويه بسنده إلى الحسين ابن أبي العلاء، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حنكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام فإنها أمان»^(٧١).

وهنا ثلاث نقاط لا بد من التعرض لها:

الأولى: هل التحنيك بماء الفرات وتربة الحسين عليه السلام على نحو المستحب الواحد؟ أم على نحو الفعلين المستحيين، فيستحب تحنيك الطفل بكل منهما بعنوانه؟

الذي يظهر من الرواية الأولى أنه مستحب واحد، إلا أن الرواية الثانية خالية من الإشارة إلى ماء الفرات، مما يظهر منه أنه مستحب مستقل، مضافا إلى أن جملة من

الروايات ورد فيها التحنيك بماء الفرات من دون ذكر التربة الشريفة^(٧٢)، فيبدو منها بأن كلا منهما مستحب مستقل، ولكن على ما يبدو فإن أكثر عبائر الأصحاب ظاهرة في أنه مستحب واحد.

الثانية: متى يوثى بهذا الاستحباب؟

رغم خلو الروايتين عن تحديد وقت هذا الاستحباب، إلا أنه لا ينبغي الريب في أن وقته حين الولادة أو الفترة القليلة اللاحقة لها، فإن بعض الروايات الواردة في التحنيك بماء الفرات قد صرحت بذلك كما في رواية الكافي «عن أبي جعفر عليه السلام قال: يُحنك المولود بماء الفرات ويُقام في أذنه»^(٧٣) وكذا ما رواه الصدوق عن السيدة نجمة أم الإمام الرضا عليه السلام أنها قالت: «لما وضعت ابني عليا دخل إلي أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فناولته إياه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنكه به، ثم رده إليّ فقال: خذيه فإنه بقية الله في أرضه»^(٧٤). وهذا الحكم ذكره الأصحاب تحت أحكام المولود، ففي الكافي (باب ما يفعل بالمولود من التحنيك وغيره إذا ولد)^(٧٥) وذكر في ضمنه عدة روايات، وقال الصدوق (باب العقيقة والتحنيك والتسمية والكنى وحلق رأس المولود وثقب أذنيه والختان)^(٧٦) ثم قال بعد عدة صفحات: (ويستحب إذا ولد المولود أن يؤذن في أذنه الأيمن ويقام في الأيسر ويحنك بماء الفرات ساعة يولد إن قدر عليه)^(٧٧). وقد ورد من طرق العامة أن النبي ' كان يحنك الأطفال بالتمر عند ولادتهم^(٧٨)، وورد في الكافي «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام حنكوا أولادكم بالتمر هكذا فعل رسول الله ' بالحسن والحسين عليه السلام»^(٧٩).

الثالثة: الظاهر إن المقصود من التحنيك هو إدخال الشيء إلى أعلى داخل الفم، كما صرح بذلك كثير من الأعلام وعلماء اللغة، قال ابن منظور في لسان العرب:

«والحنك هو باطن أعلى الفم من داخل.... والتحنك أن تمضغ التمر وتدلكه بحنك الصبي داخل فمه»^(٨٠).

٩ - الإفطار على التربة الحسينية يومي الفطر وعاشوراء:

ذكر الشيخ الكليني في كتابه الكافي عن علي بن محمد النوفلي قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام إني أفطرت يوم الفطر على طين وتمر، فقال لي: جمعت بركة وسنة»^(٨١).

وجاء في الفقه الرضوي: «والذي يستحب الإفطار عليه يوم الفطر البر والتمر، وروي عن العالم عليه السلام الإفطار على السكر، وروي: أفضل ما يفطر عليه طين قبر الحسين عليه السلام»^(٨٢).

وقال الشيخ في مصباحه: (إذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر ثم تناول شيئاً من التربة)^(٨٣).

فهنا مطلبان:

الأول: جواز بل استحباب الإفطار على التربة الحسينية يوم عيد الفطر.

الثاني: استحباب الإفطار على التربة بعد العصر يوم عاشوراء.

أما بالنسبة للأول - أي الإفطار يوم العيد - فيظهر من الشيخ الصدوق عليه السلام الإفتاء به، وذلك لما التزم به في أول كتابه من أنه لا ينقل فيه إلا ما يفتي به بينه وبين ربه^(٨٤).

وأما بالنسبة للثاني - أي الإفطار عليه يوم عاشوراء - فيظهر من كتاب المصباح بأن الشيخ الطوسي عليه السلام يفتي به أيضاً، إلا أنه عاد وعدل عنه في كتاب النهاية حيث قال: (لا يجوز أكل شيء من الطين على اختلاف أجناسه إلا طين قبر الحسين بن علي عليه السلام فإنه يجوز أن يؤكل منه اليسير للاستشفاء به)^(٨٥). حيث حصر الجواز بقصد

الاستشفاء دون غيره.

ولكن جل الأصحاب لم يفتوا بجواز الإفطار على التربة في أي من الموردين، بل ندر أن تجد من يفتي بالجواز، والسبب في ذلك واضح؛ إذ أن مستند الحكم منحصر في ما ذكرناه، والمناقشة فيها غير خافية:

أما مرسله الفقه الرضوي فضعفها واضح، فلا يمكن الاستناد إليها. وأما ما نقله الشيخ في مصباحه - مضافا إلى عدوله عنه في كتاب النهاية - فلم نعرف مستنده، ولم يُسنده إلى أحد المعصومين عليه السلام.

أما رواية علي بن محمد النوفلي فقد أوردها الشيخ الحر العاملي رحمته الله في وسائل الشيعة^(٨٦) بهذا اللفظ الذي أورده، نقلا عن كتاب الكافي، وهي بهذا اللفظ ظاهرة في المدعى، إذ أن المنصرف من لفظ الطين هو طين قبر الحسين عليه السلام كما نبها عليه سابقا، ولكن في نسخة الكافي المطبوعة ورد «إني أفطرت يوم الفطر على تين وتمرة»، وهذا اللفظ لو صح لما كان في الرواية دلالة على المدعى، ولعل الصحيح هو ما نقله في الوسائل، بقرينة قوله (بركة وسنة)، وقد نقلها ابن طاووس رحمته الله عن الشيخ الكليني بنفس اللفظ الذي أورده في الوسائل^(٨٧)، كما رواها الصدوق في الفقيه أيضا بسنده عن علي بن محمد النوفلي إلا أنه قال: «إني أفطرت يوم الفطر على طين القبر وتمر»^(٨٨)، وعليه فالظاهر خطأ ما ورد في النسخة المطبوعة من الكافي، وهذا اللفظ الذي أورده الصدوق أشد صراحة من لفظ الكافي، إذ يعبر ب(طين القبر) بدلا من التعبير ب(طين).

وعلى أي حال فالرواية من جهة السند ضعيفة لوجود سهل ابن زياد في سند الشيخ الكليني، على أن نفس الراوي أي علي بن محمد النوفلي مجهول، إذ لم يرد في حقه أي توثيق، وهو موجود في سند الكليني والصدوق.

وعليه فهذه النصوص مع ما بها من ضعف، وإعراض الأصحاب عنها، لا تكفي لرفع اليد عن عمومات ما دل على حرمة أكل الطين.

هذا وربما أمكن حمل النصوص - كما فعل البعض - على ما إذا كان مريضاً وقصد الاستشفاء بأكلها، ورغم أن النص غير ظاهر في ذلك، إلا أن هذا الحمل أولى من طرح الرواية من رأس.

نعم لا ينبغي الشك في الجواز لو مُزج الطين بماء أو شراب على نحو يستهلك فيه، لارتفاع الاسم وخروجه بذلك عن موضوع الحرمة كما تقدمت الإشارة إليه فيما سبق، إلا أنه لا يختص بهذين اليومين كما هو واضح.

هذا تمام الكلام في هذا المبحث، وبه يتم الكلام في ما أردت إيراد من أحكام التربة الحسينية على مشرفها الآف التحية والسلام.

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَتَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَّلُوا مَهْجَتَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»..

الهوامش

- (١) العروة الوثقى ١: ١٨٩، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢) غاية المرام في شرح شرائع الإسلام ٤: ٦٥
- (٣) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ٧: ٣٢٦.
- (٤) العروة الوثقى ٢: ٨٢، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٥) وسائل الشيعة ٣: ٢٩. الحديث ٣ من الباب ١١ من أبواب التكفين.
- (٦) ستأتي الإشارة إلى هذه الروايات في ضمن المبحث السابع المتعلق بالاستشفاء بالتربة الحسينية.
- (٧) الدروس الشرعية ١: ١١٠.
- (٨) قال في العروة: والأولى أن يكتب الأدعية المذكورة بتربة قبر الحسين عليه السلام. راجع العروة الوثقى ٢: ٧٧، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٩) الاحتجاج ٢: ٤٨٩، وراجع وسائل الشيعة ٣: ٥٣، الحديث ٣ من الباب ٢٩ من أبواب التكفين.

- (١٠) وسائل الشيعة ٣: ٢٩. الحديث ٣ من الباب ١١ من أبواب التكفين.
- (١١) نقله عنه ابن إدريس في (السرائر ١: ١٦٢).
- (١٢) كابن إدريس في (السرائر ١: ١٦٢)، والعلامة في (مختلف الشيعة ١: ٤٠٦).
- (١٣) جامع المقاصد ١: ٣٩٦.
- (١٤) مصباح المتعبد: ١٨.
- (١٥) العروة الوثقى ٢: ١٢٠، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (١٦) منتهى المطلب ١: ٤٦١.
- (١٧) وسائل الشيعة ١٤: ٥٢٤، الحديث ٩ من الباب ٧٠ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (١٨) وسائل الشيعة ١٤: ٥٢٢، الحديث ٥ من الباب ٧٠ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (١٩) مصباح المتعبد: ٧٣٥.
- (٢٠) العروة الوثقى ٢: ٣٩٧، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢١) مصباح المتعبد: ٦٧٧. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٦، الحديث ٣ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٢) إرشاد القلوب: ١١٥. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٦، الحديث ٤ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٣) من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٤. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٥، الحديث ١ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٤) الاحتجاج: ٤٨٩. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٦، الحديث ٢ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٥) من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٧. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٧، الحديث ١ من الباب ١٧ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٦) العروة الوثقى ٢: ٦١٦، طبعة جامعة المدرسين في قم.
- (٢٧) من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٤. وراجع وسائل الشيعة ٥: ٣٦٥، الحديث ١ من الباب ١٦ من أبواب ما يسجد عليه.
- (٢٨) مصباح المتعبد: ٧٣٥، وراجع وسائل الشيعة ٦: ٤٥٦، الحديث ٦ من الباب ١٦ من أبواب التعقيب وما يناسبه.
- (٢٩) تهذيب الأحكام ٦: ٧٥، وراجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٣٦، الحديث ١ من الباب ٧٥ من أبواب المزار وما يناسبه.

- (٣٠) تهذيب الأحكام ٦: ٧٥، وراجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٣٦، الحديث ٢ من الباب ٧٥ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (٣١) أورد هذه المسائل في الجزء الثاني كتاب الأطعمة والأشربة، تحت عنوان «القول في غير الحيوان»
- (٣٢) الكافي ٦: ٢٦٥، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٦، الحديث ١ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٣٣) الكافي ٦: ٢٦٦، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٦، الحديث ٢ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٣٤) كامل الزيارات: ٢٨٦، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٨، الحديث ٤ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٣٥) مصباح المتهجد: ٦٧٦، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٩، الحديث ٦ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٣٦) كامل الزيارات: ٢٨٥، وراجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٢٨، الحديث ١ من الباب ٧٢ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (٣٧) مصباح المتهجد: ٦٧٧، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٩، الحديث ٧ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٣٨) كامل الزيارات: ٢٧٧، وراجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٣٠، الحديث ٤ من الباب ٧٢ من أبواب المزار وما يناسبه.
- (٣٩) وهما الرواية الخامسة والسادسة حيث ورد فيهما التقييد بمقدار الحمصة، وفي الرواية السابعة إشارة إلى كفاية القليل منه (مثل رأس الأتملة) وهو قريب من مقدار الحمصة.
- (٤٠) قال الشيخ في النهاية: ٥٩٠ (فإنه يجوز أن يؤكل منه السير للاستشفاء)، ومثله ابن البراج في كتاب المهذب ٢: ٤٢٩، وابن حمزة في الوسيلة: ٣٦٣، وابن زهرة في الغنية: ٣٩٧، وابن إدريس في السرائر ٣: ١٢٤.
- وقيد المحقق في الشرائع ٣: ٢٢٤ والمختصر النافع: ٢٤٥ بمقدار الحمصة، وتبعه على ذلك العلامة في القواعد ٣: ٣٢٩ والتحرير ٢: ١٦١، والشهيد الأول في الدروس ٣: ١٤ واللعة: ٢٣٠، وتبعهم أكثر من جاء بعدهم.
- (٤١) كامل الزيارات: ٢٨٠، وراجع وسائل الشيعة ٢٤: ٢٢٨، الحديث ٣ من الباب ٥٩ من أبواب الأطعمة المحرمة.
- (٤٢) كامل الزيارات: ٤٥٧. الباب ٨٩ الحديث ٤.

- (٤٣) كامل الزيارات : ٤٦٨. الباب ٩٣ الحديث ٢.
- (٤٤) كامل الزيارات : ٤٦٧. الباب ٩٢ الحديث ٦.
- (٤٥) كامل الزيارات : ٤٧٠. الباب ٩٣ الحديث ٥.
- (٤٦) تهذيب الأحكام ٦: ٧٢.
- (٤٧) كامل الزيارات : ٤٥٦. الباب ٨٩ الحديث ٢.
- (٤٨) كامل الزيارات : ٤٥٦. الباب ٨٩ الحديث ٣.
- (٤٩) كامل الزيارات : ٤٦٦. الباب ٩٢ الحديث ٤.
- (٥٠) عدة الأصول ١: ١٥٤.
- (٥١) فهرست كتب الشيعة وأصولهم: ٤٠٥. ترجمة ابن أبي عمير.
- (٥٢) فقد ضعف في (التهذيب ٩: ٣٩٣. الحديث ٩) سند رواية رواها ابن أبي عمير، لأن في سندها أبا سمينة، فلو كان الطريق الذي ذكره في الفهرست طريق لجميع روايات ابن أبي عمير لما كان هناك معنى لهذا التضعيف، لأن الرواية ستكون صحيحة بالطريق الفهرست.
- (٥٣) كامل الزيارات : ٤٥٧. الباب ٨٩ الحديث ٤.
- (٥٤) كامل الزيارات : ٤٧٨. الباب ٩٥ الحديث ٢، ومثله في ص ٤٧٣. الباب ٩٣ الحديث ١٠.
- (٥٥) كامل الزيارات : ٤٦٢. الباب ٩١ الحديث ٧.
- (٥٦) كامل الزيارات : ٤٧٦. الباب ٩٤ الحديث ١.
- (٥٧) كامل الزيارات : ٤٦٩. الباب ٩٣ الحديث ٣.
- (٥٨) كامل الزيارات : ٤٦٩. الباب ٩٣ الحديث ٤.
- (٥٩) كامل الزيارات : ٤٧٣. الباب ٩٣ الحديث ١٠.
- (٦٠) كامل الزيارات : ٤٧٤. الباب ٩٣ الحديث ١٢.
- (٦١) كامل الزيارات : ٤٧٧. الباب ٩٤ الحديث ٣.
- (٦٢) وسيلة النجاة، الجزء الثاني، كتاب النكاح، القول في أحكام الولادة وما يلحقها.
- (٦٣) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى: ٥٠٠.
- (٦٤) المهذب ٢: ٢٥٩.
- (٦٥) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ٣١٥.
- (٦٦) السرائر ٢: ٦٤٦.
- (٦٧) المختصر النافع: ١٩٣.

- (٦٨) قواعد الأحكام ٣: ٩٧.
- (٦٩) كفخر المحققين في إيضاح الفوائد ٣: ٢٥٨، والشهيد الأول في اللمعة الدمشقية: ١٧٥، وابن فهد في المهذب البارع ٣: ٤٢٣.
- (٧٠) الكافي ٦: ٢٤. وراجع وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧، الحديث ٣ من الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد.
- (٧١) كامل الزيارات: ٤٦٦. الباب ٩٢ الحديث ٢.
- (٧٢) وسائل الشيعة ١٤: ٤٠٤-٤٠٧، الباب ١٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الأحاديث ٢، ٧، ١٠. وراجع وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧، الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد، الأحاديث ٢، ٤.
- (٧٣) الكافي ٦: ٢٤.
- (٧٤) وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٧. الحديث ٤ من الباب ٣٦ من أبواب أحكام الأولاد.
- (٧٥) الكافي ٦: ٢٣.
- (٧٦) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٤.
- (٧٧) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٨.
- (٧٨) فقد روى البخاري في صحيحه (حدثني إسحق بن نصر حدثنا أبو أسامة قال حدثني بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمره ودعا له بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى) راجع صحيح البخاري ٥: ٢٠٨١.
- وروى مسلم حديثا آخر في تحنيك الرسول ﷺ لعبد الله ابن الزبير حينما ولد، راجع صحيح مسلم ٣: ١٦٩٠.
- ووردت روايات عديدة في بقية صحاحهم تشير إلى ما ذكرناه.
- (٧٩) الكافي ٦: ٢٤.
- (٨٠) لسان العرب ١٠: ٤١٦، مادة (حنك).
- (٨١) الكافي ٤: ١٧٠. وراجع وسائل الشيعة ٧: ٤٤٥. الحديث ١ من الباب ١٣ من أبواب صلاة العيد.
- (٨٢) فقه الرضا: ٢١٠.
- (٨٣) مصباح المتهجد: ٧٧١.
- (٨٤) ذكر ذلك في مقدمة كتابه، راجع (من لا يحضره الفقيه ١: ٣).
- (٨٥) النهاية في مجرد الفقه والفتوى: ٥٩٠.
- (٨٦) وسائل الشيعة ٧: ٤٤٥. الحديث ١ من الباب ١٣ من أبواب صلاة العيد.
- (٨٧) إقبال الأعمال: ٢٨١.
- (٨٨) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٧٤.

الإنسان والمسؤولية

السيد مجيد السيد حمزة العلوي

جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في وقت قد تخلت فيه الغالبية الساحقة من أبناء الأمة عن مسؤوليتها الملقاة على عاتقها، فقام صلوات الله وسلامه عليه بمرسته المباركة من أجل أن يعيد الأمة إلى مسارها الصحيح وأن يضعها على خط المسؤولية الذي أراده الله لها. فنجدد وهو في طريقه إلى العراق يذكر الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله))^(١) فنجد كلمة (يغير) تفتح على الإنسان باباً واسعاً من المسؤولية بحيث يبدأ عملية التغيير بالنفس، ومنها ينتقل إلى الأهل والمجتمع بما فيه من الحاكم والمحكوم. فمسؤولية الإنسان في هذا العالم الواسع تختلف عن بقية الكائنات.

فما هي العوامل التي يمكن لها أن توفر العون للإنسان في تحمل عبء هذه المسؤولية؟

يعتبر الإنسان أشرف مخلوقات الله وأكرمها وأعظمها على وجه الأرض فقد خلقه وميزه بخصائص ومميزات جعلته مؤهلاً لتحمل المسؤولية الإلهية، فهو يملك العلم والإدراك والإرادة، وأودع فيه العقل هذه النعمة العظيمة التي يستطيع من خلالها أن يصل إلى أعلى مراتب الكمال، هذا العقل الذي يدرك من خلاله عواقب الأمور، وبه يسيطر على شهواته وميولاته النفسية وبه يصل إلى السعادة

الأبدية.

فإن الجمادات والنباتات لا تملك العلم والإدراك والإرادة، فهي غير مؤهلة لتحمل المسؤولية، لأنها غير مسؤولة عن أعمالها، والحيوانات كذلك غير مؤهلة لذلك وإن كانت تملك الشعور والإحساس والإرادة ولكنها فاقدة للعقل، فهي غير قادرة على التفكير والتدبر في عواقب أعمالها، ولا يمكنها العمل وفق ضوابط وقوانين الحياة.

أما الملائكة فلا يتصور في حقهم المعصية، فإن وظيفتهم محددة. ((لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون))^(٢)

هذا الكون الواسع قد حدد الله عز وجل فيه وظيفة لكل كائن من أصغرها حتى أكبر شيء فيه، فلا تكاد ترى شيئاً إلا وله وظيفة قد تكون معلومة بالنسبة لنا وقد لا تكون كذلك.

وإذا كانت الكائنات الأخرى مسيرة لما خلقت له - أي تمضي في القيام بواجباتها حسب نظام كوني قدره الله لها - ينبغي للإنسان وهو الكائن المختار ذو الإرادة - بحسب طبيعته أيضاً - أن يعمل بمسؤولياته التي أوجبه الله عليه وإن كان يمكنه أن يتخلى عنها بحسب اختياره، ومن هنا تترتب النتائج فوزاً أو خسارة.

فالإنسان بطبيعته يختلف عن بقية الكائنات فقد روي عن عبد الله بن سنان أنه قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت: الملائكة أفضل أم ابن آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر.

من البهائم^(٣).

فالإنسان عندما يستخدم نعمة العقل ويفعلها في حياته يكون قد وصل إلى مرحلة تؤهله لتحمل المسؤولية التي عبرت عنها الآية (بالأمانة) ((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقت منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً))^(٤)

وعندما نلاحظ الرسائل السماوية نجدها كلها جاءت لتبين للإنسان طبيعة هذه المسؤولية وتُعرفه الطريق الذي يسلكه من أجل الوصول لأداء هذه المسؤولية، فالله عز وجل عندما خلق هذا الإنسان لم يخلقه عبثاً ((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون))^(٥) بل خلقه لهدف سام وعظيم.

ففي الرواية عن جعفر بن عمارة عن أبيه، قال سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: لم خلق الله الخلق؟

فقال: ((إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة، ولا ليدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد))^(٦).

فالإنسان إنما خلق لكي يؤدي هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، فإذا قام بمسؤوليته استوجب بذلك رضوان الله عز وجل وعادت المنفعة لهذا الإنسان وحصل على النعيم الأبدي.

فقد شاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه الدنيا ورشة عمل كبيرة، وساحة سباق وتنافس في الخيرات.. ((هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن

عملاً^(٧).

حتى إذا انتهت هذه المرحلة الأرضية منذ أبينا آدم وحتى آخر مخلوق أقبلنا على الساحة الثانية (المحشر والقيامة) التي يعلو فيها النداء ((وقفوهم إنهم مسؤولون))^(٨)

فقبل أن نقف ذلك الموقف الحرج والصعب وهو يوم الحساب، فكما ورد عنهم عليهم السلام ((اليوم عملٌ بلا حساب، وغداً حساب بلا عمل))^(٩).
نحتاج أن نبادر للقيام بالمسؤوليات الملقاة على عواتقنا، فهناك عوامل تساعدنا في ذلك منها:

١ - الإيمان

نحن نؤمن بالله عز وجل على نحو الإجمال، ولكن نحتاج إلى معرفته والإيمان به على نحو التفصيل.. في آياته في الكون، وفي آياته في الكتاب الكريم.. فكلما ازددنا إيماناً بالله ازددنا حباً له وطاعة لما يريد من مسؤوليات، فهناك حالة طردية بين الإيمان والقيام بالمسؤوليات.

٢ - العلم والمعرفة

كان العلم والمعرفة منذ البدء وسيبقيان سلاحين في معركة الإنسان ضد الجهل والكفر وجميع الأوضاع الظلامية والمتخلفة.
والعلم والمعرفة ليسا مجرد عملية حفظ مصطلحات وتخزين وتكديس للمعلومات، فالمعرفة في الإسلام مسؤولية (من عرف دلته معرفته على العمل)^(١٠)

ومن هنا فلا بد من العمل على تنويع وتوظيف معارفنا من أجل أن تساعدنا على القيام بمسؤوليتنا.

٣ - العزم والإرادة

من غير العزم والإرادة سوف لن يستطيع الإنسان القيام بأي مسؤولية عليه، فعندما يفقد الإنسان العزم والإرادة ويميل إلى الدعة والراحة ويشترك في مجالس اللغو واللهو والثرثرة والتصرفات اللامسؤولة سوف يُضيع الكثير من طاقته، وسوف يتجه للخمول والكسل والتفاعس بحيث يفقد الكثير الكثير من طاقته. الإنسان في موسم العطاء (مرحلة الشباب) يستطيع أن يقوي عزمه وإرادته بحيث تنعكس هذه المرحلة على جميع مراحل حياته وتكون سبب لنجاته.

٤ - التفقه في الدين:

إن مسؤولية الإنسان منذ أن تطأ قدماه ساحة البلوغ هي التفقه في الدين وهي مسؤولية تتطلب التعرف على حلال الله وحرامه في شؤون الحياة كلها. إن الثقافة الفقهية ليست حاجة كمالية بل حاجة أساسية على اعتبار أنها تحدد لك موقفك الشرعي من الأحداث والسلوك والمعاملات والعلامات، ذلك أن الشريعة هي قانون الحياة الإسلامية ودستورها، وأي جهل بالقانون يؤدي لا محالة إلى عدد من المخالفات التي تضر بالمخالف نفسه من جهة وبمن يتعامل معهم في المحيط الاجتماعي من جهة ثانية. إن السبيل للقيام بالمسؤولية على أكمل وجه هو التفقه في الدين، فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ((الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل

الرفيعة))^(١١).

هذا الحديث يوضح مسألة مهمة هي أن الإنسان الذي يقوم بمسؤوليته على أكمل وجه يحصل على أعلى الدرجات الإنسانية، ويكون موضع تقدير واعتزاز، ويكون مورداً للطف الإلهي.

نماذج من مسؤوليات الإنسان:^(١٢)

١ - المسؤولية أمام الله تعالى:

كلُّ المسؤوليات تجتمع في النهاية لديه، ولا سبيل للفوز برضوان الله وجنته إلا بسلوك الصراط المستقيم.

٢ - مسؤولية الانتماء إلى الإسلام:

فالإسلام وهو - كما تعرف - ليس مجرد نطق بالشهادتين ولا مجرد عبادات شكلية بل هو عملٌ كله، ولهذا نرى أن هناك عدداً من الأحاديث أخرجت بعض المسلمين من أسرة المسلمين لأنهم لم يلتزموا ولم يعملوا بمتطلبات الإيمان، ونظرة فاحصة في هذه الأحاديث تبين لنا أن (الإسلام مسؤولية) في كل شيء وأن كلمة (ليس منا) هي استبعاد لكل من لا يشعر بمسؤوليته عن دائرة الإسلام.

٣ - مسؤولية الوقت:

أعمارنا هبة الله إلينا، وهي المساحة الواسعة من الأراضي الزراعية التي ترك لنا زراعتها، حتى إذا كان يوم الحصاد الأكبر (يوم القيامة) سألنا عما فعلنا بمزارعنا، وعن محاصيلنا فيها.



٤ - مسؤولية العلم:

مسؤولية العلم لا تجوز لك أن تكتم علمك أو تحجبه أو تخفيه عمّن هم بحاجة إليه فذلك أخطر من أن تحتكر غذاء، فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ في التحذير من كتمان العلم (كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء)^(١٣).

٥ - مسؤولية الكلمة:

الكلمة في الإسلام مسؤولية (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)^(١٤) رقيب يراقب أقواله في الخير وفي الشر، ذلك لأن اللسان كما في الحديث (مفتاح خير ومفتاح شر)^(١٥).
ومسؤولية الكلمة تتحد في التفكير بها قبل إطلاقها، وإتباع الأسلوب الأمثل في إطلاقها ودراسة انعكاسها وتأثيرها على من يتلقونها.
إن كلماتنا الجميلة هي مثل الهدايا. يستحسن أن نقدمها مغلفة بغلاف جميل حتى تسر الذين نقدمها إليهم.
وكلماتنا الناقدة مثل وخزات الإبر. يفضل أن لا تكون موجهة للدرجة التي تجرح سامعيها.
كلمتك إذاً مسؤوليتك ومادامت في عهدتك وتحت طي لسانك فأنت قادر على التحكم بها، فإذا خرجت صارت في عهدة الآخرين وعليها تترتب النتائج السلبية والإيجابية.
كلمتك صوتك.. هي أنت.. فلا تتبرع بها بالجان.. ولا تجعلها السفلى في تأييد

باطل هنا ومنكر هناك.

٦ - مسؤولية العمل:

نحن أتباع دين يراد لنا أن نقرن (القول) بـ (العمل) وأن لا تكون كلماتنا أكبر من حجم قدراتنا، فالأعمال عادة تتكلم بصوت أعلى من الأقوال ولذا جاء في الحديث ((كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم حتى يروا منكم الورع والاجتهاد والتقوى فذلك داعية))^(١٦).

دلالة على قدرة العمل الخارجي على التأثير.

٧ - المسؤولية الشرعية:

إن الطريق إلى هذه المسؤولية يكون عبر الرجوع إلى الأمانة على الشريعة ممن يوثق بعلمهم ودينهم وبأخلاقهم ممن يستنبطون أحكام الحلال والحرام من مصادرها الشرعية المعتمدة.

٨ - المسؤولية الأدبية والأخلاقية:

مسؤولية الإنسان هي نشر الفضيلة والأخلاق الإسلامية الحسنة، ومكافحة المساويى والرذائل الأخلاقية، فعلاوة على أن هذه مسؤولية دينية فإنها مسؤولية اجتماعية أيضاً.

والمسؤولية الأدبية تنتظر من الإنسان أن لا يكون خشبة في مجرى الحملات المشبوهة التي تنسف هويته الإسلامية وتدعوه بأساليبها المختلفة إلى نبذ القيم وضرب العادات والتقاليد عرض الحائط.

٩ - المسؤولية الاجتماعية:

الإنسان في المجتمع تربطه من حوله شبكة من العلاقات: علاقة مع الوالدين والأسرة والأقرباء، وعلاقة مع الأخوات والأصدقاء والزملاء وعلاقة مع عامة الناس.

في العلاقة مع الوالدين والأسرة بما يتصل بها من الأرحام، فالإنسان مسؤول عن الإحسان للوالدين والبرّ بهما، وفي العلاقة مع أفراد الأسرة فالإنسان مسؤول عن احترام الكبير والعطف على الصغير مما يحقق الراحة النفسية للجميع، ويزيد الألفة والمحبة بينهم، والإنسان في حالة انتسابه لأسرة ذات سمعة حسنة بين الناس (فإن ذلك) يحمّله أيضاً مسؤولية الحفاظ على سمعتها نقية زاهية. أما العلاقة مع الأخوان والأصحاب والأصدقاء فالإنسان مسؤول بأن بينها على أساس (الإيمان) (إنما المؤمنون إخوة)^(١٧) حتى ينتفع بصحبتهم في الدنيا والآخرة، ومسؤول عن إصلاح الخلل فيما يقع بين الأخوات المقربين وأن يكون مرآتهم التي يرون منها جمال تصرفاتهم وقبحها. وكذلك الإنسان مسؤول عن الناس الذين يعيشون حوله بحيث يسعى لخدمتهم والتعاون معهم في أعمال الخير والبر.

١٠ - المسؤولية الاقتصادية:

ونعني بها مسؤولية الإنسان في ترشيد الإنفاق والإستهلاك، فقد سادت أو شاعت النظرة المادية في حياتنا حتى تهالك الناس على الاستهلاك المبالغ فيه للحاجيات بما يصل إلى حدّ التبذير والإسراف في بعض الأمور غير الضرورية أو

غير الأساسية.

المسؤولية الاقتصادية تتطلب أيضاً من الإنسان الميسور الحال أن يكون له إنفاق خيري وما أكثر مجالاته.

١١ - المسؤولية السياسية والإعلامية:

في الحديث الشريف ((من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم))^(١٨) هذه دعوة واسعة، مفتوحة للاهتمام بأمر وشؤون المسلمين أينما كانوا.. الاهتمام هنا لا يقف عند حد التألم لما يتألمون والفرح بما يفرحون، بل يشتمل كل ما من شأنه أن يجعل حياتهم المادية والمعنوية كأفضل ما يكون.

وعلى ضوء ذلك فإن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينحصر في الدعوة إلى الإصلاحات الأخلاقية ومحاربة المنكرات الاجتماعية فقط، بل يمثل مسؤوليتنا كمسلمين في أن يكون لنا (موقف) من الإصلاح والفساد كله.. بأن نغير الفساد بمختلف أساليب التغيير وضمن الإمكانيات المتاحة التي تسمح بها الشريعة... ونشجع الإصلاح والمعروف.

مثلاً قد تبدو في نظر البعض مقاطعة سلع وبضائع العدو المحتل غير مؤثرة كثيراً على اقتصاد سوقه لكنها في حساب الموقف كبيرة جداً.

إنها تمثل (ثقافة الحضور) فمقاطعة هنا ومقاطعة هناك، تجعل الرقعة تتسع والتأثير يكبر والعدو يصرخ متألماً.

ولذا فإن الطريق إلى تحمل المسؤولية السياسية يمر من عدة قنوات؛ إحداها (الوعي) واليقظة السياسية لما يجري هنا وهناك من مخططات وشعارات ومؤامرات وتحركات ليس على الساحة المحلية فقط بل الدولية أيضاً.

ثم (الحضور السياسي) بأن يكون للإنسان رأيه في قضايا أمته الحاضرة والمستقبلية، لسبب بسيط وهو أنه جزء لا يتجزأ من هذه الأمة... والمسؤولية الإعلامية تتركز في نقد الإعلام الهابط وعدم التعاطي مع مواده على أنها مقدسة لا يطالها النقد، بل لابد من الكتابة إلى الصحف والمجلات عن الإعلام التغريبي والمطالبة بوضع حد له. إن غياب النقد لهذا الإعلام سوف يرفع من مكانته ويوسع من قنواته، كما أن الإقبال على البرامج النظيفة التي راحت تبث في هذه القناة أو تلك، أو هذا الموقع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) أو ذلك سوف يفتح للإنسان نوافذ جديدة وجادة للمعرفة.

١٣ - المسؤولية التاريخية:

صفحات التاريخ بخيرها وشرها انطوت.. إنها مسؤولية الماضين لا نحاسب على سلبياتها ولا نكافأ على إيجابياتها، ولكن ما هو الموقف من التاريخ؟ إن دروس التاريخ وعبره كثيرة يمكن أن نستلهم منها أفكاراً وخبرات وتجارب جديدة، فلقد ثبت بالتجربة أن الذين أمعنوا النظر في التاريخ وتعمقوا في دلالات أحداثه كانوا أقوياء في نظرتهم للواقع والمستقبل. نحن لا ندعو إلى الاستغراق في الماضي، ولكننا نأخذ من ماضينا لحاضرنا مما ينفع ويغني وتلك دعوة القرآن إلينا:

((قل سيروا في الأرض فانظروا...))^(١٩)

وكذلك اهتم القرآن بسرد قصص الأمم الماضية حيث قال ((لقد كان في

قصصهم عبرة لأولى الألباب))^(٢٠).

على طريق المسؤولية:^(٢١)

- ١ - المسؤوليات معرفة؛ اعرف تفاصيل المسؤولية لتعرف ماذا يراد منك؟ اعرف أهميتها حتى تتفاعل معها وتسعى لتحقيقها.
 - ٢ - كن مشغولاً بما أنت عنه مسؤول فمن اشتغل بالمهم ضيِّع الأهم فليس في الحياة متسع للهوامش والقشور والتوافه من الأمور.
 - ٣ - الروتينية والرتابة يقتلان روح المسؤولية.. حاول أن تجدد في أسلوب التعامل مع مسؤولياتك ولا تجمد على حالة معينة، فالركود والتقليد الأعمى يحولان المسؤوليات إلى أعباء لا يطيق الكاهل حملها.
 - ٤ - لا تؤجل المسؤوليات لأنها تتراكم وبالتالي فقد تهمل لصعوبة القيام بها في الحديث (إياك والتسويق، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى)^(٢٢).
 - ٥ - تعاطى مع المسؤولية بروح منفتحة وكأنك أنت أخذتها على نفسك حتى تتمكن من إنجازها على أحسن وجه.. أحبب المسؤولية يتحسن إنتاجك.
 - ٦ - المسؤولية إثراء لأبعاد الشخصية، فبقدر ما تأخذ المسؤولية من وقتك وجهدك تعطيك عقلاً أنضج وقدرة على التحمل أكبر، وتجربة أغنى ومعرفة أوسع.
 - ٧ - الكسل والضجر عدوان لدودان للمسؤولية، ((إياك والكسل والضجر، فمن كسل لم يؤدي حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق))^(٢٣).
- الكسل خمول وفتور في المهمة، والضجر ملل وسأم وتبرم وانصراف عن القيام

بالمسؤولية.

٨ - الروح الجماعية في إنجاز المسؤوليات تساعد على التخفيف من ثقلها وعلى الإبداع في إنجازها وعلى الشعور بالمسؤولية في تحقيق مهام مشتركة تقرب الأهداف البعيدة.

٩ - قراءة كتاب الله المجيد والأحاديث الشريفة والصحيحة التي توافق كتاب الله أفضل مجال للتثقيف بالمسؤوليات.

١٠ - الإصرار على القيام بالمسؤولية حتى الوصول إلى الهدف وبغض النظر عن النتائج، فإن الطبيب يتحتم عليه بذل قصارى جهده في علاج المريض ونجاحه يتمثل في بذل جهده وبغض النظر عن شفاء المريض وعدمه.

نتائج الإلتزام بالمسؤولية

إن العمل بأية مسؤولية والقيام بمهامها على أكمل وجه سيؤدي إلى واحدة أو أكثر من النتائج التالية:

١ - إن الأخذ (بمبدأ المسؤولية) يفتح باب الحرية بطريقة منظمة لا تعدي فيها ولا ظلم.

٢ - المسؤولية توجه نشاط الإنسان وتجعله ذا موقف وإرادة، أي أن الإنسان المسؤول يتحول بتحملة لأعباء المسؤولية إلى إنسان هادف، فلا يتحرك إلا نحو هدف مرصود.

٣ - المسؤولية الإسلامية، لا هوية جغرافية لها، فمساحتها العالم كله.

٤ - النماذج الإيجابية الناهضة بمسؤولياتها على ما يرام تعمل كأدوات محرضة أو محفزة على الاحتذاء والتأسي من قبل المتقاعسين أو المتصلين.

٥ - بقدر ما يحمل الإنسان من أعباء المسؤولية في هذه الدنيا تتحدد له مستويات الثواب والعقاب في الآخرة.

كلمة أخيرة..

حينما قال رسول الله ﷺ:

((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))^(٢٤) فإنه قد جعل كل مسلم مسؤولاً

مهتماً كان موقعه في المجتمع.

من هنا، فإن حالة القنوط والتشاؤم التي تنتشر في أوساط الناس لا بد من نزعها من طريقهم والعمل على بث روح التفاؤل والأمل وفتح أبواب الحوار الجاد المثمر القائم على احترام رأي الآخر حتى لو اختلف معنا.

المواهب

- (١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢.
- (٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
- (٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٢٤.
- (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.
- (٥) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.
- (٦) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٢٤.
- (٧) سورة الملك، الآية: ٣.
- (٨) سورة الصافات، الآية ٢٤.
- (٩) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٢.
- (١٠) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٨٧٠.
- (١١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٤٥٤.
- (١٢) اعتمدت في مادة هذا الباب على كتاب (الشباب تطلع نحو المسؤولية) صادر عن دار البلاغ.
- (١٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٧٤.

- (١٤) سورة ق، الآية: ٨.
(١٥) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٧٧٧.
(١٦) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٦٠٢.
(١٧) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(١٨) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٣٤٤.
(١٩) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٢٠) سورة يونس، الآية: ١١٠.
(٢١) استفدت من نفس المصدر السابق.
(٢٢) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٣٨٨.
(٢٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٧٠٦.
(٢٤) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٢١٢.

مآلِم رابع ومآلِم مهسؤل عن رعبئه



التطور والإبداع بين السلب والإيجاب

حسن عيسى مرزوق

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)

المقدمة

لقد أودع الله في الإنسان نعماً كثيرة، من طاقات جبارة وقدرات عظيمة، وشرّفه بنعمة العقل والتفكير والاختيار، ونتاج هذه المواهب من أفعال الإنسان تجسيد لهذه الطاقات والقدرات، وعندما تتحول هذه الطاقات إلى أعمال مخربة أو غير هادفة فكأنها فנית أو ضاعت، فهي كمثل الإنسان الذي يحمل معه ثروة عظيمة، ولكنه لا يحسن التدبير ولا يدري ما يفعل بها فيتلفها بسوء تدبيره. والخسران الحقيقي والمضاعف هو أن يفقد الإنسان كل شيء في مسالك خاطئة ومجالات منحرفة ويظن أنه أحسن العمل، ولا يلتفت إلى ما هو فيه فيعيش الجهل المركب، فيكون مصداقاً للآية المباركة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢).

ولذلك لا بد لنا أن نوظّف هذه النعم و الطاقات والملكات في السير نحو التكامل ونحو الهدف من خلقنا، ولا يمكن الوصول إلى التكامل المنشود إلاّ بالتعامل والتعاون والتشاور فيما بيننا وحفظ المواقع والخصوصيات لكل فرد بحسب الإمكانيات والتخصصات والقدرات التي يحملها.



مدخل

انتشرت بعض الظواهر الخطيرة في مجتمعاتنا المحافظة باسم التطور والإبداع، نتيجة المدّ الثقافي المنحرف ضمن مخطط مدرّوس ومحكم لاغتيال الهوية الدينية، فكان من ضمن قنواته - وللأسف الشديد- بعض المفكرين والباحثين والذين يشهدون بالشهادتين ولكنهم مصابون بفيروس الحداثة المطلقة غير المراعية للقيم والتعاليم الإسلامية والعرفية؛ وأخرى نتيجة الجهل الفقهي والفقر العقائدي والتهاون في مواجهته، وبالتالي فقدان المناعة الفقهية والدرع العقائدي السبب الذي سهّل كثيراً إختراق مجتمعا في دينه وفكره وعرفه وأصالته، ولذلك فعلى المعنيين من طلبة علوم ومثقفين وعاملين وكل من له موقع ديني و اجتماعي ممن يحملون الحس الأصيل، التفكير الجاد في إعادة تقويم كثير من الظواهر والتحرّك نحو إيقاف هذا المدّ والأخذ بيد الأجيال القادمة نحو الأصالة الدينية، والعودة إلى التقاليد والقيم الإسلامية السامية التي نشأت عليها مجتمعاتنا، والسير قدماً نحو التطور والإبداع بتفعيل الطاقات العاملة واستثمار الكوادر الفاعلة وإبراز القدرات الكامنة والعمل على تهذيب هذه التطوّرات والإبداعات بأن تكون ضمن الإطار الإسلامي المحافظ فقهياً وعرفياً.

ولو أفقنا قليلاً من عمليّة التخدير، وتأمّلنا في مفاصل الحياة وخصوصاً في المواسم العبادية والطقوس الدينية كشهر رمضان، وأيام عاشوراء، و الحج والعمرة، ومواسم الزيارات لرأينا بوضوح مدى التجاوزات الفقهية والأخلاقية والعرفية، فبعد أن كان شهر رمضان شهر القرآن والدعاء والعبادة، صار عند الكثير من أهل زماننا شهر التلفاز في برامج المبتذلة والسهر مع آلات اللهو،

واستبدلت المساجد و المآتم و مجالس القرآن بالمجمعات التجارية و مراكز الإنترنت إلى وجه النهار، وأما عن محرم الحرام شهر العطاء الحسيني شهر العفاف الزيني شهر البطولة الهاشمية شهر الوفاء المظاهري، هذه الأيام العظيمة التي سقتنا من فيض عطائها إيماناً وفكراً نقياً عبر منابرها ومواقبها، نرى فيها اليوم بعض التجاوزات والاشتباكات عند بعض الإخوة (الرواديد) الأعزاء في ما انتشر مؤخراً من إصدارات خاصة لجلوات الأفراح و اللطميات العزائية _ وأنا أقول البعض _ والتي اشتملت على بعض الكلمات وبعض الألحان والتأثيرات الصوتية التي لا تتناسب مع الرأي الفقهي في بعض صورها، ولا تتوافق مع الذوق العرفي المحافظ في بلداننا الكريمة تحت عناوين كثيرة، منها التطور والإبداع من أجل التأثير. وبما أن تأثير اللطميات العزائية وانتشارها على مستوى البلدان الإسلامية وفي الوسط الشبابي كبير جداً، سنتعرض إلى عدة التفاتات مهمة في المسألة متوكلين على الله الرب الرحيم :

الأولى

تردد شعار أن سماع هذه الإصدارات بهذه الكيفية بديل عن سماع الأغاني. هذا الشعار وإن كان في ظاهره حسن إلا أنه يحتاج إلى ترميم وتصحيح... أولاً : إذا كان الهدف من العزاء هو الانتقال بمشاعر وأحاسيس السامع إلى جو خاص يتناسب مع مقام هذا الحدث الأليم على المسلمين، فإذا صار سماع العزاء بديل عن سماع الغناء وكان تأثير العزاء على السامع هو نفس التأثير الذي كان يستشعره عند سماع الغناء مع اختلاف المادة فقط، فهذا يعني قتل الهدف الحسيني الكبير من هذا العزاء، وهو نقل المجتمع إلى أن يعيش كربلاء في قيمها ومأساتها،



بل إنه يؤدي إلى وأد الحركة الحسينية وتحويلها من معركة نضال إلى أغنية جميلة وأنشودة عذبة كسائر الأناشيد.

ثانياً : الإسلام لم يأت لإيجاد البدائل عن المعاصي والمخالفات والعادات الجاهلية، بل جاء بقوانين جديدة، وجاء ناسخاً للشرائع السابقة وملغياً لكثير من العادات الجاهلية مثل العبودية وشرب الخمر وواد البنات وغيرها، ودعا إلى كل ما يتناسب مع الفطرة السليمة ليحفظ بذلك كرامة الإنسان وسعادته. إذاً.. فعلينا الاختيار بين الإسلام وغيره لا على أساس أن الإسلام يتكفل بإيجاد البديل عن الخمر و الميسر وعن المحرمات التي كانت تُمارس قبل الإسلام، بل على أساس أنه الدين القيم الذي تكفل قوانينه للإنسان العدالة والمساواة والكرامة والسعادة. قال تعالى : (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(٣). وقال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...)^(٤) وقال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٥)، و امتازت الشريعة الإسلامية بالشمول، ووضع الحلول لكافة المشاكل التي تعترى الإنسان في جميع جوانب الحياة، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٦) فالإسلام أوجد الحلول بإيجاد شريعة كاملة لا أنه يُوجد البدائل عن المعاصي كلما ظهرت واستجدت، أي إذا اعتاد الناس على ممارسات مخالفة للدين وصارت من روتين الحياة، واقتحموا المحرمات نتيجة عدم مراعاتهم للحكم الشرعي، فيتبين لهم بعد ذلك أنها تصطدم مع الشريعة المقدسة، طُلب من الإسلام أن يُوجد البديل وإلاّ اتهم الإسلام بالنقص وعدم القدرة على إدارة الحياة !!

ولذلك لو تعاملنا مع العزاء بهذه النظرة الشكلية فقط وهي التركيز على جودة اللحن وقوة التأثير في إحداث نشوة عند المستمع كما يركز عليه الملحنون فإننا بذلك قد ربطنا المستمع بأجواء اللحن نفسه، بمعنى أن نفس النشوة والاهتزاز اللهوي الذي يبغضه الشرع المقدس ومن أجله حُرِّم الغناء والموسيقى اللهويَّة، نكون نحن قد ساهمنا في زرعه وترسيخه في النفوس من خلال العزاء وهذا ما أراد الشرع المقدس إبعاد الناس عنه.

الثانية

نحن نعلم أننا في زمنٍ كثرت فيه الشبهات، واستعرَّ الغزو الثقافي من خلال القنوات الفضائية والإنترنت الذي أثر سلباً على عقول شبابنا وصار الشاب يتأثر ويتزلزل بأبسط إشكال على الدين والعقيدة، وذلك لعدم وجود الحصانة الدينية _ الفقهية والعقائدية _ الكافية، وهذا يدعوننا إلى أن نحافظ على الأصالة في ديننا وتقاليدنا التي ورثناها من أئمتنا وأجدادنا وأن لا يكون التطور والإبداع والارتقاء على حساب تمييع وطمس الهوية الحسينية الأصيلة، وخير مثال على ذلك هو المنبر الحسيني، فمنذ وعينا هذه الحياة كان المنبر ولا يزال هو المنبع الأصيل الذي تربينا تحته وتطور بما يتناسب وهذا المكان المقدس، تطور في الأسلوب و الفكرة والكلمة المربية، ورفع مستوى الوعي، وربط الناس بالقرآن وبأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً صاحب العصر عليه السلام منبع العلوم والمعارف. فالمفروض علينا كشعبة حسنيين أن نُسخِّر كل الشعائر كالمُنبر والعزاء لما يخدم تأصيل العقيدة في النفوس، وربطها بمبادئ أهل البيت عليهم السلام من خلال اختيار الكلمة الهادفة والألحان المشجعية التي تربط ذهن المستمع بفضاعة المأساة وتزرع في

قلبه بذور حب الحسين عليه السلام ومبادئ الحسين عليه السلام لتأثره العاطفي بالحسين عليه السلام، فإن التأثير العاطفي يجذب الإنسان إلى التفاعل مع قضية الحسين عليه السلام ومشروعه.

الثالثة

مسألة وجود استفتاءات لبعض الفقهاء في جواز شراء (الأورغ) نوع من آلات الموسيقى يُعزف عليه بأصابع اليد على أنه من الآلات المشتركة وإخراج الألحان المحللة منه :

نُعلق عليها بأن الفقيه إنما يُفتيك بالعنوان الأولي. أي بما توصل إليه من حكم شرعي بعد النظر في الأدلة الشرعية بعيداً عن الظروف المحيطة بالسائل ولو علم الفقيه ببعض المفاصد التي تترتب على الحكم فلعله يحكم بعدم الجواز بالعنوان الثانوي، وعليه فليس كل فعل مباح يُفعل، إذ لا بد قبل الإقدام على أي تصريح أو فعل ملاحظة مقدار المفسدة والمصلحة، حيث أن هناك بعض التصريحات وبعض الأفعال المباحة بل وبعض الأفعال المستحبة، قد تكون مفاصدها في مكان وزمن معينين أو لبعض فئات المجتمع مثل الرموز الدينية أكبر، مثلاً : مسألة ترك العبادة ولبس (البالطو) وإن كان جائزاً إذا لم يُظهر مفاتن المرأة، ولكن صار باباً لتتطور هذه الظاهرة حتى وصلت إلى حد الانحراف في (موديلاتهما) بلا شعور عند البعض، ومثال آخر (العقد المنقطع) فعل مستحب، إلا أنه إذا تحوّل إلى حالة من الفوضى وعدم الانضباط ونشر المفاصد الاجتماعية والأسرية صار وباءاً على المجتمع بعد أن كان حلاً لمشاكل عديدة، بل إن من الأمور المهمة التي يجب ملاحظتها أن لا تتحوّل ممارساتنا للشعائر وسيلة لهتك حرمة المذهب ووهنه في نظر الناس فإنه بذلك تتحول الشعيرة الحسينية إلى معول يهدم كرامة المذهب

فتكون محرمة، فكما أن استخدام المتعة كالزنا في بعض الأماكن يُسيء لسمعة أهل البيت عليهم السلام ومذهبهم فكذلك تحويل العزاء لألحان وتأثيرات صاخبة مناسبة لمجالس اللهو يوجب سخرية المجتمعات العقلانية بالطائفة ويشوه سمعتها ونقاء صورتها.

الرابعة

يتمسك البعض أيضا بساحة إيران ولبنان، بأن إيران ولبنان يستعملون هذه الآلات ويعزفون مثل هذه الألحان وغيرها من الأمور. أقول :

أولاً : إن الحجة علينا هو الرجوع إلى رأي الشرع من خلال علماء الدين لا إلى ما تعارف عليه في بعض المجتمعات، أي أن سماعنا لموسيقى تُبث عبر إذاعة أو تلفزيون لدولة أو جهة إسلامية لا يكون ذلك دليلاً على حليتها وجواز الاستماع إليها فضلاً عن تقليدها وإنشادها بنفس الطريقة.

ثانياً : إن ساحة إيران ولبنان والبحرين وأي دولة تختلف ظروفها الاجتماعية والسياسية وغير ذلك عن بعضها البعض فلا نجر ساحة لبنان إلى البحرين ولا يجر الإيراني ساحة البحرين إليه قبل أن ينظر في ملابساتها وهل أن ظروفها تتناسب مع ظروف مجتمعه الدينية والعرفية أم لا؟ باعتبار أن للعرف دخالة في ترتب كثير من الأحكام الشرعية.

الخامسة

بقدر ما نحن مأمورين بالاهتمام بقضية سيد الشهداء عليه السلام وأبناءه المعصومين عليهم السلام، فنحن مأمورين أيضاً بالاهتمام بجوانب أخرى مهمة إن لم تكن أهم، وهو الاهتمام بالقرآن الكريم قراءة واستماعاً وتدارساً وتدبراً، فلا نكون مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ



مَهْجُورًا ﴿٧﴾؛ وكذلك الأدعية والزيارات والمحاضرات وغيرها. إذاً لا بد أن نعمل جميعاً على إيجاد برامج لتشجيع الشباب من الرجال والنساء للمحافظة على القرآن درساً وتديساً حيث ورد عن الأمير عليه السلام : (.. وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص...) - نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ج ١ ص ٢١٦، وعلى الشباب المؤمن أن يتقدم للمشاركة في المحافل بما لديه من مواهب من كلمات ومحاضرات ومسرحيات وأشعار هادفة وأن يهتموا بقراءة الأدعية والزيارات في مناسباتها وغير ذلك، حتى نسعى نحو الهدف والتكامل ولا يغلب جانب على جانب آخر.

السادسة

للأسف... إن كثيراً من الثقافات والمظاهر المنحرفة المنتشرة في مجتمعاتنا دخيلة عليه وبسبب قبول فئة لها، ولأنها لم تواجه بعدم القبول أو الاستنكار من أحد، فإنها أخذت مأخذها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت ثقافة لا يمكن التخلي عنها بل يُدافع عنها في المجالس والمنتديات بقوة ويُستهزئ بمن لا يرى شرعيتها بل بدايتها !! ولهذا الأمر عدة أسباب، منها :

الأول : التهاون في مواجهة مثل هذه الثقافات والعادات الدخيلة من البداية من الجيل الذي يعلم بفساد هذه الثقافة، إلا أنه يتهاون معها فتصبح ثقافة أصيلة عند أولادنا وأجيالنا القادمة ما يؤدي إلى صعوبة، وربما استحالة انتزاعها منه بعد ذلك.

ثانياً : المغالطة التي يعيشها البعض، وهي البحث عن الرأي الذي يتماشى مع شهواته ورغباته، على مستوى الرأي الفقهي والعقائدي والفكري وغيرها مدعياً

أنها آراء علماء وفقهاء فيتظاهر بالتدين من دون أي توقف وتأمل، وهذا النوع من التساهل في دين الله أدى إلى ظهور شريحة كبيرة من ضعاف الإيمان والجهلة، وأخذت هذه الفئة بترويج هذا النوع من التفكير عبر سلوكها.

خاتمة

ولا ينكر أحداً الدور الكبير والفاعل الذي يقوم به الإخوة (الرواديد) الأعزاء في العمل على نشر الحق والحقيقة ورفع مستوى الوعي من خلال الكلمة واللحن المؤثرين، ولن تنسى التضحيات للبعض منهم في وقت كانت تُدفع على كلمة الحق ضريبة قاسية فجزاهم الله خير الجزاء، ولذلك نقطع بأن الإخوة المؤمنين و (الرواديد) الأعزاء لا يتعمدون فعل ما يُسيء للدين والمذهب والمجتمع، ولكن يجب أن لا تأخذنا العزة بالإثم، وأن نتحلى بالروح الحسينية النقية التي قال تعالى فيها ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(٨)، وأن نعترف بقصورنا وتقصيرنا وفقرنا وجهلنا لكثير من الأمور، فكما ورد عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام: (إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي..) من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، إذاً فعلينا أن نستشير أهل الشرع أولاً والالتفات إلى أعراف وقيم وتقاليد البلد، بأن تُعرض مثل هذه الإصدارات على أحد العلماء المتفقيين وعلى طلبة العلوم الدينية المتابعين لأحوال العزاء وعلى المتدينين الواعين المهتمين بالعزاء ولنرتب الأثر على ملاحظاتهم وهذا ليس بالأمر الصعب. وكذلك أدعوا نفسي أولاً و الإخوة الأحبة (الرواديد) والشباب المؤمن رجالاً ونساءً أن نتفقه في ديننا خصوصاً في

مجال اهتمامنا، ولا نعيش الجهل المركب فنحسب أننا نُحسن صنعا فنكون مصداقا لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (أن نبي الله صلى الله عليه وآله قال لي : سيخرج قومٌ يتكلمون بكلام الحق، لا يُجاوز حلوقهم يخرجون من الحق خروج السهم) ميزان الحكمة - محمدي الريشهري ج ١ ص ٧٣٢، وأن نلتفت للعبة الدنيئة التي تُحاك لنا ليلاً ونهاراً لطمس هويتنا وإبعادنا عن ديننا وقرآننا وأئمتنا، وأن لا ننجر خلف الأهواء والمادة على حساب ديننا وقيمنا، وأن نطوّر أعمالنا ومشاريعنا ضمن الإطار الديني والعرفي المناسبين للمحيط الاجتماعي في بلداننا، وأن نسعى للحفاظ على ما تبقى وإرجاع ما تُرك وتصحیح ما اختلط وأن نعتز بتعاليم إسلامنا وأعرافنا وتقاليدنا الأصيلة وأن لا نتنازل عنها لأبسط الأمور، وأستغفر الله لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٩) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المواهب

- (١) سورة الأسراء: الآية ٣٦.
- (٢) سورة الكهف، الآية ١٠٤.
- (٣) سورة الأنعام، الآية ١٦١.
- (٤) سورة آل عمران، الآية ١٩.
- (٥) سورة آل عمران، الآية ٨٥.
- (٦) سورة المائدة، الآية ٣.
- (٧) سورة الفرقان، الآية ٣٠.
- (٨) سورة الزمر، الآية ١٨.
- (٩) سورة يوسف، الآية ٥٣.

الذكمة العاطفية في مدرسة آل البيت عليهم السلام

السيد عباس السيد جعفر شبر

علاقة المعصومين بالبكاء

كان الأنبياء و الأئمة عليهم السلام الذين هم المثل الأعلى للإنسان الفاضل، لا يكفكون دموعهم إذا انبجست أبدا. فالنبي آدم عليه السلام بكى حين خروجه من الجنة، حتى صنع الدمع مسيلين في خديه. والنبي يعقوب عليه السلام بكى على فراق ابنه يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه. و النبي يوسف عليه السلام بكى على أبيه يعقوب في السجن حتى ضاق به السجناء معه، فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت النهار وإما أن تبكي النهار وتسكت الليل. وإن النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بكى على ولده إبراهيم، وقد توفي عن ثمانية عشر شهرا، حتى كانت تنتفض منكباه فسأله الناس على سبب بكائه وهو يأمرهم بالصبر على النوازل، فأجابهم صلى الله عليه وآله: (القلب يحترق والدمع يجري ولا نقول ما يغضب الرب).

فقد شرع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مسألة البكاء من خلال سيرته الشريفة ولو تصفحنا التاريخ لوجدنا أنه صلى الله عليه وآله قد أكثر من البكاء أيضا على أبويه وعمه الحمزة وزوجه خديجة وأبو طالب بل وتعدى ذلك إلى البكاء على أحفاده قبل رحيلهم عليهم آلاف التحية والسلام.

ومن خلال ذلك نجد أن أول مشروع تبناه بيت النبوة هو التركيز على إثبات دعائم الحق من خلال التذكير بالأسلوب العاطفي والمنطقي بلا فصل. ومن أهم القضايا التي ركز عليها هي قضية عاشوراء الحسين عليه السلام. وهناك أخبار كثيرة تدل



على أن الله لم يبعث على وجه الأرض نبيا ووصيا إلا ذكره بمصاب الحسين عليه السلام فبكى عليه قبل استشهاده.

والمعروف كذلك نقلا عن الروايات أن الإمام السجاد عليه السلام بكى على أبيه الحسين عليه السلام بقية حياته كما بكى عليه باقي الأئمة عليهم السلام حتى لقب الحسين عليه السلام (صريع الدمعة الساكبة) و (عبرة كل مؤمن ومؤمنة).

ومشروعية البكاء التي أعطاها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للأمة في حياته و بكائه على الحسين عليه السلام بالخصوص هما خير دليل يمكننا الاعتماد عليه لبيان أهميته في خلق الارتباط العاطفي بين القيادة والأمة. وهناك الكثير من الروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام تبين هذا الجانب ومنها قول التستري^(١) (ره) أنه : روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لما أوحى الله إلى نبيه ليلة المعراج أن الله يجتبرك بثلاث لينظر كيف صبرك. فقال: أسلم أمري ولا قوة لي على الصبر إلا بك. فأوحى إليه أنه لا بد أن تؤثر فقراء أمتك على نفسك. فقال : أسلم وأصبر. ولا بد أن تتحمل الأذى والتكذيب. فقال: أسلم وأصبر، ولا بد أن تسلم لما يصيب أهل بيتك. فأما أخوك فيغضب حقه ويظلم ويقهر و أما ابنتك فتظلم وتحرم وتؤخذ وتضرب وهي حامل ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن وأما ولدك فيقتل أحدهما غدرا ويسلب ويظلم و الآخر تدعوه أمتك ثم يقتلونه صبورا ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته ثم يسبون حرمه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أسلم أمري إلى الله وأسأله الصبر.

ولقد صبر صلى الله عليه وآله في جميع ذلك على كل شيء إلا على حالة، واحدة فلم يصبر عن البكاء على الحسين عليه السلام لأنه لا ينافي الصبر بل هو لازم الشفقة ورقة

القلب. إذ إنه كلما كان يذكر الحسين أو يراه يغلبه البكاء وكان يقول -لأبيه- أمسكه فيمسكه فيقبل نحره ويقول له لم تبكي؟ فيقول أقبل موضع السيوف منك وأبكي وكان إذا رآه فرحا يبكي وإذا رآه حزينا يبكي وإذا لبس ثوبا جديدا يبكي.

فاطمة الزهراء عليها السلام وبكاؤها على أبيها

وقد تبنت كوثر البيت الرسالي السيدة الزهراء عليها السلام هذا الأسلوب أيضا بعد رحيل أبيها عليه السلام عن دار الدنيا، فقد اتخذت من البكاء سلاحاً في التعبير عن حزنها على أبيها أولاً، وثانياً عن استيائها مما فعله القوم بها وبيعها أمير المؤمنين عليه السلام من سلب لحق التطبيق الكامل لشريعة الله. فكانت في الأيام المتبقية من حياتها لا يهدأ لها أنين، حتى اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منا تنهأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليها السلام: حبا وكرامة. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفتيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء، فلما رآته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً، فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله عليه السلام، فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثم أنه عليه السلام بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان وكانت تقضي يومها كاملاً فيه وهي تبكي وتنوح.

ما يهمننا هو لماذا تبنت البتول فاطمة عليها السلام الخطاب العاطفي في التعبير عن حقها

ومظلوميتها؟ وهل كانت ﷺ قاصدة بهذا الأسلوب أن تؤرخ هذه القضية في التاريخ وبذلك تُلقي الحجة على من ظلمها؟ هل تكون بذلك قد أرسيت دعائم التبليغ لمنهج البيت الحمدي؟

من هنا نستطيع أن نستنتج أن الزهراء ﷺ كانت تتبع نماذج مختلفة من الإرساءات العاطفية والمنطقية معا للتدليل على ما تريد أن توصله إلى الناس في تلك الفترة. وبناء بيت الأحزان واتخاذ من قبل الزهراء مكانا للبكاء ما هو إلا أول مشروع يمنهج هذا الدور الرسالي التبليغي الذي لم يقدر أي نظام طاغوتي أن يواجهه أو يخمده والذي يكمن في إقامة مجالس الحزن والعزاء على مصائب أهل البيت ﷺ. والأهم من ذلك كله أن الزهراء ﷺ أرادت أن تعرف الناس بالخط الحمدي الأصيل وإثباتا للهوية الإلهية ببكائها بينهم، ولو حدث أن تدمرت فئة من المجتمع على ذلك، لا يعني أن تتوقف مسيرة البكاء مهما تلقى من صعوبات.

نظرة الإسلام إلى البكاء

من الطبيعي أن يحب الإسلام البكاء لأنه يحل العقد النفسية التي يعجز العلم عن معالجتها، لأن الأزمات والخسائر التي تصدم الإنسان تترسب في قلبه على شكل عقد، لا يجلها سوى الانتقام، مما يسبب له النكبات. وإذا كان الإسلام دينا متسامحا لا انتقاميا، وإذا كان الإنسان جائرا في كثير من ألوان الانتقام التي يرغب فيها بطبيعته الحيوانية، وتتضافر الأديان والقوانين على صده عن ممارستها، فلا تجد تلك العقد مجالا للتعبير والتنفس الذين يروحان عنها، بل تظل في أعماق النفس، تأكل بعضها وتأكل الإنسان، حتى تنقلب تحت الكبت الطويل، إلى

حقد يجعل صاحبه شريرا، يجب الوقوعة بكل أحد بعد أن كان يريد الانتقام من خصمه فحسب، بحيث لا يشعر بالراحة، إلا إذا رأى الدماء البريئة تراق، ودموع الثكلى تسفح ولا يطمئن بغير الأناث الجريحة، والآهات الباردة. ووجود الحقد في النفوس بلاء إذا أصاب مجتمعا يلتهم فيه الرطب واليابس، ولا ينجو من ويلاته مجرم ولا بريء، فلا بد من إزالته بمختلف الطرق قبل أن يستفحل ويستعصي على العلاج. والإسلام حيث يوصي بالبكاء يحاول حل العقد النفسية قبل أن ترسب في النفوس وتعاني الكبت فتتحول إلى حقد. فالدمع هو المعين الذي يغسل النفس عن العقد التي ترسب عليها من غبار المعارك والأحداث. فالبكاء محبوب عند الله وفي جميع الأديان، سواء كان من خشية الله، أم على نكبة. وأما البكاء على مآسي أهل البيت عليهم السلام ومأساة الطف بالذات فإنه مطلوب و مستحب، وعليه ثواب عظيم.

قصة في فضل البكاء على الحسين عليه السلام

روى المجلسي^(٢) إذ قال: حكى السيد علي الحسيني قال: كنت مجاورا في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين فلما كان يوم العاشر من المحرم عقدنا مأتما للحسين عليه السلام، فابتدأ رجل منا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام فقرأ رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: من ذرفت عيناه بالدموع على مصاب الحسين ولو كان مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وكان في المجلس معنا رجل يدعي العلم ولا يعرفه. فقال: ليس هذا صحيح وإن العقل لا يقبله، قال: وكثر البحث بيننا ثم افترقنا وهو مصر على ما هو عليه. فلما نام تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد واحد وقد

نصبت الموازين وامتد الصراط ووضع الحساب ونشرت الكتب واستعرت النيران وزخرفت الجنان واشتد الحر عليه وعطش عطشا شديدا فجعل يطلب الماء فلا يجده. فالتفت هناك وإذا بجوض عظيم الطول والعرض فقال في نفسه هذا هو الكوثر فأقبل إليه وإذا عليه رجلان وامرأة أنوارهم مشرقة لابسين السواد. قال : فسألت عنهم فقبل لي : هذا رسول الله ﷺ وهذا علي عليه السلام وهذه فاطمة عليها السلام، فقلت: إذا لماذا لابسين السواد؟ فقبل لي : أليس هذا اليوم قتل فيه الحسين عليه السلام؟ قال فدنوت منها وقلت لفاطمة: سيدتي إني لعطشان، فنظرت إلي شزراً وقالت لي: أنت الذي تنكر فضل البكاء على ولدي الحسين والله لن تذوق منه قطرة واحدة حتى تتوب مما أنت عليه. قال: فانتبهت من نومي فزعا مرعوبا وجاء إلى أصحابه وقص عليهم رؤياه وقال: والله يا أصحابي أنا ندمت مما صدر مني و أنا تائب عما كنت عليه.

من خلال هذه القصة يتضح لنا أهمية البكاء على أهل البيت وخصوصا على مصاب سيد الشهداء عليه السلام.

أساليب التأثير في النفوس وإبكاؤها

يشير الدكتور الشيخ باقر المقدسي حفظه الله في رسالته للدكتوراه أنهم وجدوا أن أقوى وسيلة للتأثير في النفوس، وحمل السامعين على التعاطف مع الحسين عليه السلام هي التذكير بمأساته، والتحدث عن ظلامته لأن وعي المأساة يستوجب وعي مفاهيم الثورة التي بسببها حدثت تلك المأساة. ويقول أن الأئمة حثوا شيعتهم على التذكير بمأساة سيد الشهداء عليه السلام ونشر ظلامته بكل الوسائل الممكنة، ويمكن أن يتحقق ذلك بعدة وسائل أهمها:

١ - الشعر^(٣)

٢ - القصة^(٤)

إذا نظرنا إلى الوسيلة الأولى ألا وهي الشعر لوجدنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام حثوا شيعتهم على نظم الشعر في مأساة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ثم إنشاده. في ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام لجعفر بن عفان الطائي الشاعر المنشد : (ما من أحدٍ قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له)^(٥). ودخل عليه ذات يوم السيد الحميري فقال له الإمام: أنشدني في الحسين شعراً، وقام الإمام وضرب ستراً لنسائه وأطفاله وأجلسهم خلف الستر وجلس حزينا باكيا على مصيبة جده الحسين عليه السلام ومن حوله أصحابه. يقول السيد الحميري فأنشأت:

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية
يا أعظما لا زلت من وطفاء ساكبة روية
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر والمطهرة التقيية
كبكاء معولة أتت يوماً لواحد لها المنيية
يقول الحميري: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحادر على خديه، ارتفع الصراخ من داره حتى أمرني بالإمساك.^(٦)

وأما بالنسبة إلى القصة فهي من أروع ما يعين على الإقناع، ويقرب الغرض إلى الأذهان. وهنا قد يستعين الخطيب بالأسلوب القصصي من أجل توضيح المعنى وتقريبه إلى أذهان المستمعين وإقناعهم بحيث يمكنه أن يورد الكثير من الأخبار التاريخية والدينية الصحيحة بصورة قصصية وحكايات واقعية لإعانتة على

التوضيح والإقناع. في ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.^(١)

الخلاصة

اتضح مما سبق أنه حين سرد تفاصيل القضية العاشورائية نجد أهمية كبيرة جداً في التركيز على البعد العاطفي وخصوصاً الأساليب التأثيرية كالبكاء واستخدام الأبيات الشعرية والأسلوب القصصي في إحداث التفاعل مع المأساة وما تتناولها من مفاهيم حقة، بحيث لا يكون سرد تلك الأحداث التاريخية مجرد استعراض تاريخي فارغ من محتوى التأثير الإيجابي، بل ويمتد إلى ما هو أعمق بكثير من عيش الحالة المعنوية التي عاشها الحسين عليه السلام، كاستشعار الضيق الذي عاشته زينب عليها السلام والإحساس بالخوف والهلع الذي عانى منه أطفال الحسين. وبذلك الأسلوب يستطيع المستمع أيضاً تخيل تفاصيل الأحداث وكأنه فعلاً كان موجوداً في أرض كربلاء وبالتالي يتمكن مستخدم هذه الوسائل من إيداع جملة من المفاهيم الصحيحة والسليمة التي من أجلها كانت القضية وعن جوانب المأساة التي حدثت، وزرعها في باطن المتلقي وبالتالي خلق روابط عاطفية عقائدية مندجة بالمنطق والتي تتوجه نحو تفعيل العلاقة بين القيادة وعامة الناس وعن طريقها تتولد حالة الانقياد التام لكل ما جاء به أهل البيت عليهم السلام والتأثر الكلي لكل ما عانوه في سبيل إعلاء كلمة الله الواحد القهار.

الهوامش

(١) سلسلة مجمع مصائب أهل البيت (ع): ج ١ صفحة ١١٢

(٢) زاد الخطباء في أيام عاشوراء صفحة ١٨

(٣) قال رسول الله ﷺ (إن من الشعر لحكماً) قال ابن الأثير في معناه (أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما. قيل أراد بها المواعظ والأمثال التي ينفع بها الناس. والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ. ويُروى: إن من الشعر لحكمة) وهي بمعنى الحُكْم - النهاية ١: ٤١٩، (حَكَم).

(٤) أنظر عن أثر الحديث والقصة والصفحة: من رسالة الشيخ المقدسي الصفحة ٣٨٨.

(٥) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: ٢٨٩، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٤، الباب ١٠٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١.

(٦) سلسلة مجمع مصائب أهل البيت (ع) ج ١ صفحة ٤٧

(٧) سورة يوسف: ١١١

السُّلَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعَلَيْهِ عَلَيْهِ بِنِ الْكَلْبِينِ وعَلَيْهِ أَوْلَادُهُ الْكَلْبِينِ وعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْكَلْبِينِ

أجمل زينة للمرأة العفيفة

حسين فؤاد المرزوق

غريبٌ هو الإنسان، يأبى ويتمرد ويستكبر، فقد حدد له الطريق السليم والمنهج القويم من قبل عليم حكيم ومع ذلك تراه يجيد عن هذا المنهج ويتخذ من دونه بدلاً، قال تعالى: (إن الإنسان ليطغى)^(١) فقد وضع الباري عز وجل دستوراً للحياة الإنسانية متمثلاً في أنظمة وقيم وآداب يضمن للحياة الإنسانية تكاملها ويكفل لها أمانها واستقرارها ووصولها إلى مبتغائها، فالله عز وجل إنما خلق الخلق لهدف راجع للمخلوقين لا الحاجة في نفسه ولا لنقص فيه يسده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن ومع ذلك تجد الإنسان غافلاً وساهياً وغير مدرك لهذا المعنى، فكم من الأسس والأنظمة التي جاءت بها الشريعة الغراء لم يلتزم بها الإنسان بل استنكرها وعدها من التخلف والرجعية وعدم مواكبة العصر. ومن هذه الأمور القضايا المتعلقة بالمرأة في المجتمع، فالإسلام قد قام بتحرير المرأة و حفظ لها كرامتها وعزتها بعد أن كانت مضطهدة مقهورة تعاني من صنوف القسوة والظلم والحرمان من حقوقها الطبيعية، فقد كان المجتمع آنذاك ينظر للمرأة نظرة سلبية، والشيء العجيب الذي يدل على تردي ذلك المجتمع، أنه كان ينظر لإناث الحيوانات نظرة إيجابية، بخلاف نظرتهم لإناث الإنسان، فالبقرة مثلاً عندما تلد أنثى، فإن صاحب الحيوان يفرح، لأن هذه الأنثى سوف تلد أيضاً، وهكذا، أما عندما تلد ذكراً تراه يحزن ويرى أن هذا الذكر ينقطع وينتهي، أما عندما تولد له بنت من زوجته ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، قال تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)^(٢)، وقد شاع أيضاً عندهم أنه إذا ولدت

نساءؤهم البنت سارعوا إلى دفنها حية وهم يرددون (دفن البنات من المكرمات) قال تعالى (وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت)^(٣)، أما الإسلام العظيم فقد أحدث تطوراً كبيراً في موقف المجتمع من المرأة، فهي رسول الله ﷺ قد قلب موازين الجاهلية الجهلاء فعنه ﷺ أنه قال : (نعم الولد البنات المخدرات من كانت عنده واحدة جعلها الله له سترًا من النار ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله بهما الجنة ومن كن ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة)^(٤)، فجاء الإسلام صائناً للمرأة حافظاً لها، فلذلك وضع لها آداباً في سلوكها متى ماتمسكت بها حفظت طهرها وقدسيتها وأمانها وقيمتها العالية، ومع هذا كله نجد في هذا العصر أنه بدلاً من أن تتمسك المرأة بهذه النظم والآداب التي حددتها الشريعة نراها تتغافل ذلك و تخلع تاج العفة والطهارة وتتمرد على فطرتها وطبيعتها وخصوصيتها التي تخمرت مع طينتها، لتتحول تلك النظرة القدسية للمرأة إلى نظرة استغلالية بهيمية، في عصرٍ ضاعت فيه الفضيلة وتغلغت فيه الرذيلة احتاجت المرأة إلى ما يصون عزتها ويزين خلقها، احتاجت إلى خلق تزكي به نفسها فتخرج من مستنقع القذارة إلى فردوس الطهارة، من درن التحلل إلى زينة العفة، من الوقاحة إلى الحياء. روي عن رسول الله ﷺ : (الحياء زينة الإسلام)^(٥).

تعريف الحياء

الحياء لغة (في قواميس اللغة العربية) : انقباض النفس عن القبائح وتركه.^(٦) ورد عن الأمير عليه السلام (الحياء يصد عن فعل القبيح)^(٧) وأيضاً يطلق الحياء على الانقباض والانزواء، الحشمة، الرجوع والتوبة، الانكسار والتغير وانتكاس

القوة.^(٨)

(الاشقاق اللغوي) : والحياء مشتق من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أكثر حياة كان الحياء أتم.

الحياء اصطلاحاً (في اصطلاح علماء النفس) : الخضوع لجهاز القيم، بمعنى أن الشخصية تمتنع عن القيام بأية ممارسة تتنافى مع المعايير الخلقية أو الاجتماعية التي تعورف عليها. وتقابلها الوقاحة، وتعد الوقاحة سمة للشخصية المنحرفة اجتماعياً، بصفة : أنها تعبير عن عدم خضوع الشخصية للمعايير والضوابط الاجتماعية.^(٩) وتظهر آثار الحياء على الشكل أحياناً مثل احمرار اللون واضطراب النظرات والسلوك الأخلاقي.^(١٠)

ممن الاستحياء ؟

الاستحياء من الخالق : وهو أرقى وأشرف أنواع الحياء قال أمير المؤمنين عليه السلام (أفضل الحياء استحياءك من الله)^(١١).

وللاستحياء من الله أشكال وصور^(١٢)، منها حياء ارتكاب المعصية وهو ماسمي في الروايات بحياء الذنب، ومن أمثلة ذلك مثال سيدنا آدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، عندها ظل يجري ويهرول داخل الجنة فسأله جل جلاله: إلى أين يا آدم أفرارا مني؟ فرد عليه قائلاً: لا يا ربي بل حياء منك!^(١٣).

ف نجد العبد المذنب يعود من وكر الذنب والهوى والمعصية إلى الله في خجل وانكسار، فهو لا يجد عذراً يقدمه إلى الله تعالى غير الاعتراف بسوءاته وسيئاته، وهذا يتلخص في قوله (ربّ إنني أستغفرك استغفار حياء)^(١٤).

وتفصيل ذلك أن العبد المؤمن قد يغفل وتزل قدمه ويعصي جبار السماوات من دون التفات، قد أعمت عينه اللذة المؤقتة الزائفة، ولكن سرعان ما يستيقظ ولا يجد بداً من العودة، ولا يجد باباً يطرقه غير باب الرحيم سبحانه، ولا يجد ملجأً يلجأ إليه وملاذاً يلوذ به إلا الله سبحانه وتعالى فيعود مطرقةً منكسراً مستحيماً خجولاً، كيف وقد عصى ملك الملوك العالم بخائنة الأعين وماتخفي الصدور، فيقف العبد الجاني عند باب الله^(١٥) ويبدأ بصف كلمات التوبة والاستغفار والندم (إلهي لأن طردتني من بابك فبمن ألوذ)^(١٦) وينصهر الحياء والألم فيذوب دموعاً تحت آماقه وتتكسر نبرات صوته وهو يردد في خشوع (فوا أسفاه من خجلتي وافتضاحي، ووالهفاه من سوء عملي واجتراحي)^(١٧) ولا يجد بداً من الاعتراف بحياته فيقول (ها أنا ذا يا إلهي واقف بباب عزك وقوف المستسلم الدليل، وسائلك على الحياء مني سؤال المعيل)، (ولم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك)^(١٨) ويظل واقفاً على باب القدس منتظراً الإذن بالدخول إلى ساحة التوابين متفنناً بأنواع الدعاء، ولعمري إنه لا يؤدي حق اعتذار جنائته ولو نطق بجميع جوارحه بالاعتذار لأن الجناية الحقيرة تعظم مع عظم المجني عليه ومع لحاظ إحسانه إلى الجاني (لا تنتظر إلى صغر المعصية وانظر إلى من عصيت) فإذا جاوزت العظمة الحد وكثر الإحسان فوق حد الإحصاء^(١٩) قصرت الألسن عن أداء حقه والأعمار عن بلوغ غايته، فإذا كان التائب مستشعراً لهذه الأمور عارفاً بها يزيد ذلك في حياته فيجتهد بكل جهده ومقدوره في الاعتذار والبكاء وإذا كان عارفاً بقدر رحمة ربه وأنها وسعت كل شيء وكان على يقين من ذلك فلا بد أن تبعث هذه المعرفة في قلبه شوقاً إلى التوبة والمشتاق لا يحتاج إلى تعليم مراسم الوداد ولا يمتنع عن الجهد والاجتهاد في الوصول إلى مشوقه ورضاه، وعرض الشوق

والملقى بما لا يخطر على ضمير غيره^(٢٠) فهو يعلم أنه قصد ملكا عظيما لا يظأ بساطه إلا المطهرون، فإذا علم الله من قلبه صحة الاضطرار، وصدق الالتجاء إليه، نظر إليه بعين الرحمة والرأفة، وأذن له بالدخول إلى دار التوبة بلطفه وكرمه وعطفه وقبل توبته واستمع لكلامه، فطوبى له ثم طوبى فقد ضمه الله إلى كنف رأفته وحنانه وكان عليه كالأب العطوف، والأم الرؤوف، بل وأشفق منهما، ويكون مصداقاً لقوله (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)^(٢١).

ويوجد مرتبة أرقى من هذه المرتبة في الاستحياء من الله سبحانه تستفاد من بعض الأدعية والروايات^(٢٢)، وهو الحياء قبل ارتكاب أي فعل يؤدي إلى مخالفة أوامر الله وهو ناتج من المراقبة الدائمة ويدل على يقين ومعرفة وبقظة، قال رسول الله ﷺ (استحي من الله استحياءك من صالح جيرانك فإن فيها زيادة اليقين)^(٢٣)

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام (خف الله لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك)^(٢٤) وعن أمير المؤمنين عليه السلام (اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم)^(٢٥) وقال الإمام الخميني (العالم محضر الله فلا تعصوا الله في محضره)، فالعبد المراقب لنفسه المستشعر لمراقبة الله عز وجل^(٢٦) يستحي أن يخطو خطوة تهوي به إلى درك معصية الله فهذا الحياء يبعث على الطاعة ويمنع عن المعصية بل يمنع أي عمل ليس فيه قصد القربة لله ولسان حاله دائماً (عميت عين لا تراك عليها رقيباً)^(٢٧).

وقد استوقفتني رواية جسدت أروع معاني الاستحياء من الله سبحانه وتمثلت في ريحانة الجنة وأم الأئمة السيدة الزهراء بأبي وأمي قالت فاطمة عليها السلام : (قلت : يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عراة ؟ فقال : نعم يا بنية، فقلت : وأنا عريانة ؟ قال :

نعم وأنت عريانة وأنه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة عليها السلام : فقلت له :
واسوأته يومئذ من الله عز وجل فما خرجت حتى قال لي : هبط علي جبرئيل
الروح الأمين عليه السلام فقال لي : يا محمد اقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنها استحيت
من الله تبارك وتعالى فاستحيى الله ^(٢٨) منها فقد وعدنا أن يكسوها يوم القيامة
حلتين من نور^(٢٩) وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ذوبانها صلوات الله
عليها في الذات الإلهية وإلا من في ذلك اليوم المهيب الذي تذهل فيه كل مرضعة
عما أرضعت يلتفت إلى مثل هذه المعاني ؟

الاستحياء من المخلوق : يستحي الإنسان من البشر أكثر مما يستحي من الله في
غالب الناس وذلك لقلّة معرفته وسوء اختياره، فهو عاشق للمادة أكثر من
الغيب ويتأثر بالحسوس أكثر مما يتأثر بالمجرد، مع أن الحياء من المخلوق يكون
نتيجة طبيعية للحياء من الخالق. ولكن لحمقه وسفهه يفرط في جنب الله ليكبر
في عين الناس فيتغافل قول أبي عبد الله عليه السلام : (يا إسحاق خف الله كأنك تراه،
فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم
أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حد
أهون الناظرين إليك)^(٣٠) فتعسأ لمن جعل الله أهون الناظرين إليه بعدم استحيائه
منه واستحيائه من الناس، فالإنسان إنما يستحي ممن يكبر في نفسه أن يطلع على
عيبه ولذلك نجد أنه لا يستحي من الحيوان ولا من الأطفال الذين لا يميزون، بينما
نجده يستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحي
من الواحد، ومن هنا نكتشف دناءة من جعل الخالق دون المخلوق.

بغض النظر عن ذلك نجد أن الحياء من الناس له آثار اجتماعية مهمة كمنع
الجرائم وحفظ الإنسان من التلوث بالذنوب والأعمال المنافية للأداب، وله دور

كبير في الحفاظ على أخلاق المجتمع ومنع التفسخ والعهر والعري، فلولا الحياء من الناس لما ارتدع الإنسان عما ترغب إليه نفسه من القبيح ولكان الإنسان والبهيمة على حد سواء في عدم مراعاة الغير. فنلاحظ أن هناك أفراد مستهترين، قد أسرهم الهوى وقيدتهم الشهوة غير مباليين بقوانين الشريعة ورعاية الآداب، فلا يتورعون عن ارتكاب الجرائم وإشباع غرائزهم، لكن الحاجز الذي يقف أمام تنفيذ رغباتهم قد لا يكون التدين وخوف الله بل هو الحياء من الناس، فيخافون استياء الرأي العام واستنكاره فيمتنعون عن القيام بذلك. فهو من صفات النفس الحمودة التي تستلزم الانصراف من القبائح وتركها، قال الإمام الصادق عليه السلام :
(من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة)^(٣)، وقد قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بيبي وبين ركوبها إلا الحياء
لذلك فعندما نرى إنساناً لا يكثرث ولا يبالي فيما يبدر منه من مظهره أو قوله أو حركاته يكون سبب ذلك قلة حيائه وضعف إيمانه كما جاء في الحديث : (إذا لم تستحي فافعل ما شئت)^(٣)
وقد قال الشاعر :

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه عناء
فمالك في معاتبة الذي لا حياء لوجهه إلا العناء
وقال آخر :

يعيش المرء ما استحيى بخير ويبقى العود ما بقي للحاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

وقد كانت العرب في جاهليتها الأولى تستحي، فهذا عنتره يقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها
وقال طرفه بن العبد وهو من شعراء الجاهلية:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه

وقبل بزوغ فجر الإسلام، نشبت ذات يوم معركة طاحنة بين قبيلتي بني عامر وبني كنانة في سوق عكاظ، سميت في التاريخ (بحرب الفجار)، وسبب تلك المعركة هو حياء امرأة، فيحكى أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها أن تكشف وجهها فأبت، فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة، فلما قامت انكشف جسمها من الخلف فضحك الناس منها، فنادت المرأة يا آل عامر، فثاروا بالسلاح، ونادى الشاب يا بني كنانة، فاقتتلوا^(٣٣).

وذكروا أيضا أن للحياء أنواع أخرى كالحياء من النفس والحياء من الملكين^(٣٤) ولكن يمكن إدراجهما في الصنف الثاني.

محل الكلام: سيكون الكلام بإذن الله في السطور الآتية عن النوع الثاني وهو الحياء من المخلوق بالرغم من أن الحياء من الله أفضل، لأن الحياء من المخلوق في بعض صورته يكون كاشفاً عن الحياء من الخالق، فهو نتيجة طبيعية للحياء من الله كما أسلفت، فالحياء من الناس لا ينفصل عن الحياء من الله، بل هو في الحقيقة

حياء من الله لا من الناس، ولكن لما كان الموضوع الذي أنوي التحدث عنه بالأساس يرتبط بالجنبة الاجتماعية أكثر، وله آثار اجتماعية حساسة، سنتكلم بإذن الله في الحياء من المخلوق، لعلنا نرتقي من الاستحياء من الناس إلى الاستحياء من الله فمن لم يستحي من الناس لم يستحي من الله، و (من لم يتق وجهه الناس لم يتق الله) و (من لم يستحي من الله في العلانية لم يستحي منه في السر) (٣٥).

حياء المرأة

قبل التطرق إلى حياء المرأة لابد من الإشارة إلى أن الحياء من الحالات النفسية التي تختص بالإنسان فقط، إذ لا توجد في بقية الحيوانات، وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام ذلك لتلميذه المفضل الجعفي في الحديث القيم الذي أملاه عليه حول التوحيد، فقال : (أنظر الآن يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء) (٣٦). وكذلك العلماء المعاصرون فإنهم يعتبرون الحياء من الصفات الخاصة بالإنسان : (يعتقد مارك توين أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يستحي أو يشعر بأنه في حاجة إلى الحياء. ويقول الدكتور فلاسن أستاذ جامعة روجستر في تأييد هذه النظرية : إن الحياء علامة السلامة، وهو متداول ومألوف عند جميع أفراد البشر حتى أولئك الحفاة العراة. ولذلك فإنه يعتقد بأن ما يبعث على تصاعد الدم في وجه الإنسان هو الشعور الناشئ من إخفاء حقيقة ما) (٣٧). والحياء ليس صفة مختصة بالنساء فقط بل الحياء يعتبر حسناً للرجال أيضاً قال الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام :

إذا رأته قریش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
 يغضي حياءً، ويغضي من مهابته ما يكلم إلا حين يتسم
 وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها^(٣٨)، قال الإمام
 الحسن عليه السلام في خطبة له (أنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال
 الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا
 ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)^(٣٩) فالحياء إذن صفة مشتركة وهي صفة
 المؤمنين رجالاً كانوا أم نساءً فعن أبي عبد الله عليه السلام: (لا إيمان لمن لا حياء له)^(٤٠)،
 وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (الحياء والإيمان في قرن واحد، فإذا سلب أحدهما
 تبعه الآخر)^(٤١)، وروي أن الرسول ﷺ مر على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء
 فقال رسول الله: (دعه فإن الحياء من الإيمان)^(٤٢). وهو أبرز ما يتميز به الإسلام من
 فضائل، فقال ﷺ: (إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء)^(٤٣). وقال الطريحي
 : (لما قتل أصحاب الحسين كلهم وتفانوا وأبیدوا ولم يبق أحد، بقي عليه السلام يستغيث
 فلا يغاث وأيقن بالموت أتى إلى نحو الخيمة وقال لأخته: إئتيني بثوب عتيق لا
 يرغب فيه أحد من القوم، أجعله تحت ثيابي لئلا أجرد منه بعد قتلي. قال:
 فأرتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب، ثم أوتي بثوب فخرقه ومزقه من
 أطرافه وجعله تحت ثيابه، وكانت له سراويل جديدة فخرقها أيضاً لئلا تسلب
 منه)^(٤٤) وروي أيضاً (أن رجلاً بلا أيد ولا أرجل وهو أعمى، يقول: رب نجني من
 النار فليل له: لم تبق لك عقوبة، ومع ذلك تسأل النجاة من النار؟ قال: كنت
 فيمن قتل الحسين عليه السلام بكربلاء فلما قتل رأيت عليه سراويلًا وتكة حسنة)^(٤٥) بعد
 ماسلبه الناس فأردت أن أنزع منه التكة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة،
 فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه ثم هممت أن آخذ التكة فرفع شماله فوضعها

على تكته فقطعت يساره، ثم هممت بنزع التكة من السراويل، فسمعت زلزلة فخفت وتركته فألقى الله علي النوم، فنمت بين القتلى فرأيت كأن محمداً ﷺ أقبل ومعه علي وفاطمة فأخذوا رأس الحسين فقبلته فاطمة، ثم قالت : يا ولدي قتلوك قتلهم الله من فعل هذا بك ؟ فكان يقول : قتلني شمر وقطع يداي هذا النائم - وأشار إلي فقالت فاطمة لي : قطع الله يديك ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلك النار، فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً وسقطت مني يداي ورجلاي، ولم يبق من دعائها إلا النار^(٤٦) وعن صادق أهل البيت ﷺ : (مامشى الحسين بين يدي الحسن ﷺ قط، ولا بدره بمنطقٍ إذا اجتمعاً تعظيماً له)^(٤٧)، ولا أجد تعبيراً أعلق به على ذلك أفضل من قول النبي ﷺ : لو كان الحياء صورةً لكان الحسين ﷺ .^(٤٨)

ولكن تأخذ صفة الحياء أهمية أكبر بالنسبة للمرأة، فهي تصونها عن الابتذال، وتجعلها أكثر رزانة وانضباطاً وأبعد عن مواقع الفتنة والاثارة، فأولى الناس بخلق الحياء هم النساء، وملحوظ أن المرأة بطبيعتها أكثر نزوعاً إلى الحياء من الرجل. بحيث أنه يعتبر من أبرز ميزاتهم، وحياء المرأة أسمى بكثير من حياء الرجل وما يחדش حياءها أقل وأدق مما يחדش حياء الرجل حتى ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الحياء عشرة أجزاء فتسعة في النساء وواحد في الرجال)^(٤٩) وإن بهاء المرأة وجمالها في حياؤها بل تفقد المرأة أنوثتها وإنسانيتها عندما تفقد حياءها وقيل أيضاً إذا فقد حياء المرأة جاز القول بأن المخلوق الذي أمامنا مخلوق آخر لا يسمى بالمرأة^(٥٠)، ويضرب المثل بين الرجال عادة بحياء المرأة، فإذا أريد المبالغة في نعت رجل بالحياء، يقال أنه أكثر حياء من فتاة، وقد احترم الشرع هذه الميزة في

المرأة بل وعدها قيمة إيجابية فاعتبر سكوتها حين تسأل عن رأيها في الزواج ممن تقدم لخطبتها حياءً وخجلاً ، دليلاً على رضاها^(٥)، ولم يعتبر ذلك في الرجل، ويقال أيضاً أن المرأة تزداد جمالاً في عيني الرجل المتقدم لها عندما يزداد رأسها انخفاضاً، وتزداد وجنتيها احمراراً، ويتناثر عرق الحياء على محياها كاللؤلؤ على صفيحة نور، قال أعرابي : الوجه المصون بالحياء، كالجوهر المكنون في الوعاء، فكلما زادت المرأة حياءً زاد إعجاباً بها، فهو دليل العفة والفضيلة، قال الشاعر يصف حياء المرأة واحتجابها :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها في ساحة الدار لا بعلى ولا جار
وقد قيل : الحياء جمال في المرأة وفضيلة في الرجل.

إننا في هذه الأيام في أشد الحاجة لحياء المرأة المسلمة لينضبط حياء المجتمع، فإذا اتسمت المرأة بالحياء استحق المجتمع من التعرض لها بأذى، وإذا اختل حياء المرأة، تزلزلت أقدامها وعصفت بها الفتن وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان، ويعبث بها أرباب الفساد وأئمة الهوى، فتكون المرأة هنا غاوية للمجتمع وسبباً للقبائح والجرائم. فحياء المرأة إذن يمكن أن يمثل في وجوده حركة المجتمع، سواء كانت حركة تكاملية إذا كانت المرأة متكاملة، أو كانت حركة تسافلية إذا كانت المرأة متسافلة.

ونحتاج إلى المبالغة في حياء المرأة خصوصاً في هذا العصر، مترفعين عمّن يصف ذلك بالغلو والتشدد، ولا بد أن تترقى عن حد الوجوب والحرمة إلى ما هو أعلى وأسمى، فكم من الأشخاص تمسكوا ببعض الأفعال بدعوى الحليّة وعدم الحرمة وكان ذلك مقدمة للسقوط في الهاوية.

آثار حياء المرأة

الحياء كما تقدم في التعريف هو الخضوع لجهاز القيم، وهذه القيم إما فطرية إنسانية أو مكتسبة، والمكتسبة قد تكون مكتسبة من أسس إيمانية أو من البيئة. والذي نتحدث عنه ههنا هو القيم الفطرية والمكتسبة الإيمانية، أما القيم التي ما أنزل الله بها من سلطان فلا حاجة لنا بها ونضرب بها عرض الجدار لأنه قد تكون هناك فئات تدعي أنها تقدم قيما فاضلة ولكن في الحقيقة قيمها تقتل القيم الإنسانية الفطرية. فكلامنا فعلاً يقع في بعض آثار الحياء الإيمانية الواضحة في السلوك البشري التي تصعد بالمرأة في مدارج الكمال والطهر، ومن آثار حياء المرأة :

١- الستر والعفاف : قال الأمير عليه السلام (على قدر الحياء تكون العفة)^(٥٢) وعنه عليه السلام (ثمرة الحياء العفة)^(٥٣). (إن الله يحب الحيي المتعفف)^(٥٤)

من القضايا المهمة التي شدد عليها الإسلام قضية الحجاب، واستعمال مصطلح الحجاب للمرأة استعمال جديد نسبياً ، أما في مصطلح الفقهاء القدامى فقد كانت كلمة (الستر) هي المستعملة بمعنى الحجاب اليوم^(٥٥).

لكي لا تتحول المرأة إلى أداة إغراء للمجتمع، وضع لها الشارع المقدس حصناً منيعاً ، فجعلها تضع لباساً على جسمها بطريقة تسهم في ستر مفاتها وتعمل على حجب الجانب البدني والمادي في جسد المرأة لصالح إظهار الجانب الإنساني والمعنوي في شخصيتها، ومنعها من التبرج^(٥٦) والعري، فإن العري صفة بهيمية لا يميل الإنسان إليه إلا إذا تسافل وعد في صف البهائم، وإن رؤية العري جمالا هو فساد في الذوق الإنساني وقتل للفطرة السليمة. فالحجاب في واقعه منع لغلبة

البعد الحيواني على البعد الإنساني والعقلي في شخصية الإنسان، والحجاب في جوهره إعلان شأن العقل على غيره وإظهار له، إذن الحجاب ناصر للعقل والبعد المعنوي والجانب المتعالي على الشهوة والبعد الحيواني والجانب المتسافل في شخصية الإنسان، ورحم الله من قال (الحجاب حجاب للشهوة وسفور للعقل) ' و الحجاب في روحه دعوة إلى التقوى، قال تعالى (يبيني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)^(٥٧). والحقيقة هي أن (الحجاب) أو لبس القماش ما هو إلا جزء من (الحجاب الإسلامي)، والحجاب الإسلامي هو : عنوان تلك المجموعة من الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في النظام الإسلامي، والتي شرعها الله سبحانه وتعالى لتكون الحصن الحصين الذي يحمي المرأة، والسيج الواقي الذي يعصم المجتمع من الافتتان بها. فالحجاب ليس مجرد لباس، بل ستر للغرائز الحيوانية وستر للرديلة وستر لكل الأخلاق السيئة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الفطرة الإنسانية القائمة على حفظ أعلى وأتمن ما لدى الإنسان، فهو الحافظ لكرامة المرأة ومعنوياتها.

وقد حث الرسول الكريم على قضية الحجاب أيما حث، وأنذر تاركته بالوعيد والحميم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام : قال : (دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت : فداك أبي وأمِّي يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ فقال : يا علي، ليلة أُسري بي إلى السماء رأيتُ نساءً من أمتي في عذاب شديد، فأنكرتُ شأنهنَّ فبكيته لما رأيت من شدة عذابهنَّ،.....ومن ضمن تلك النساء..... قال : رأيت امرأة (معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها)..... فلما سألتها الزهراء عليها السلام عن سبب ذلك.... قال : أما المعلّقة بشعرها فإنها كانت لا

تغطي شعرها من الرجال.....)(^(٥٨).

من حكم الحجاب

قال تعالى (يا أيها النبي قُلْ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عليهنَّ من جلابيبهنَّ ذلك أدنى أن يُعرَفْنَ فلا يُؤذَيْنَ وكان الله غفوراً رحيماً)^(٥٩)
التفسير : أي ستر جميع البدن أقرب إلى أن يُعرَفْنَ أنهنَّ (أهل الستر والصلاح) فلا يُؤذَيْنَ، أي لا يُؤذِيهنَّ (أهلُ الفسق) بالتعرض لهنَّ.^(٦٠)

وهنا يحافظ الإسلام على المرأة من الأذية بتشريعه للحجاب، فإن الخصائص الموجودة لديها من الممكن أن تسبب عادةً في الأذية بالنسبة إليها، فإننا نلاحظ دائماً أن الشباب الفاسد إنما يتحرش بالخفيفات المستهترات العاريات، فإذا قيل له : لماذا تتحرش بالنساء؟ يقول : لو لم يكن هن راغبات في ذلك لما خرجن إلى الشارع على هذه الصورة الفاضحة. فإذا رأى هؤلاء أن نساءنا متمسكات بحجابهن، فسيدركون أنهن من النسوة العفيفات النجيبات، فينتاب اليأس الذين في قلوبهم مرض. فهنا يتضح أن الحجاب عفاف، يفقأ عين الشر ويقطع يد الإثم.
قال الشاعر :

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| ولم تخشى من الله الحسابة | فلن تخشى حياءً من رقيب |
| جلست ترى العجب العجبا | إذا سارت بدا ساق وردف ولو |
| أهذا طبع من رام الصوابا | بربك هل سألت العقل يوماً |
| إلى الإسلام تنتسب انتساباً | أهذا طبع طالبة لعلم |
| وما كان السفور إليه باباً | ما كان التقدم صيغ وجه |
| وطبع الحمل أن يخشى الذئابا | شباب اليوم يا أختي ذئاب |

ففي هذا العصر أصبحت المرأة جسدا يعرى ليلبي احتياجات الاستهلاك وتغير موضحة الأزياء وإنتاج المصانع الرأسمالية من مساحيق زينة وتجميل، فلتعلم المرأة المسلمة قيمة الحجاب ومدى عظمة الإسلام الذي وضع الحجاب ونهى عن السفور، فهاهو (جورج رائيلى اسكات) الكاتب الإنكليزي في كتابه (تاريخ الفحشاء) يقول : إن من الأسباب التي قوضت الخلق والأدب في انكلترا والأقطار الأوربية وتدهور المرأة واشتغالها بالفسق والفجور والتعهر، هي : (الولوع الفاحش بالتبرج الذي قد بعث في نفس كل فتاة أشد الحرص على الأزياء الفاتنة الغالية من أحدث الطرز وأدوات الزينة والزخرف من شتى الأنواع وهذا أكبر أسباب هذه الفحشاء....)(٦١).

قال تعالى (وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن)(٦٢).

التفسير : إذا مست الحاجة إلى تكليمكم أزواج النبي ﷺ فكلموهن من وراء حجاب وقوله (ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) بيان لمصلحة الحكم (٦٣). ويمكن الاستفادة من الآية الأنفة الذكر التي تتكلم عن عدم الأذية لנסاء المؤمنين، أن الحكم بوجود الحجاب لا يختص بנסاء النبي ﷺ بل هو مشترك بين جميع النساء، كما يمكن تعميم عبارة (ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) التي تبين مصلحة الحكم على جميع النساء، وبالتالي فإن الآية المذكورة ألزمت الرجال المسلمين أيضاً باحترام حجاب النساء الأجنبية كافة (٦٤).

ومن هنا نعرف ضرورة التزام المرأة بالحذر والدقة الشديدة والبالغة من أي شيء قد يتحوّل في شخصيتها لعامل إثارة وإغراء، وتكون قضية السّتر هي قضيتها التي لا تقبل المساومة عليها أبداً، لكون حجاب المرأة ضرورة اجتماعية ملحة،

ولتحافظ على طهر قلبها ونقائه.

روي أنه خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورأسها مكشوف، فرآها رجل أجنبي فرجعت وحلقت رأسها، وكانت من أحسن النساء شعراً، فقيل لها في ذلك، قالت: ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس بمحرم.^(٦٥) ورحم الله امرأة كانت فقدت طفلها فوقفت على قوم تسألهم عن طفلها فقال أحدهم: تسأل عن ولدها وهي تغطي وجهها. فسمعتة فقالت: (لأن أرزاً في ولدي خير من أن أرزاً في حياتي أيها الرجل).

بيد العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي
٢- تجنب الاختلاط: أيضاً من الآثار البارزة لحياء المرأة تجنب الاختلاط بالجنس المخالف حفاظاً على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، ولا مأخذة شرعية طبعاً إذا أرادت المرأة الملتزمة بمحدود الحجاب الشرعي الذهاب إلى السوق مثلاً ما لم تنجر إلى الفساد، فلا (وجوب شرعي) في المقام، ولكن يجب على المرأة المسلمة أخلاقياً (وجوب أخلاقي) الابتعاد عن الرجل الأجنبي مهما أمكن والسعي في انحصار عملها في البيت.

وقد تطرأ ظروف خاصة وتقتضي المصلحة الاجتماعية والسياسية مشاركة النساء في التجمعات العامة، فيلزم هنا أيضاً فصل تجمع النساء عن الرجال قدر الإمكان فإن اختلاط المرأة مع الرجل الأجنبي، ذو قيمة أخلاقية سلبية من وجهة نظر الإسلام.^(٦٦)

جاء في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام (واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد

من إدخالك عليهن من لا يوثق به عليهن. وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك
فافعل) (٦٧)

وهناك حديث ثمين جداً بأن يكون نصيحة ووصية أخلاقية لا بد أن يضعها المجتمع
نصب عينيه وهو حديث مروى عن سيدة النساء وسيدة العفة والأخلاق عليها السلام
والحديث ملخصاً كما يلي :

(سأل رسول الله صلى الله عليه وآله الناس يوماً : ما أفضل شيء للمرأة ؟ فلم يستطع أحد أن
يجيب. وكان الحسن بن علي صغيراً حاضراً في المجلس، فحكى القصة لأمه
الزهراء فقالت : أفضل شيء للمرأة هو ألا يراها أجنبي، وألا ترى أجنبياً) (٦٨).
فإن هذا الحديث صريح وواضح في أرجحية بعد المرأة عن الرجل.

إشكال : إن هذين الحديثين وما يشبههما من أحاديث لم يستند إليها الفقهاء في
استنباط حكم إلزامي لوجود أدلة قطعية أخرى من الآيات والروايات تخالف
الظاهر من معنى هذه الأحاديث، فالفقهاء أجازوا الاختلاط إذا التزمت المرأة
بحدود الحجاب الشرعي.

الجواب : إن جميع الاستثناءات الإسلامية هي من باب رفع الحرج والضيق، أما
الأرجحية الأخلاقية في التحجب، وبعد المرأة عن الرجل وإيجاد الحريم بينهما،
فأمور باقية على حالها (٦٩)، وهذا الوجوب كما تقدم هو على نحو الأمر والوجوب
الأخلاقي الإرشادي لا على نحو الوجوب الشرعي الإلزامي، والأول أرقى وأفضل
من الثاني حتماً، وإن الكيس الفطن لا يطمع في الداني مع وجود العالي.

إذن تلخص مما سبق أن مما يوصي به الإسلام كأمر أخلاقي هو تجنب الاجتماعات
المدنية المختلطة قدر الإمكان. فإن العلاقة بين رجل وامرأة أجنبيين علاقة خطيرة
جداً فهذه العلاقة كما يعبر عنها (الوحد الذي تنزلق فيه الفيلة)، و مجتمعنا

اليوم يرى بنفسه أضرار الاجتماعات المختلطة، فهذا هو الغرب بنفسه يدعن ويعترف بأضرار الاختلاط، ونذكر هنا أقوال البعض في نتائج الاختلاط في الغرب لعل نساءنا يتعظن بذلك قبل أن يسبق السيف العذل، وينخدعن بالشعارات الكاذبة، فإن الشقي من وعظ بنفسه، والسعيد من وعظ بغيره :
من نتائج الاختلاط في العمل تقول السيدة (اللادي كوك) : إن الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولا يخفى ما في هذا من البلاء العظيم على المرأة، فيا أيها الآباء لا يغرنكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرناه، فعلموهن الابتعاد عن الرجال، إذ دلنا الإحصاء على البلاء الناتج من الزنا يعظم ويتفاقم بين الرجال والنساء، ألم تروا أن أمهات أولاد الزنا هن من المشتغلات في المعامل ومن الخاديات في البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن^(٧٠).

ومن حصاد بعض مدارس الغرب المختلطة :

يقول الباحث السوسيولوجي الفرنسي "ميشال فيز" مؤلف كتاب "مطببات الاختلاط المدرسي": "لم يحقق الاختلاط النتائج التي كانت مرجوة منه على الإطلاق، فعلى صعيد العلاقات بين الذكور والإناث، لم تؤد تجارب الاختلاط إلى بروز علاقات أكثر توازنا وفقا لمبادئ المساواة والاحترام المتبادل، بل بالعكس تولد قدر متزايد من العنف في الإطار المدرسي، فحسب تقرير لوزارة التربية الفرنسية، نُشر في مارس ٢٠٠٣، تم تسجيل ١٤٠٠ حادثة اعتداء أو عنف ذات

طابع جنسي في المدارس التكميلية الفرنسية البالغ عددها ٧٨٥٩ مدرسة، خلال موسم دراسي واحد! الشيء الذي لم يكن ليخطر في أذهان الذين تمسوا للاختلاط في الستينيات، لأنهم كانوا يتصورون أنه يحقق للفتيات المساواة، في حين أن النتائج جاءت عكسية تماما، فالبنات في المدارس المختلطة أصبحن عرضة بشكل متزايد للاعتداءات الجنسية وللعنف الذكوري بمختلف أشكاله".

ويقول الباحث "أندريه روش"، مؤلف كتاب "تحوّلات الهوية الذكورية"، إن الاختلاط في حد ذاته أدى إلى إفراز وخلق فوارق جديدة تتمثل في تراجع قدرات التلاميذ الذكور على التحصيل العلمي، بدءاً من السلك التكميلي حتى نهاية الثانوي، حيث لا يتجاوز عدد الناجحين الذكور في امتحان البكالوريا ٦٣ بالمائة من مجموع المسجلين في المدارس المختلطة، في حين أن نسب النجاح في المدارس الخاصة (الدينية) التي لا تعتمد الاختلاط يصل إلى ٧٦ بالمائة.

ويُرجع الباحث روش أسباب هذه الظاهرة إلى التأثيرات السلبية لوجود البنات والذكور في أقسام مشتركة، خصوصاً في سن المراهقة، حيث يؤدي ذلك إلى تراجع قدرات الذكور على التركيز والتحصيل العلمي.

والمفعول ذاته موجود أيضا لدى البنات، لكنهن في العادة أكثر انضباطا والتزاما بالقواعد الدراسية من الذكور، ولذا فإن هذه الانعكاسات بالنسبة لهن محدودة جدا.^(٨)

و يقول (جوان هول) مدير مدرسة " ليدرشيب شارتيير " للبنات في ولاية شيكاغو(الأمريكية) أن المدرسة بدأت تطبق برنامج فصل البنات عن الأولاد منذ العامين الماضيين حيث ضمت ٣٢٥ فتاة واليوم يوجد لدينا قائمة انتظار لأكثر من ٤٠٠ فتاة، ويرى هول أن البنات يتعلمن بصورة هادئة خالية من التصرفات

المزعجة التي كانت تصدر منهن للفت نظر الأولاد المراهقين حيث ينتبهن إلى دروسهن بدرجة عالية بالإضافة إلى حريتهن في الحديث بدون خجل أو تردد.^(٧٣) ولقد قام بعض الباحثين بدراسة عاجلة لمعدلات تزايد الطلاق في العالم الغربي، فوجد أن ظاهرة الخيانة الزوجية، وتهيئة المناخ الملائم لها، وهو الاختلاط بين الجنسين، كان وراء تزايد معدل الطلاق في الغرب^(٧٣).

٣- السكينة والوقار : عن رسول الله ﷺ : (إن من الحياء وقاراً وإن من الحياء سكينة)^(٧٤).

لابد للمرأة من الالتزام بالوقار والحشمة حين التحدث مع الرجال، إذا اقتضت الضرورة ذلك، وأن لا يكون لحن كلامها مثيراً لأهواء الرجال، قال تعالى (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)^(٧٥). فإذا أرادت المرأة أن توصل صوتها إلى أجنبي بقصد التهيج والتحريك، فقد ارتكبت محرماً شرعياً. والوقار هو تماسك الشخصية في سائر تصرفاتها، قال الشريف الرضي :
وقور: فلا الألحان تأسر عزمي ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
ومن آثار حياء المرأة الأدب وعدم التلطف بكلمات بذينة، قال الإمام الصادق عليه السلام:
لاتذهب الحشمة بينك وبين أخيك، فإن ذهاب الحشمة ذهاب الحياء، وبقاء الحشمة بقاء المودة)^(٧٦)، وأن يكون الهدوء تاجها وأن لا يرتفع صوتها، لا سيما إذا كانت في محضر الأجانب، لتحفظ جمالها وجلالها، فمن كثر وقاره كثر جلالته.^(٧٧)

نساء خالديات

لقد بزغت في سماء التاريخ شمس لا يمكن أن تغيب، ويحل محلها الظلام، وهي

أولى بالنأسي والافتداء، من السفارات المتبرجات اللائي ذاع صيتهن المزعج هذه الأيام، فعلى المرأة المؤمنة أن تقتدي بمن كان الطهر والحياء ملئ كيانهن لا من ينجل القلم عن تسطير أفعالهن، فقد قال النبي الكريم ﷺ : (من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قومٍ أشرك في عملهم)^(٧٨).

لقد خلد القرآن الكريم ذكر امرأة من أهل هذا الخلق (الحياء)، وقد ورد ذلك في قصة ابنتي شعيب عليهما السلام حيث أرسلت إحداهما من قبل أبيهما لدعوة موسى عليه السلام، قال الله عنها: { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }^(٧٩).

فالله سبحانه يمدح هذه الصفة في المرأة وهي أن تتعامل مع الرجل الأجنبي عنها وهي تشعر بالحياء، فتتكبر الاستحياء في الآية للتفخيم، والمراد بكون مشيها على استحياء ظهور التعفف من مشيتها^(٨٠)، والنصوص المفسرة تذكر لنا أن الفتاة كانت من الحفريات اللواتي لا يحسن المشي بين يدي الرجال، ولا الكلام معهم، وخير دليل على ذلك أنها جاءت إليه تمشي على استحياء بلا تبذل، ولا تبجح، ولا إغواء، وكلماتها التي خاطبت بها موسى عليه السلام، إذ أبانت مرادها بعبارة قصيرة واضحة في مدلولها، من غير أن تسترسل في الحديث والحوار معه (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)، كل هذا من آثار الفطرة النظيفة والتربية الراقية.

فهذه المرأة نالت وسام تخليد ذكرها في القرآن لما اتصفت من خلق رفيع فهي (خفيرة تمشي على استحياء، ولا تتحدث مع الرجال إلا لضرورة).

ولا يدري من وقف على أحداث هذه القصة التي جرت لنبي الله وكليمه

موسى عليه السلام أيعجب من حياء المرأة أم من حياءه عليه السلام، فإن موسى عليه السلام لما اضطر إلى الذهاب مع الفتاة، أمرها بالمشي خلفه، حتى يتجنب النظر إلى ماتكرهه السماء. ^(٨١)

ويذكر القرآن الكريم خلق امرأة أخرى، مصطفاة من الله، وسيدة نساء أهل زمانها، مريم ابنة عمران، فإنها لما اتخذت من دون القوم حجاباً، وخلت لوحدها، أرسل الله إليها ملكاً عظيماً تجسد لمريم على شكل إنسان جميل لا عيب فيه ولا نقص قال تعالى (فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) ^(٨٢).

ولا توصف حالة مريم وهي التي كان يضرب بها المثل بين الناس في العفة والتقوى، عندما شاهدت هذا المنظر، وهو دخول رجل أجنبي في محل خلوتها، فكم داخلها من الرعب والاضطراب، ولذلك فإنها - وبشكل مباشر - قالت إنني أعود بالرحمن منك إن كنت تقياً ^(٨٣).

وهاهي السيدة خديجة عليها السلام تشمخ في أدبها واستحيائها في طلبها من زوجها لاسيما مع مقام النبوة المهيب، فقد روي أنه لما اشتد مرضها أوصت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوصايا ولما وصلت للوصية الثالثة قالت : (أما الوصية الثالثة : فإنني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإنني مستحية منك يا رسول الله، فقام النبي وخرج من الحجرة فدعت بفاطمة وقالت (يا حبيبي وقرّة عيني قلولي لأبيك : إن أمي تقول : أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفني فيه) فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرداء إلى فاطمة، وجاءت به إلى أمها، فسرت به سروراً عظيماً ^(٨٤).

أما أكمل نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد كانت تحجل النسيم، من شدة حياءها وكمال عفتها، كيف لا وهي أدنى وأقرب النساء من ربها سبحانه وتعالى، وهي القائلة (إن أدنى ما تكون المرأة من ربها أن لا ترى الرجال ولا يراها)^(٨٥). فإن العفة والحجاب من ذاتيات سيده النساء، وقد أعطت للمرأة المسلمة الدروس في ذلك لتكون في قمة الكمال، فإن كمال الحقيقة الإنسانية في المرأة هو الحقيقة الفاطمية.

روي أنه دخل أعمى - بعد الاستئذان - بيت الإمام علي عليه السلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حاضراً هناك. فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام قامت، وابتعدت عن ذلك الرجل واحتجبت منه.

فقال النبي: (لم حجبته وهو لا يراك؟)

قالت: يارسول الله إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يشم الريح. وانبرى الرسول صلى الله عليه وآله يجد فيها هذه الروح قائلاً: (أشهد أنك بضعة مني)^(٨٦). ولم تحافظ الزهراء على حجابها وحياتها في حياتها وحسب، بل حافظت عليهما حتى بعد موتها بأبي وأمي، فقد جسدت لنا بنت الطهر ذروة العفة والحجاب عندما ذكرت الزهراء لأسماء بنت عميس في أواخر حياتها كيفية حمل الناس للموتى من النساء، وأبدت قلقها من ذلك قائلة: (إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أن يطرح على المرأة الثوب، فيصنفها لمن رأى، فلا تحمليني على سرير ظاهر، أستريني، سترك الله من النار)^(٨٧).

وفي يوم المحشر أيضاً لا يرى خيال فاطمة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين، نادى منادي ربنا من تحت عرشه:

يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم، فتجوز فاطمة على الصراط^(٨٨).
ولعمري لو اقتدت نساء الكون بفاطمة، لزهده الرجال في الحور العين، ولأضحت نساؤنا في أعلى عليين، ولبنت مجتمعاً إسلامياً متطوراً قائماً على الشرف والفضيلة. وعلى أي حال فإن حجاب سيدة النساء كان نوراً لكل فتاة تريد أن تعيش عزيزة في المجتمع. يقول الشيخ الأصفهاني :

وخدرها السامي رواق العظمة وهو مطاف الكعبة المعظمة
حجابها مثل حجاب الباري بارقة تذهب بالأبصار
تمثل الواجب في حجابها فكيف بالإشراق من قبابها
ولا أدري ما أقول في زينب عليها السلام، فهي وارثة خلق أمها، وهي امرأة ربيت في حجر الزهراء، وتوجيهات علي، فمن ذا يستطيع أن يتكلم عن شخصيتها، وعن جلاله قدرها، ويحدثنا التاريخ عنها بما يدهش العقول، ويجير الألباب، وقد كانت زينب العفاف عينه، والحشمة ذاتها، فقد حدث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله مارأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأحمد ضوء القناديل فسأله الحسن عليه السلام مرة عن ذلك فقال عليه السلام : أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب^(٨٩).

فإن علياً عليه السلام لا يريد أن تلاحظ شخص ابنته عين، إنها بحق درة مصونة وجوهرة

مكونة، وسأذكر بعضاً من مواقفها البطولية الدالة على شدة حرصها على الحجاب، في أحلك الأوقات وأصعب الظروف، في ختام البحث إذا وفقني الله تعالى لذلك.

ومات الحياء

لا يخفى أن الحياء من الناس، يكون عندما يعتبر المجتمع تلك الأعمال مذمومة ومستهجنة. أما المجتمع المصاب بالانحراف والضلال، المبتعد عن تعاليم السماء، الذي تفقد فيه بعض المفاصد والمعاصي قبورها، ويعتبرها الجميع أموراً اعتيادية، فإنه لا يقف الانحراف في ذلك المجتمع عند فقدان الحياء، بل قد يتفخرون بأعمالهم المنافية للحياء والأدب، ويعدون منكرها متخلفاً، أو رجعياً، أو مناهضاً لحقوق المرأة والمجتمع، وقد وصل الحد في بعض المجتمعات، إلى كسر طوق الحياء تماماً، فهناك مجتمعات في هذا العصر، ترى في العفة والامتناع عن العلاقات الجنسية غير المشروعة جهوداً وتخلفاً، وتعتبر الحرية في العلاقات غير المشروعة مثلاً للتقدم والوعي والنضوج!!! في مثل هذه المجتمعات لا يوجد معنى للحياء ومراقبة للأفكار العامة، ونذكر ههنا بعض الأمثلة عن واقع المرأة في المجتمع الغربي ونعرج بعدئذٍ على المجتمع العربي والإسلامي وحالته المزرية في هذه الأيام وليعذرني القارئ على ما سأذكره من أمثلة سلفاً.

في الغرب: لقد كشف الغرب عن عورته جهاراً نهاراً بلا خجل ولا استحياء متفاخراً متبجحاً بذلك، وأقتصر هنا على مثالين لواقع المرأة الغربية، فإن مظاهر التحلل في الغرب واضحة كالشمس إذا انقشع السحاب:

(يونايته برس) لقد أعلن (الدكتور رونالد جيسون) قبل أيام في مؤتمر جمعية

الأطباء البريطانية، عند قراءة تقرير يتعلق بالقضايا الجنسية، بأنه في إحدى المدارس الإنكليزية للبنات كانت الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين ال ١٤ وال ١٥ سنة يضعن شارات خاصة على صدورهن، تشير الى أنهن قد فقدن بكرتهن ! لقد أدى هذا التقرير إلى اضطراب شديد في الأوساط الدينية ومن قبل أولياء أمور الفتيات، وأكد الدكتور جبسون في مؤتمر جمعية الأطباء البريطانية أن انعدام الضبط الخلقي يسيطر على جميع نقاط البلاد، واعتبر الطب الروحي الجديد مقصراً كل التقصير، ولقد أعلن (الدكتور امبروس لينك) وهو من المعنيين الاختصاصيين في الأمراض الجنسية بعد أيام من ذلك بأنه منذ عام ١٩٥٧ وحتى الآن فقد ظهر مرض جنسي جديد بين الشبان الأحداث. وقد شاع بين الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ال ١٥ وال ١٩ عاماً بنسبة ٣، ٦٧٪، أما بين الفتيات اللاتي في نفس السن فقد ازداد المرض بنسبة ٤، ٦٥٪.^(٩٠)

قال الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه (الحجاب) : (وبلغ من شيوع الفحشاء في فرنسا، قبل الحرب العالمية الأولى، أن النساء اللواتي كن يجترفن البغاء ما يقارب نصف مليون، كما جاء في تقرير (مسيو بيلو) ويخمن القاضي الأمريكي (لندسي) أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل تخرجهن وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم العالية.

وقد بلغت نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في (دنفر) عاصمة ولاية (كولورادو) عن طريق البغاء نسبة ٤٨٪.^(٩١) وقد ذكر أن مليون امرأة تقريباً عملن في البغاء بأمريكا خلال الفترة من ١٩٨٠م إلى ١٩٩٠م، ويولد سنوياً أربعة ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة.

في المجتمعات العربية والإسلامية : شاعت الوقاحة، حتى أصبحت أمراً عادياً في بعض هذه المجتمعات، ونرى ذلك واضحاً من تمرد الجيل الصاعد شباباً وشابات على التقاليد والأعراف، والفقهيّات والأخلاقيات الأسرية والاجتماعية، مما يساعد على موت الحياء وتنبيه عامل الجرأة على ممارسة الرذائل الأخلاقية، التي كانت في يوم من الأيام تستحي المرأة في مجتمعنا من مجرد الحديث عنها، فضلاً عن ارتكابها أمام الآخرين، اليوم أصبحت هذه الممارسات التي كانت في دائرة محرمة عند كثير من النساء من المباحات التي لا تخجل من ممارستها، كل ذلك بسبب البعد عن إرشادات الإسلام، وتقليد الغرب، وسوء التربية.

وقد بدأت هذه الظواهر في المجتمعات الإسلامية تنتشر، ومن مظاهر تحلل المرأة المسلمة أنها استبدلت عباءة الرأس الزينية بعباءة الكتف أو غيرها من العباءات التي قد تفصل الجسم وتظهر مفاتن الجسد، وهي تعلم أن العباءة الزينية الأصيلة أعف وأستر، وأخرى أخذت تشارك في التجمعات المختلطة بدعوى المشاركة السياسية أو المشاركة في الجمعيات التي تنادي بحقوق المرأة، فأخذ يعلو صوتها ويرتفع، وتتجادل مع الرجال وما أشبه، وثالثة تعمل في دوائر مختلطة وأخذ يتصفح وجهها الأجنب بحجة التمدن والتطور.

وقد ازداد الأمر سوءاً يوماً بعد يوم، فعندما فسخت فتيات الإسلام من أمة محمد ﷺ الحياء أصبحن في حالة يرثى لها، وفي وضع يشكى منه، ودب الانحراف في صفوفهن، فقامت بعضهن بنزع الحجاب، والخروج إلى الأسواق متطيبات متجملات لابسات لأنواع الحللي والزينة، لا يبالي بنظر الرجال إليهن، بل ربما يفتخرن بذلك، فتجسدت شيطاناً مغوياً للشباب، وبالنتيجة صرن يتعرضن للمعاكسات من الشباب المنحرف، ففي الدراسة التي أجريت عن العوامل

الاجتماعية المؤدية إلى الجرائم الجنسية في المجتمع السعودي عام ١٤١٤ للهجرة، تبين أن (٢. ٤١%) من المحكوم عليهم بأفعال جنسية محرمة، كانت بداية انحرافهم وجنوحهم الجنسي هو ارتياد الأسواق التي تتردد عليها النساء بكثرة، وأبرز ذلك البحث الميداني أن ظاهرة مضايقة النساء في الأسواق بقصد المعاكسة، ترتبط كثيراً بسلوك المرأة ولبسها وحركاتها، فقد ثبت من الدراسات الاجتماعية على المجتمع السعودي، أن العوامل المرتبطة بالإجرام الجنسي، كان بينها علاقة أكيدة وقوية بين سلوك المرأة في طريقة لبسها وتعطرها وحركاتها، وبين ارتكاب الجرائم الأخلاقية.^(٩٢)

فهنا يذوب عفاف المرأة المسلمة، وتستغلها أنياب الذئاب البشرية لإشباع جوعها، فتزل قدمها وينفطر العقد وتظل هي في حسرتها وآلامها :
عِدُّ الْعِفَافِ ثَمِينٌ حِينَ تَحْفَظُهُ بِنْتُ الْمَكَارِمِ أَوْ فِي الْوَحْلِ يَنْفَطِرُ
فالعفاف تاج، بل كنز حقيقي لا تراه أو تعرف قيمته الحقيقية إلا عيون النادمات. وهذا ليس ببعيد عن مجتمعات اليوم فقد دبت في عروقها الفحشاء والرذيلة، وربما فرضت هذه الرذيلة بقوة القانون في بعض الأحيان.
ثفانجر بعض الشباب والشابات إلى هذه الممارسات غير الأخلاقية، غير مباليين، قد أشاحوا بوجوههم عن الحياء والعفة، وأذكر على سبيل المثال ما تناقلته وسائل الإعلام عن مشرفة اجتماعية في إحدى المدارس أنها شاهدت فتيات مراهنات يحفرن أسماء من يجبن على أيديهن، من المغنين والراقصات وماشابه من أضرابهم.^(٩٣) وغير ذلك كثير مما يندى له الجبين.

وقد صدمت عندما قرأت ما طالعنا به الصحف بأن إحدى النساء المسلمات العرب والتي تعد في صف المشاهير قد قامت بما لا يجزؤ عليه الغرب نفسه، فقد قامت بخلع ملابسها تماما في ساحة واشنطن سكوير بارك ووقفت عارية كما ولدتها أمها... وأمام وسائل الإعلام والسائحين كتبت على ظهرها باللون الأحمر عبارات تطالب بإيقاف الحرب في العراق وفلسطين..!!

ومن المضحك المبكي ما قالته بعد ذلك في حوار صحفي حيث قالت : أمل ألا يساء فهمي وبشكل خاص من قبل الناس المتدينين، فالله ضد الحرب وأي شيء نقوم به للتعبير عن رأينا سيكون ضد الظلم..!!^(٩٤)

ومن هنا أرادت هذه العارية خلق تشريع جديد يقتضي إطاعة الله من حيث يعصى، إذ الغاية عندها تبرر الوسيلة، تحرير المقدسات على حساب الحياء والعفة، فجسدها العاري سيحل لنا مشكلة العراق و فلسطين !! ولو كانت مقاومة الظلم بالتعري لتحول كل الرجال إلى ظلمين ليستمتعوا بمفاتن النساء في الشوارع.. (إن لم تستحي فاعمل ماشئت)

وأحمد الله تعالى على أن هذا الحدث قد لاقى معارضة واستنكار نوعاً ما من قبل المجتمع المسلم، أما بعض الانحرافات فقد عدها المجتمع من الفضائل، وقد اعتبر رسول الله ﷺ هذه الظاهرة من أخطر المشاكل الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟!!

فقل له : ويكون ذلك يا رسول الله؟!!

قال : نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟!!

قل: يا رسول الله ويكون ذلك؟!!

قال : نعم، وشر من ذلك. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟!^(٩٥)

وكل هذه الأمثلة غيض من فيض عما يحدث في واقعنا المر من ذهاب الخلق والتفسخ، قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُم ذهبَت أخلاقهم ذهبوا

بيت العنكبوت

لقد ظهر في هذه الأيام من يحاول أن يتحدث، ويبرر تصرفاته غير المسؤولة وأفعاله الوقحة، ببعض الشعارات واللافتات الخادعة التي هي كالتقبور، (ظاهاها مزين وباطنها جيفة)، فهذه الشعارات لا تعدو كونها مطية لوصولهم إلى رغباتهم وإشباع شهواتهم، ومن المأسف حقا في هذه الأيام، إنخداع المرأة المسلمة بهذه الشعارات، مما سبب موت الحياء لديهن وظهور تلك المظاهر المخزية الأنف ذكر بعضها.

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء
ومن تلك الشعارات :

الحرية : ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات الداعين لتحرير المرأة، وطالبوا بتحرير المرأة مما يسمونه عادات وأعراف بالية قديمة، فلا بد للمرأة من التحرر والاختلاط والمشاركة في كل شيء يروق لها لتأخذ بذلك المرأة حقوقها المغصوبة. ونقول في ذلك، لا بأس بالمطالبة بالحرية التي تقف عند حدود الشرع المقدسة، باعتبار أن كمال الإنسان هو في عبوديته لا في حريته، عبوديته وإطاعته لله سبحانه وتعالى، واحترامه للقيم، وإن تسافل الإنسان هو في عصيانه لله وتمرده

على القيم، فكلما كان الإنسان أعبد وأطوع، كلما كان أكمل وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، قال الإمام الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)^(٩٦)، ومن هنا كان من جملة ما نستدل به على أفضلية الإمام علي عليه السلام على باقي الصحابة، كونه أعبد الصحابة لله سبحانه، فلما كان أعبدهم كان أفضلهم، فالمنهج السليم والطريق الآمن للوصول إلى الكمال الفطري المنشود للطبيعة الإنسانية، يكمن في العبودية لله سبحانه وتعالى. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (من قام بشرائط العبودية أهل للعتق)^(٩٧). ومن هنا كان العبد المطيع لله هو الحر الحقيقي. وهذه الشردمة تصور العبودية لله سبحانه وتعالى بسجن لا بد من تحرير المرأة منه، فتخرج المرأة إلى أحضانهم ليستغلوها بمختلف الصور، فهم في الحقيقة أخرجوا المرأة من عبودية الله إلى سجن مظلم محكم، فهم عباد الشهوة والغريزة، قد أسرتهم وأحكمت قيودها عليهم، فالذي ينقاد لرغباته وأهوائه ليس حراً، بل هو عبد ذليل لشهوته قال الأمير عليه السلام : (عبد الشهوة أذل من عبد الرق)^(٩٨)، والأحرار الحقيقيون هم الذين يستطيعون السيطرة على حب الشهوة بقوة الإيمان والعقل، وفي ظل الأخلاق و الفضائل قال الأمير عليه السلام : (من ترك الشهوات كان حراً)^(٩٩).

ومن الظريف حقاً ما ذكرته مندوبة الأمم المتحدة بعد أن رأت مخاطر إطلاق الغرائز على حريتها في السويد، فتقول في تقرير لها (إن من حق المرأة السويدية أن تطالب بحريتها فإن المرأة في الشرق العربي قد وصلت إلى قمة حريتها في ظلال الإسلام)^(١٠٠)

وقصة بشر الحافي مع الإمام الكاظم عليه السلام تعطي جواباً وافياً لمن تأمل ودقق البصر. المساواة بين الرجل والمرأة : من الشعارات التي أصمت آذاننا بنعيقها في هذه

الأيام، المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة.

ونقول في ذلك، هناك فرق كبير بين المساواة والعدل بين الرجل والمرأة، فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، أما المساواة فهي التساوي بينهم في كل شيء. ونحن إنما نطالب بالعدل لا بالمساواة لأن الرجل جنس، والمرأة جنس مختلف، ولا يمكن المساواة بين جنسين مختلفين في كل شيء، فخصوصيات الرجل تختلف عن خصوصيات المرأة، فلا يمكن إنكار التفاوت الفسيولوجي والسيكولوجي (النفسي) الموجود بين الرجل والمرأة، وإذا كان كذلك، إذن فمن المستحيل أن نتوصل إلى ما يسمونه بالمساواة، فكيف نسوي بين اثنين متفاوتين بالفطرة مختلفين في النوع؟

إذن المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة في واقعها ظلم للمرأة، لأنها لم تعط كل ذي حق حقه، فهي لم تعط المرأة حقها الطبيعي وفقاً لاحتياجاتها الجسمية والنفسية.

فكان من الأفضل، لو استبدل أولئك شعارهم هذا، بالمطالبة بالعدل بين الرجل والمرأة، ولتطبيق العدل نحتاج إلى حاكم هو أعدل من في الوجود لتطبيق الحكم العادل، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين ولا عدل أفضل من عدل الله، وما الله بظلام للعبيد.

وقد أعرضت عن الإطالة في سرد الشعارات وردها، لأن البحث في ذلك لا يستحق الإطناب، ولتعلم المرأة المسلمة أن هذه الشعارات واللافات التي يحتمي بها أولئك هي في الضعف كبيت العنكبوت بل أوهن من بيت العنكبوت قال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن

أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون^(١٠).

الحياء السلبي

الحياء كما تقدم مفهوم قيميّ يحتل مكانته الرفيعة في ثقافتنا وقيمنا خصوصاً بالنسبة للمرأة، ولكن يوجد في بعض الروايات والنصوص ما يفهم منها أن الحياء مذموم وغير مستحسن من قبل الشرع، أو أنه قد ترد روايات تذكر لنا أفعال نساء عظيمات ممن قد عصمهم الله من الخطأ والزلل قد يفهم منها أن هذه الأفعال منافية لبعض آثار الحياء المتقدمة الذكر، فكيف يمكن التوفيق بين كون الحياء أمر إيجابي وهذه الأخبار؟

١- الخجل المفرط :

يمكن الجواب عن النوع الأول من الأخبار والتي تدم الحياء، بأن الحياء في الرواية المقصود منه باصطلاح علم النفس الحديث (الخجل المفرط)، والخجل المفرط من الصفات الذميمة التي تصيب الإنسان منذ طفولته، وتلازمه حتى نهاية عمره بصورة مرض مزمن يؤلم صاحبه، يؤدي إلى انقباض النفس وانزوائها وانطوائها على نفسها، هذه الحالة النفسية تنبع من الشعور بالخسة وعقدة الحقارة في الغالب، وهذه الحالة التي تنتسب في أحد أشكاله إلى الشذوذ وتعتبر انعداماً للشخصية، وتمتد بجذورها إلى أساليب التنشئة الطفلية التي يتعرض لها الطفل من خلالها إلى خبرات مؤلمة : تحسسه بالدونية وتفاهة ذاته والمخاططها، فينسحب ذلك على استجابته حيال الظواهر التي يواجهها: حيث يتحرج من مقابلة الغرباء، أو يتهيب من الدخول في المجالس أو الدوائر الرسمية، أو يتخوف من إلقاء خطبة أو محاضرة... وهلم جراً.



ومن الواضح هنا أن أمثلة الحياء المذكور (الخجل المفرط) : تشل الشخصية عن ممارسة وظيفتها، ومن هنا ذكرت الروايات الشريفة أنماطاً من هذا الحياء المذموم : **الخجل والجهل** : إن من بعض منتكسات الخجل المرضي هو الحرمان من اكتساب المعرفة والتعلم، فإن الإفراط في ممارسة الحياء، واستخدامه في غير موضعه، ليس حالة صحيحة، ولا تدخل ضمن الحياء المحبذ والمطلوب. بل تعبر عنها النصوص بأنها مؤثر حماقة وجهل. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : (الحياء حياءان : حياء عقل، وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل)^(١٠٣)

ويعلق الشيخ المجلسي على هذا الحديث بقوله: يدل على انقسام الحياء إلى قسمين: ممدوح ومذموم، فأما الممدوح فهو حياء ناشئ عن العقل، بأن يكون حياؤه وانقباض نفسه عن أمر يحكم العقل الصحيح، أو الشرع بقبحه، كالحياء عن المعاصي أو المكروهات. وأما المذموم فهو الحياء الناشئ عن الحمق، بأن يستحي عن أمر يستقبحه أهل العرف من العوام، وليست له قباحة واقعية، يحكم بها العقل الصحيح، والشرع الصريح، كالاستحياء عن سؤال المسائل العلمية، أو الإتيان بالعبادات الشرعية، التي يستقبحها الجهال (فحياء العقل هو العلم) أي موجب لوفور العلم، أو سببه العلم المميز بين الحسن والقبح، وحياء الحمق سببه الجهل وعدم التمييز المذكور، أو موجب للجهل^(١٠٣).

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من رق وجهه رق علمه)^(١٠٤) بينما الحياء الإيجابي لا يمنع من التعلم. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه)^(١٠٥).

الخجل والحرمان : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (قرن الحياء بالحرمان)، وعنه عليه السلام :

(الحياء محرمة) وعنه عليه السلام : (الحياء يمنع الرزق)^(١٠٦)، لذلك نجد حرص النبي الأكرم على عدم استغلال هذه الظاهرة، قال صلى الله عليه وآله : (ما أخذ بسوط الحياء فهو حرام)^(١٠٧) إشارة منه إلى أنه يكون الأخذ هنا كالأخذ الغصبي.

الخجل والضعف : من الواضح أن هذه الصورة المرضية تكسب صاحبها ضعفاً في الشخصية، عن الإمام الصادق عليه السلام : (الحياء على وجهين، فمنه ضعف ومنه قوة، وإسلام وإيمان)^(١٠٨) عن الأمير عليه السلام : (لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة اللب العجب، وآفة الحياء الضعف.....)^(١٠٩). وهنا قد تتعطل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الخجل قد يمنع صاحبه عن قول كلمة الحق، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (من استحيى من قول الحق فهو أحمق)^(١١٠). قال تعالى (يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم)^(١١١).

٢- الحياء والتكليف الشرعي :

ويمكن الجواب عن النوع الثاني من الأخبار والتي تذكر قيام بعض النساء الشاخرات في سماء العقيدة، بإلقاء الخطب على الملأ مثلاً، والدفاع عن حقوقها وحقوق المضطهدين من الناس، بأن الحياء لا يتنافى مع المطالبة بالحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تقدم، فحياء المرأة لا يعني سكوتها على الباطل، فعندما يكون المجتمع الإسلامي معرضاً للخطر، يجب أن تقوم المرأة بدورها الأساسي في مواجهة هذا الخطر والدفاع عن الإسلام طبقاً للأحكام الشرعية، وضمن المواصفات الشرعية التي حددتها الشريعة الإسلامية المقدسة، ولذلك قد تقتضي الضرورة خروج المرأة في مسيرات احتجاجية والمطالبة بإقامة حدود الله، وأذكر على سبيل المثال حين دعى سماحة العلامة الشيخ عيسى قاسم إلى مسيرة

جماهيرية من منبر صلاة الجمعة للوقوف دون تطبيق قانون الأسرة المخالف للشريعة، الذي حاولت الحكومة تطبيقه، يقول أيده الله ورعاه: (أجزم أن من واجبي شخصياً أن أدعو إلى هذه المسيرة المباركة وأن أخرج فيها وحتى لا أكون شيطاناً أحرص، وهي مسيرة لكل الأعمار، لكل المستويات، للرجل والمرأة، وأخص المرأة لتفحم بموقفها الرسالي الصريح المعلن الذي تخندق مع الإسلام كل الأصوات المفترية على المرأة المسلمة والتي تريد أن تستغفلها وتستخفها وتظن أنها قابلة للاستخفاف)^(١١٣) ثم أن الحياء قرين التكليف، والكمال ينتج من مدى انقياد المرء لتكليفه، فحياء المرأة هو في تأديتها لتكليفها الشرعي الملقى على عاتقها، وعدم تأديتها لتكليفها بسبب انقباض النفس وانطوائها يكون حياءً سلبياً غير محبذ من قبل الباري عز وجل. وتدل على ذلك رواية عن الإمام علي عليه السلام قال: (هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك بين ثلاث، فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاثة؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم عليه السلام: فإني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل عليه السلام للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما وعرج)^(١١٣).

فوجد في التاريخ نساء حاولن طي صفحات الظلم والاستكبار بخطبهن الخالدة. الشهيدة آمنة الصدر (بنت الهدى) مثلاً قد شخصت تكليفها وخطبت في الناس تأسيماً واقتداءً بسيدتها الزهراء عليها السلام، فسيدة نساء العالمين، وقفت في وجه الظالمين وخطبت في القوم خطبة، يعجز البلغاء عن نظم مثلها، ومع ذلك حافظت على حيائها ولم تتنازل عنه، فإنها إذا تنازلت عن حيائها تنازلت عن دينها، فيحدثنا

التاريخ أن سيدة العفة والطهارة، بالغت في حجابها ولائت خمارها على رأسها، وذهبت إلى المسجد يحوطها لمة من نساءها، تطأ ذيولها، تمشي في سكينته ووقار، ماتحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، ولما دخلت المسجد نيبت بينها وبين الرجال ملاءة، ثم خطبت فيهم^(١١٤).

مع النهج الزينبي العفيف

وأختم حديثي بمثال آخر، وهو لرائدة البطولة والفداء، سيدة المصائب والبلايا، السيدة زينب^{عليها السلام}، فهي التي لم تتوان لحظة عن نصره الدين الحنيف، فقدمت إخوتها وأبنائها قرابين، وتحملت مشقة السفر الطويل، وكانت لها في كل محطة من محطات الحدث موقف تنصر به الحق وتزهق به الباطل، ونجدها دائماً وأبداً تحافظ على مكانة نساء أهل البيت، فلشدة حرصها^{عليها السلام} على أن لا ينظر أحد في وجوه حرم المصطفى ﷺ أرادت أن تكون الرؤوس أمام الموكب لينظر الناس إليها باعتبارها شيئاً ملفتاً وبالتالي سيقبل النظر تلقائياً إلى وجوه السبايا وخصوصاً النسوة، وأثناء دخول السبايا إلى الشام نلمح ملمحاً آخر لدى نساء الحسين في الحرص على أن لا تتصفح وجوه النساء، فقد ورد ما نصه : (ودنا سهل بن سعد الساعدي من سكينته بنت الحسين وقال : ألك حاجة ؟ فأمرته أن يدفع لحامل الرأس شيئاً فيبعده عن النساء ليشغل الناس بالنظر إليه)^(١١٥).

ولما دخلت السبايا مجلس يزيد (لعنه الله)، بدأت سيدة البلاغة خطبتها المشهورة وكان كلامها من القوة بحيث هدد ملك يزيد (لعنه الله) بالفناء، وكان في كلامها من حلاوة الألفاظ وطراوتها، وبلاغة المعاني وعمقها، ما يجرس الفصيح، ويعجز البليغ، وقد ركزت سيدتنا زينب^{عليها السلام} في خطبتها على قضية الستر، وكانت

كلماتها تبكي الحجارة، وتفتت الصخر الأصم، تقول بأبي هي وأمي ليزيد (...
أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا
قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد
ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، يتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني
والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى
مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف
يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشفن والشنآن.....)^(١١٦)

من هذا كله نستنتج أن المرأة المسلمة لا بد أن تحافظ على حيائها مهما
أمكن، فتكون حريصة على أن لا ينظر إليها الرجال، وأن تكون المرأة ميالة إلى عدم
الاختلاط^(١١٧)، وإن كان هناك خروج أو شيء يدعو إلى الاختلاط فيقتصر على ما
لا بد منه، أما أن يصبح الاختلاط مألوفاً ويصبح الرجل يتحدث مع المرأة دون
غض النظر... أو أن تتحدث المرأة مع الرجل من دون أدنى غض للبصر... فإن
ذلك غريب كل الغرابة وبعيد كل البعد عن النهج الزيني العفيف.

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وأكرمنا
بالهدى والاستقامة..... وتفضل على مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى
موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإقامة
والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) العلق: ٦ و ٩

- (٢) النحل: ٥٨
- (٣) التكوير: ٨ و ٩
- (٤) مستدرك الوسائل / النوري الطبرسي : ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٧
- (٥) في ضمن ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله)، أنه نظر إلى رجل يغتسل بحيث يراه الناس، فقال: (أيها الناس إن الله يحب من عباده الحياء والستر، فأيكم اغتسل فليتوار من الناس، فإن الحياء زينة الإسلام) مستدرك الوسائل للنوري ج ١ ص ٤٨٨. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (أفضل ملابس الدين الحياء).
- (٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٧٠
- (٧) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٣
- (٨) إحياء الحياء ص ٢٤
- (٩) دراسات في علم النفس الإنساني للدكتور محمود البستاني، ج ٢، ص ٤٢
- (١٠) علم النفس التحليلي / د. محمد حسين ضيائي، ص ١٦٥
- (١١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٧
- (١٢) روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: الحياء خمسة أنواع: حياء ذنب، وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حب، وحياء هيبة، ولكل واحد من ذلك أهل، ولأهله مرتبة على حدة. مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٦٤
- (١٣) مضمون رواية في كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٥ ص ٦٠٧
- (١٤) من دعاء يستحب قراءته بعد زيارة الإمام الرضا (ع)، مفاتيح الجنان ص ٥٧٥
- (١٥) جاء في الصحيفة السجادية عن الإمام زين العابدين (ع): (إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميت التوبة، فقلت: توبوا إلى الله توبة نصوحاً. فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه؟
- (١٦) الصحيفة السجادية (مناجاة التائبين)
- (١٧) المصدر السابق
- (١٨) الصحيفة السجادية، من دعائه إذا نزل به كرب أو بلية.
- (١٩) قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) إبراهيم، ٣٤
- (٢٠) المراقبات: الملكي التبريزي، ص ٢٥٩
- (٢١) البقرة، ٢٢٢
- (٢٢) كما جاء في بعض مقاطع دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين (ع): (أنا يارب الذي لم أستحيك في الخلاء)..(أنا الذي أمهلتني فما ارعويت وستررت علي فما استحييت)

- (٢٣) ميزان الحكمة، ص ٩٥٧
- (٢٤) المصدر السابق
- (٢٥) الفتاوى الميسرة، السيد السيستاني ص ٣٧٣
- (٢٦) قال جل شأنه (أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت إن الله كان عليكم رقيبا)
- (٢٧) من دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة.
- (٢٨) وليس المراد من حياء الله انقباض النفس، إذ هو تعالى منزه عن الوصف وإنما المراد بحياء الرب من عبده حياء كرم وبر وجود وجلال، وأنه تارك للقبائح فاعل للمحاسن، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً ويستحي أن يعذب ذا شبيبة شابت في الإسلام.
- (٢٩) بحار الأنوار، ٤٣، ص ٥٥ ٢٩
- (٣٠) الكافي، ج ٢، ٦٨
- (٣١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة / الشيخ محمد تقي التستري، ج ١٣، ص ٢٨٨
- (٣٢) ميزان الحكمة، ٩٥٦
- (٣٣) الشاب بين العقل والعاطفة ج ١، ص ٢٧٨.
- (٣٤) عن الأمير (ع) (من تمام المروة أن تستحي من نفسك)، وعن رسول الله ﷺ (ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه) / ميزان الحكمة ص ٩٥٧، ٩٥٨
- (٣٥) ميزان الحكمة، ض ٩٥٦
- (٣٦) الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، ج ٢، ص ٢٣٦
- (٣٧) المصدر السابق، ص ٢٣٧
- (٣٨) مستدرك الوسائل / النوري الطبرسي، ج ٨، ص ٤٦٥
- (٣٩) إحياء الحياء، ص ٨٠
- (٤٠) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (٤١) وسائل الشيعة / الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٦٨
- (٤٢) الكامل، عبد الله ابن عدي، ج ٣، ص ٥٣
- (٤٣) ميزان الحكمة ص ٩٥٤
- (٤٤) مع الركب الحسيني / ج ٤، ص ٤١٤
- (٤٥) التكة : هي رباط السروال أو الحزام.
- (٤٦) بحار الأنوار / المجلسي، ج ٤٥، ص ٣١٢

- (٤٧) إحياء الحياء ص ١٧٧
- (٤٨) مائة منقبة / محمد بن أحمد القمي، ١٣٦
- (٤٩) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٩
- (٥٠) مجلة رسالة القلم، العدد الثالث، ص ١٦٥
- (٥١) راجع، منهاج الصالحين / السيد علي السيستاني، ج ٣، ص ٣٠، يقول في مسألة ٧٩: لا يكفي الرضا القلبي في صحة العقد وخروجه عن الفضولية وعدم الاحتياج الى إجازة، فلو كان حاضراً حال العقد راضياً به إلا أنه لم يصدر منه قول أو فعل يدل على رضاه فالظاهر أنه من الفضولي، فله أن لا يجيز ويرده، نعم في خصوص البكر إذا ظهر من حالها الرضا وإنما سكتت ولم تنطق بالإذن لحياتها كفى ذلك وكان سكوتها إذنها.
- (٥٢) ميزان الحكمة ج ٢، ص ٩٥٣
- (٥٣) إحياء الحياء ص ٧٤
- (٥٤) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٦٥٧
- (٥٥) مسألة الحجاب / الشهيد مطهري، ص ٦٦
- (٥٦) قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) الأحزاب ٣٣
- (٥٧) الأعراف: ٢٦
- (٥٨) البحار، ج ٨، ص ٩
- (٥٩) الأحزاب: ٥٩
- (٦٠) تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٤٥
- (٦١) المرأة المعاصرة / عبد الرسول الغفار، ص ٩٠
- (٦٢) الأحزاب: ٥٣
- (٦٣) تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٣٤٣
- (٦٤) الأخلاق في القرآن / الشيخ المصباح اليزدي، ج ٣، ص ٨٦، مع تغيير طفيف في العبارة.
- (٦٥) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢٠، ص ٤١٠
- (٦٦) راجع الأخلاق في القرآن لليزدي ج ٣، ص ٨٦
- (٦٧) مسألة الحجاب / الشهيد مطهري، ص ١٩٢
- (٦٨) المصدر السابق، ص ١٩٣
- (٦٩) راجع المصدر السابق.
- (٧٠) المرأة المعاصرة / عبد الرسول الغفار، ص ٢٥٣

- (٧١) لها أون لاين ٢٦-جماد ثاني-١٤٢٦ هـ :: ٠١-أغسطس-٢٠٠٥
- (٧٢) مجلة عربيات / ٢٠ سبتمبر، ٢٠٠٢
- (٧٣) الإنحرافات الاجتماعية / عبد العظيم المشيخ، ص ١٠١
- (٧٤) إحياء الحياء ص ٧٦.
- (٧٥) الأحزاب ٣٢
- (٧٦) إحياء الحياء ص ١٧٠
- (٧٧) المصدر السابق ص ١٣٦
- (٧٨) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٠٨
- (٧٩) القصص، الآية : ٢٥
- (٨٠) راجع تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٦
- (٨١) راجع قصص القرآن / للدكتور محمود البستاني ج ٢، ص ١٥٢
- (٨٢) مريم، ١٧
- (٨٣) مريم، ١٨
- (٨٤) حياة الصديقة فاطمة / محمد جواد الطبسي، ص ٧٠
- (٨٥) المصدر السابق، ص ١٤٩.
- (٨٦) نهج الحياة / محمد الدشتي الطبراني، ص ٤٤.
- (٨٧) المصدر السابق، ص ٤٦.
- (٨٨) البحار / العلامة المجلسي ج ١٧، ص ٢٤٣
- (٨٩) وفيات الأئمة / الشيخ فرج القطفني، ص ٤٣٥-٤٣٦.
- (٩٠) راجع، الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ٢٤٧
- (٩١) راجع، المرأة المعاصرة، ص ١٣٤، ص ١٣٥.
- (٩٢) راجع، الانحرافات الاجتماعية، ص ٢٦٤
- (٩٣) نقلاً عن أحد المنتديات الاجتماعية.
- (٩٤) جريدة حديث المدينة بتاريخ ١٧/٨/٢٠٠٥
- (٩٥) الطفل بين الوراثة والتربية ج ٢، ص ٢٤٦
- (٩٦) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٧٩٨
- (٩٧) المصدر السابق.

- (٩٨) الطفل بين الوراثة والتربية، ج٢، ص ٢٦٩
- (٩٩) المصدر السابق.
- (١٠٠) المجموعة القصصية / الشهيدة آمنة الصدر، ص ٤٩١
- (١٠١) العنكبوت : ٤١
- (١٠٢) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (١٠٣) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٣١
- (١٠٤) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٩٥٥
- (١٠٥) نهج البلاغة - قصار الحكم ٨٢
- (١٠٦) المصدر السابق
- (١٠٧) إحياء الحياء، ص ٨١
- (١٠٨) ميزان الحكمة، ص ٩٥٥
- (١٠٩) إحياء الحياء، ص ٨١
- (١١٠) ميزان الحكمة، ص ٩٥٦
- (١١١) المائة: ٥٤
- (١١٢) خطبة الجمعة / شوال ١٤٢٦ هـ / ٤ / ٢٠٠٥ موال ١٤٢٦ هـ / ٤ / ٢٠٠٥ م
- (١١٣) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ٤١٧
- (١١٤) راجع / حياة سيدة النساء / باقر شريف القرشي، ص ٣٤٦
- (١١٥) في محراب كربلاء / الشيخ حسين كوراني، ص ١٦٢
- (١١٦) المصدر السابق
- (١١٧) قال رسول الله (ص): (لو تركوا صاحب الحياء ما جالس أحداً) / مستدرك الوسائل، ج ٨، ص ٤٦٥

ثقافة البكاء

عزيز حسن الخضران

كثيرة هي تلك الثقافات الإسلامية التي حثَّ عليها الشرع المقدس، وسعى الأئمة عليهم السلام لنشرها بين الناس باعتبار أنها تمثل حصناً تحقق الهدف المقدس الذي خلق من أجله الإنسان من خلال ربطه بمعبوده الأوحد وتثبيته على عقيدته الحقّة، ومن هذه الثقافات هي ثقافة البكاء. وعندما نعبر عن البكاء بأنه ثقافة نريد بذلك أن البكاء يجب أن يتحول إلى حالة عامة بين الناس، لا أن يكون بين فئة أو مجموعة خاصة. ومن أهم أنواع البكاء في الشريعة المقدسة هو البكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام وفيه عدة نقاط:

النقطة الأولى: ما ورد في الحثّ على البكاء:

- ١ - قول الإمام الرضا عليه السلام:
«يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فإنه ذبح كما يذبح الكبش»^(١)
- ٢ - وقوله عليه السلام أيضاً:
«فعلى مثل الحسين فليبك الباكون»^(٢)
- ٣ - عن الإمام الصادق عليه السلام:
«من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد الحجر»^(٣)

النقطة الثانية: سيرة أهل البيت في البكاء:

إن أهل البيت عليهم السلام لم يكتفوا بإصدار الروايات في الحث على البكاء فقط، وإنما كانت سيرتهم كذلك أيضاً، فإن ذلك قد عرف عنهم بدءاً بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبكائه على سبطه قبل ذبحه ومقتله، بل في يوم مولده الميمون، مروراً بأمر المؤمنين عليهم السلام عندما مر بأرض كربلاء، وبالزهراء عليها السلام التي بكته حينما أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله بمقتله، وانتهاءً بأخر الحجج والأولياء الإمام الحجة عليه السلام.

فمن باب المثال لا الحصر، ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام - بعد حديث ذكره في مصيبة الحسين عليه السلام أنه قال:

«كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم مصيبته وحزنه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلى الله عليه»^(٤).

بل هناك روايات تذكر بكاء كثير من الأنبياء عليهم السلام على الإمام الحسين عليه السلام أي قبل مجيئه إلى الدنيا، بل بمجرد سماع ما سيجري عليه، فكيف الحال بعد وقوع تلك الفاجعة العظيمة.

بل حتى الملائكة المقربون يبيكون على الإمام الشهيد عليه السلام، فقد ورد في حديث أن الإمام الصادق عليه السلام قال لأحد الشعراء اسمه جعفر بن عфан: «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتحميد، فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال عليه السلام: قل! فأنشده صلى الله عليه فبكى ومن حوله، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته. ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في

الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في
ساعته الجنة بأسرها، وغفر الله عنك»^(٥)

النقطة الثالثة: هل للبكاء ثواب؟

تجيبنا الروايات على هذا السؤال، وتقرر عدة فوائد أخروية.

أولاً: أن ثواب الباكي الجنة:

فعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله
الجنة»^(٦).

ثانياً: مرافقة أهل البيت عليهم السلام في الجنان والأمن يوم القيامة عن الإمام الرضا عليه السلام.
«من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن
ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك يوم تبكي العيون»^(٧)

ثالثاً: تحريم وجهه على النار:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على
النار»^(٨).

رابعاً: استغفار الإمام الحسين عليه السلام للباكي عليه:

ففي ضمن حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وأنه (الإمام الحسين عليه السلام) ليرى
من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه عليهم السلام أن يستغفروا»^(٩)

النقطة الرابعة:

بعد أن عرفنا شيئاً من أهمية البكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام، والشواب
الجزيل على ذلك، نأتي إلى واقعنا المعاش ونسأل هل أن ثقافة البكاء منتشرة بين

الناس بالشكل الذي سعى له أهل البيت عليهم السلام وأرادوه، أم أنها ليست بالمستوى المطلوب؟

فنحن لو تجولنا في مآتم البلد، مآتم النساء والرجال، لرأينا أن هذه الثقافة وإن كانت موجودة ولكنها في فئة خاصة عادة، وهي فئة كبار السن، بينما لو ذهبنا إلى الجمهورية الإسلامية مثلاً لوجدنا أن ثقافة البكاء منتشرة بشكل واضح جداً، بين الصغار والكبار والنساء والرجال، بل وحتى بين غير الملتزمين أيضاً، وأستطيع أن أدعي بأنه إحدى أهم مقومات انتصار الثورة الإسلامية في إيران هي أن الشعب الإيراني شعبٌ بكاء.

فإن البكاء لو لم يكن له تأثير في حياة الفرد والمجتمع ولم تكن فيه مصلحة للمؤمنين لما حثَّ عليه الأئمة المعصومون عليهم السلام، ولما جعل الله له هذا الثواب الجزيل، فإن كل الأحكام الشرعية المقدسة إنما تجعل بلحاظ ما فيها من مصالح ومفاسد.

إذن لا بد من التفكير الجدي في كيفية نشر هذه الثقافة المقدسة في هذا البلد الطيب.

وقد يُسأل ما هي الأسباب التي تمنع من انتشار هذه الثقافة مجتمعنا مع كونه من المجتمعات المؤمنة والمعروفة بالولاء واتقاد العاطفة تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل هو من المجتمعات المتميزة في هذا الجانب كما يشهد له كثير من العلماء.

ومع ملاحظة أيضاً أن الأحداث التي جرت على أئمة أهل البيت عليهم السلام، لا يحتاج فيها الإنسان أن يكون ذا عاطفة جياشة حتى يتفاعل معها، بل إن التعاطف معها شبيه بالأمر الفطري، ففي الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى»^(١٠).

نستطيع أن نقول بأن أهم تلك الأسباب لعدم انتشار هذه الثقافة مع ملاحظة ما ذكر هي سببان:

السبب الأول: الخجل: فإن الأمر الذي لا يكون منتشرًا بين الناس، يخجل الإنسان عادة من الإتيان به، ولا فرق في ذلك بين الأمور الحسنة أو السيئة، فمثلاً بالنسبة للأمور السيئة بعض الألبسة التي لم تكن مألوفة في أوساط الفتيات وكانت الفتاة تخجل من لبسها حتى ولو لم تكن ملتزمة، ولكن عندما انتشرت هذه الألبسة في أوساط الفتيات، أصبحت الفتيات حتى الملتزمة منهن لا تخجل من لبسها حتى وإن رآها جميع الناس.

وكذلك الحال فيما نحن فيه، فإن هناك كثيراً من الشباب المؤمن ربما يريد أن يبكي أو يتباكى حزناً على أئمة المظلومين عليهم السلام لما في البكاء من اللذة الروحية والمعنوية، إلا أنه يمتنع عن ذلك خجلاً من الآخرين.

وليس للخجل علاج أفضل من المداومة على الشيء حتى يصبح عند الشخص أمراً اعتيادياً، ومن ثم يذهب الخجل تدريجياً، ثم إنه لا داعي للخجل ما دام العمل عمل طاعة، فيه رضا الله عز وجل ومواساة للمعصومين عليهم السلام، وله ذلك الثواب العظيم، وهو عمل يختصر لك الطريق للفوز بالجنان كما تقدم من أحاديث.

ثم إن كان عندي خجل، فيجب أن يكون من نفسي وقسوة قلبي، وكيف أدعي الولاء والمودة لأهل بيت النبوة والرسالة عليهم السلام ثم لا أواسيهم بأبسط الأشياء وهو البكاء وذرف الدموع الذي لا يكلفني شيء؟؟

فقد روى «أنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه

من الحن، بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خال مني ومنك ومن علي، فاشتد بكائها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي: يا فاطمة إن نساء أمتي سيكون علي نساء أهل بيتي، ورجالهم سيكون علي رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة.

يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة^(١).

إذن ففي البكاء إدخال للسرور على قلب الزهراء^{عليها السلام}، وكفى بذلك مانعاً من حصول الخجل.

السبب الثاني: قد يقال بأن البكاء أمر غير اختياري، فليس بيدي أن أبكي أو لا أبكي، فمن توفرت فيه دواعي البكاء قد لا يستطيع أن يمسك نفسه عن البكاء، ومن لم تتوفر فيه دواعي البكاء قد لا يستطيع أن يبكي.

فلربما كان هناك من المؤمنين من يقول بأنني لا أخجل من البكاء، ولكن الدمعة لا تطاوعني فماذا أصنع؟

والجواب على هذا الأمر: أن البكاء وأن كان في بعض الأحيان غير اختياري ولكنه في كثير من الأحيان يكون اختيارياً، وإلا لو لم يكن اختيارياً فما معنى حث الروايات للمؤمنين على البكاء، فإن الإنسان بالممارسة يستطيع أن يملك زمام أمره في البكاء.

وهناك طريق آخر أيضاً لتعويد النفس على البكاء ألا وهو التباكي، ولا شك أنه أمر اختياري، وهذا قد أشار له حديث الإمام الصادق^{عليه السلام} في قوله: «إن لم يجبك

البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخِ بخٍ»^(١٢) إذن من لم يستطع
البكاء فليتباكى وله أيضاً ثواب الباكين فقد ورد عنهم عليهم السلام: «ومن تباكى فله
الجنة»^(١٣)

ثم إن المداومة على التباكي يولد في الإنسان البكاء كما هو مجرب. فلو أن كل
واحد منا بكى أو تباكى لانتشر البكاء في وسطنا ولأصبح ثقافة إسلامية عامة،
كما أراد أهل البيت عليهم السلام.

دور الخطباء:

ثم إن للخطباء والرواديد وقراء الزيارات الدور الفاعل والبناء في نشر هذه
الثقافة بين الناس، ويتحملون مسؤولية كبيرة ومهمة، باعتبار أنهم يمتلكون
القنوات الرئيسية لنشر هذه الظاهرة والثقافة، وأن من يسعى لنشر هذه الثقافة
يصدق عليه قوله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»^(١٤) فإنه
كما ورد الحث من الروايات الشريفة على البكاء والتباكي، فإنه ورد أيضاً ما
يحث على الإبكاء.

فقد روى أبو عمارة المنشد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: «يا أبا عمارة
أنشدني في الحسين بن علي قال: فأنشده فبكى ثم أنشدته فبكى قال: فوالله ما
زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار.

فقال عليه السلام: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين شعراً. فأبكى خمسين فله الجنة، ومن
أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً،
فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة ومن
أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى

فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة.^(١٥)
فينبغي لنا ترسيخ ثقافة البكاء، فلا نقتصر فيه على أيام محرم فقط، وإن كان
طلبها في أيام محرم أكد وأرسخ.

الأنواع الأخرى للبكاء:

نذكر هنا اختصاراً بعض المواضع الأخرى التي يستحب ويتأكد فيها البكاء أيضاً:
الأول: البكاء من خشية الله تعالى:

- ١ - عن النبي ﷺ: «طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله عز وجل، لم يطلع على ذلك الذنب غيره»^(١٦)
- ٢ - عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الشرى إلى العرش، لكثرة ذنوبه، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله عز وجل، ندماً عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنته إلى مقلته»^(١٧).

الثاني: البكاء في حال الصلاة:

- البكاء في الصلاة إذا كان لأمر من أمور الدنيا يبطل الصلاة كما في كلمات الفقهاء، ولكن كيف إذا كان لأمر من أمور الآخرة؟ تبييننا الروايات على ذلك:
- ١ - قال سعيد بياع السابري: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيتباكى الرجل في الصلاة، قال: بخٍ بخٍ ولو مثل رأس الذباب»^(١٨).
 - ٢ - وسئل الإمام الصادق عليه السلام أيضاً عن الرجل يتباكى في الصلاة المفروضة حتى يبكي قال: «قرة عين والله» وقال: «إذا كان ذلك فاذكرني عنده»^(١٩).

الثالث: البكاء عند قراءة القرآن:

- ١ - عن النبي ﷺ: اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»^(٢٠).
- ٢ - وعنه أيضاً ﷺ: ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلا قرت يوم القيامة»^(٢١)

الرابع: البكاء على النفس:

- ١ - فيما أوحى الله إلى موسى ﷺ: «ابك على نفسك ما دمت في الدنيا، وتخوف العطب والمهالك، ولا تغرنك زينة الحياة الدنيا وزهوتها»^(٢٢).
- ٢ - وجاء في ضمن دعاء أبي حمزة الشمالي عن الإمام زين العابدين ﷺ: وأعني بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويق والآمال عمري»
وفي الختام نقل هذه الرواية عن أمير المؤمنين ﷺ: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»^(٢٣).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المواهب

- (١) البحار، ج ٤٤، ص ٦١٠.
- (٢) نفس المصدر، ص ٦٠٩.
- (٣) نفس المصدر، ص ٦٠٥.
- (٤) نفس المصدر، ص ٦٠٩.
- (٥) نفس المصدر.
- (٦) نفس المصدر، ص ٦٠٨.
- (٧) نفس المصدر، ص ٦٠٥.

- (٨) نفس المصدر، ص ٦١٠.
- (٩) نفس المصدر، ص ٦٠٧.
- (١٠) نفس المصدر، ص ٦٠٦.
- (١١) نفس المصدر، ص ٦١٥.
- (١٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥، وكلمة (بخِ بخِ) تقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح والرضا بالشيء.
- راجع لسان العرب، مادة (بخخ).
- (١٣) نفس المصدر، ص ٦١٢.
- (١٤) سورة الحج، الآية ٣٢.
- (١٥) نفس المصدر، ص ٦٠٨.
- (١٦) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٤.
- (١٧) البحار، ج ٩٠، ص ١٢٤.
- (١٨) الوسائل، ج ٧، ص ٢٤٧-٢٤٨.
- (١٩) الوسائل، ج ٧، ص ٢٤٧-٢٤٨.
- (٢٠) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٢٨.
- (٢١) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٢٨.
- (٢٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥.
- (٢٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٨٥.

حسابات النصر

بين الإمام الحسين عليه السلام و الخواص

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

مثل خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض العراق نقطة فاصلة في حياة الأمة سواءً بين الأعداء أو الأصدقاء، ونعني بالأصدقاء هو دائرة الشيعة والموالين للإمام (عليه السلام) وبالأخص خواص الأمة والتي تمثلت مواقفهم في ثلاثة مواقف لا غير:

- موقف الطاعة والنصرة : أمثال : حبيب بن مظاهر، زهير بن القين، سعيد بن عبدالله الحنفي، مسلم بن عوسجة...

- موقف التخلف والتخاذل : أمثال: الضحاك بن عبدالله المشرفي، عبدالله بن الحر الجعفي...

- موقف التحفظ والنصيحة : أمثال : عبدالله بن عباس، محمد بن الحنفية، عبدالله بن جعفر.....

بالنسبة لمواقف النصرة و التخلف عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تم تسليط الضوء عليها كثيراً، ولكن يبقى موقف واحد لم تكن معالته واضحة، خصوصاً وأن الشخصيات التي وقفت هذا الموقف لم تكن من عامة الناس بل هم من الخواص المقربين، أمثال عبدالله بن عباس الذي هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ومن كبار المفسرين ولكانته العلمية سمي (بجبر الأمة)، و أيضاً محمد بن الحنفية الذي هو أخو الإمام ومن الشجعان، وصاحب راية جيش علي عليه السلام يوم الجمل و شهد معه النهروان....، و عبدالله بن جعفر الطيار..

مشكلة الأمة أنها بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ لم تستوعب مدى «الانحراف الكبير» الذي طرأ على الرسالة الكاملة وعلى عنصر هام منها وهي (الولاية) العاصمة إلى مسيرة الأمة إلى يوم القيامة، والتي بها إتمام النعمة الإلهية، هذا الانحراف الكبير الذي يحتاج إلى عملية تربوية كبرى تعيد الأمة إلى الانسجام التامة مع الرسالة الهادية، وهذا ما وجدناه في سيرة الإمام علي عليه السلام وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام حتى جاء الإمام الحسين عليه السلام ، هذا الهدف الكبير الذي تحرك في السلسلة الطاهرة للأمة أهل البيت (ع) لم يكن واضحاً للكثيرين خصوصاً من يرى صلاح الحسن معضولاً عن ثورة الحسين وعلم الباقر والصادق معضولاً أدوار الأئمة الطاهرين، لذا جعل بعض الخواص في عصر الأمة عليه السلام تكون لهم (حسابات آنية زمنية) يقفون من خلالها بعيداً الحسابات البعيدة والكبيرة.

حسابات النصر عند الإمام الحسين عليه السلام

يمكن أن نلاحظ أن معظم كلمات الإمام الحسين عليه السلام تركزت على ثلاثة أبعاد رئيسية في حركته الخالدة:

أ- الهدف : - صلاح الأمة بالولاية :

(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي^(١) .

(رضا الله رضانا أهل البيت)^(٢) - (نحن أهل بيت محمد ﷺ أولى بولاية هذا الأمر)^(٣)

(ليستنقذهم من الجهالة وحيرة الضلالة..)^(٤)

ب - الوسيلة :- أداء التكليف بالثورة و الشهادة :

(أريد أن أمر بالمعروف و أنهي عن المنكر :

(من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل و لا قول كان الله أن يدخله مدخله..)^(٥)

(إني لا أرى الموت إلا سعادة و الحياة مع الظالمين إلا برماً)^(٦)

(لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد)^(٧)

ج- الضمانة :- الوقوف مع القيادة الشرعية :

(و أسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب..)

(ما الإمام إلا العامل بالكتاب و الأخذ بالقسط و الدائن بالحق و الحابس نفس على ذات الله)^(٨)

(لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيداً)^(٩)

(فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)^(١٠)

حسابات النصر عند الخواص:

أما حساب الخواص و التي نجدها من خلال الحوارات التي دارت مع الإمام عليه السلام قبل خروجه كانت متشابهة في الموقف (التحفظ والنصيحة) كانت (تأيد قيام الإمام عليه السلام)، لكن من جهة أخرى نلاحظ في حوارها مع الإمام عليه السلام أنها كانت تبدي نوعاً من التحفظ بل أحياناً تشير على الإمام عليه السلام الطريقة السليمة في

التحرك أي (طريقة التحرك)، ولا شك بأن الإمام الحسين عليه السلام كان يسمع لأصحابه ويعلم ما يكنوه حباً له - وهذا ما سنلاحظه أثناء التأمل في الحوارات التي دارت بين الإمام الحسين عليه السلام وبين عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية واللذين نشابها في الموقف من حيث النصيحة للإمام عليه السلام بعدم الذهاب إلى الكوفة بل الذهاب إلى اليمن حيث توجد هناك قاعدة واسعة للشيعنة المواليين الذين من خلالهم توجب الثورة وتنتصر.

والإمام كان يتحسس آلامهم ومعاناتهم، وهذا ما سنجده في حواراتهم مع

الإمام، حيث كان اعتراضهم على الخروج للكوفة، وترجيهم اليمن كقاعدة لانطلاق الثورة.

(١) موقف عبد الله بن عباس: يقول التاريخ: (فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عليه السلام عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم إني أتصبر و لا أصبر إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك و الإستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً و شعاباً وهي أرض عريضة طويلة و لأبيك بها شيعة و أنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى و ترسل وتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية!

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم إني و الله لأعلم أنك ناصح مشفق و لكني قد أزمعت و أجمعت على المسير! ^(١)

(٢) موقف محمد بن الحنفية: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي

أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت
غدرهم بأبيك و أخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن
تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.

فقال الإمام عليه السلام : يا أخي، قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون
الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية : فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك
أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد !

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته
التي ركبها، فقال له : أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟!

فقال عليه السلام : بلى

فما حداك على الخروج عاجلاً؟!

فقال عليه السلام : أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال : يا حسين، أخرج فإن الله قد
شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية : إنا لله و إنا إليه راجعون، فما حملك هؤلاء النساء معك و
أنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال عليه السلام : قد قال لي : إن الله قد شاء أن يراهن سبايا!...^(١٢)

قليل الموقف:

- لم يخفى على الإمام الحسين عليه السلام عاقبة خروجه على طاغية بني أمية يزيد بل
الإمام على علم بكل التبعات و اللوازم، و إن الإمام عليه السلام لما خرج كان يعلم بأنه
يقتل لا محالة وكان عليه السلام يطلب النصر بالقتل و الدم وبالعناصر الثلاثة السابقة

والتي بحسابه تحقق النصر الإلهي وهذا ما تحقق على ثلة من أصحابه الذين استشهدوا معه.

- هذا المعنى - ربما - لم يفطنه ابن عباس وعبدالله بن جعفر الطيار ومحمد بن الحنفية، والذين كانوا على دراية بمقتل الإمام عليه السلام وشهادته، ولعل كان في حسابتهم أن واقعة الطف والنصرة للإمام عليه السلام يراد لها أن تحلون في إطار حدودها الزمني، وأن تحقق مكسباً في نصرة الإمام الحسين وإسقاط يزيد، وهذا المعنى يمثل جزء من حركته عليه السلام وليس هدفاً بحد ذاته، صحيح أن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد أن يسقط يزيد، لكنه في نفس الوقت يريد أن يؤسس لواقع جديد يسقط الواقع المنحرف في الأمة منذ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذا (كربلاء) معركة في التاريخ إنتهت بفاصلها الزمني والمكاني... الإمام الحسين (ع) يرى الحسين وهو ذاهب إلى كربلاء، وضع الأمة أمام خيارين حددهما بشكل واضح، إما ترجع الأمة إلى صلاحها الحمدي وإما تبذل دمها الحسيني وكلاهما طريقان للنصر والفلاح ومعهما لا يوجد تفكير أو حساب للهزيمة إلا بتخلف الأمة أن وقوفها إلى جانب ابن بنت رسول الله (ص) وعدم السير وفق حسابات النصر التي وضعها الإمام (ع)، وهذا ما لم يفطنه ابن عباس ومحمد بن الحنفية من طريقة تحرك الإمام (ع) وأنه يرى النصر في بذل دمه من أجل إيقاظ الأمة وإصلاحها.

الخلاصة:

ما نريد أن نستفيده من خلال هذين الموقفين لعبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية هو أن هناك (لحظة مصيرية، يُبتلى بها الخواص وهم يشخصون ساحة

المعركة، صحيح أنهم ينطلقون من حسابات موضوعية على الواقع، لكن هذا الحسابات لا بد أن ترتبط بالهدف الكبير المرتبط بالسماء، وهذا لا يدركه إلا المعصوم أو من هو قريب منه وهم (الفقهاء العدول)، لأن الأهداف تتفاوت تارة تكون مقدمة وتارة متوسطة حتى تصل إلى الهدف الأسمى، والذي رأيناه أن الإمام الحسين(ع) كان يستمع بكل شفقة ومحبة إلى ابن عباس وابن الحنفية لكن الإمام نظرته أبعد وأفقه أوسع فهو يسمع لمشاورة أصحابه، لكن ليس بالضرورة أن يأخذ به، ذلك لأن الساحة والظروف ليس تحكمه (حسابات موضوعية فقط) بل هناك (حسابات غيبية قائمة على سنن إلهية حتمية)، والتي قد يحسبها صاحب النظرة الأولى نكسية وتراجع ولا يعلم بأن باطنها رحمة وأجر في الوصول (إلى النصر الإلهي) الذي يحتاج إلى قيادة الفقهاء وصبر الخواص وليس (النصر الظاهري).

الموامش

- | | |
|------------------------------|--|
| (١) تاريخ الطبري ج ٣ : ص ١٩٨ | (٨) المنتخب: ص ٣٠٤ |
| (٢) المصدر نفسه ج ٦ : ص ٢٢٩ | (٩) مقتل العوالم: ص ٥٤ |
| (٣) المصدر نفسه ج ٦ : ص ٢٤٣ | (١٠) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ١٩٨ |
| (٤) المصدر نفسه ج : ص ٢٢٩ | (١١) الركب الحسيني: ج ٢، الشيخ نجم الدين الطبسي، ص ٢٣٠ |
| (٥) المنتخب : ص ٣٠٤ | (١٢) الركب الحسيني: ج ٢، الشيخ نجم الدين الطبسي، ص ٢٥٥ |
| (٦) نفس الهموم ص ٩١ | |
| (٧) اللهوف : ص ١٢٧ | |

إطالة على فريضة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر^(١)

جاسم بدر المطوع

"وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ"

شعار يتكرر ذكره كل عام، وحفظته الأجيال بعد الأجيال، شعاع نور من شمس الإمامة والولاية يهدي من ضل أو اشتبه سواء السبيل.

شعار أطلقه الإمام الحسين بن علي - صلوات الله عليهما - لبيان المنهج والهدف. الهدف هو الإصلاح والخير والهدى، والمنهج هو سيرة الرسول ﷺ، وسيرة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وما ذلك كله إلا الإسلام الدين القيم الذي اختاره الله للناس، قال تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام..."^(٢)، فالرسول ﷺ الذي "ما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى"^(٣) هو النموذج الأتم للإسلام العظيم، والسير بسيرته التي لا تفترق سيرة الأئمة المعصومين عنها هو تطبيق لا ينحرف عن الإسلام مقدار ذرة، وإصلاح الأمة الإسلامية هو العودة بها إلى إسلامها الذي تغربت عنه وحرمت منه، والطريق لذلك كله هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهذه الفريضة تقام الفرائض وتعمر الأرض^(٤).

وقد يدور بخلد البعض تساؤل مفاده: أين كان الحسين صلوات الله عليه وآله من هذه الفريضة في هذه الفترة التي أطبقت فيها قوى الظلام على الأمة الإسلامية فحرفت المسار ومسخت هوية الأمة!!؟



مما يرد هذا السؤال وضوح كون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه معصوماً، ولكن الغفلة عن بعض الحثيات المهمة تؤدي بالبعض للوصول لنتائج خاطئة، من هنا كان من المناسب أن يكون الحديث عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس ذلك لمعرفة صحة ما قام به الإمام أو خطئه، ففعل الإمام المعصوم وقوله هما اللذان يبينان لنا الطريق ومنهما يستنبط الفقهاء أحكام الشرع المقدسة، وإنما ذلك لكي نتعرف على أحكام هذه الفريضة فننتهجها مقتدين في ذلك بسيد الشهداء صلوات الله عليه.

ويقع الكلام في نقاط:

١- المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهنا الكلام عن أربعة مفاهيم: الأمر، والمعروف، والنهي، والمنكر. أما الأمر فقد قيل بأن له معان كثيرة والمراد منه في هذا الباب هو الطلب سواء بالقول أو الفعل.

وأما المعروف فالمراد منه ما عرفه العقل بالحسن والشرع بالمطلوبية، وعليه فهو يشمل الواجبات العقلية كوجوب معرفة الباري وشكر المنعم و...، والواجبات الشرعية في العبادات والمعاملات.

وأما النهي فالمراد منه الزجر والمنع بالقول والفعل كما في الأمر. وأما المنكر فما يراد منه هو مطلق ما ينكره العقل ويعده قبيحا وما ينهى عنه الشارع فيشمل الحرام والمكروه.^(٥)

٢- أقسام الأمر والنهي ومراتبهما:

لما كان الهدف من هذه الفريضة العظيمة هو التوصل إلى إشاعة المعروف في المجتمع الإسلامي واجتثاث المنكر منه، انقسم الأمر إلى واجب ومستحب فالأمر بالواجب من المعروف واجب، والأمر بالمستحب منه كذلك، والنهي عن الحرام من المنكر حرام والنهي عن المكروه منه كذلك.

وأما مراتب الأمر والنهي فقد ذكر الفقهاء أعلى الله كلمتهم ثلاث مراتب لهما، ولا يجوز الانتقال إلى المرتبة العليا مع إمكان الاكتفاء بالمرتبة الأدنى منها، ولكل مرتبة من هذه المراتب مراتب من الشدة والضعف لا يجوز الانتقال للمرتبة الشديدة مع كفاية المرتبة الضعيفة، وكل ذلك صيانة لحرمة المؤمن من الهتك، وهذه المراتب هي:

أولاً: الأمر والإنكار القلبي والمراد منه الإتيان بفعل يظهر منه إنكاره القلبي وعدم رضاه، ومنه غمض العين لترك المعروف أو فعل المنكر، والعبوس وانقباض الوجه، والإعراض بالوجه فقط أو به مع البدن، ومنه كذلك الهجر والترك للصحبة وغيرها.

ثانياً: الأمر والنهي اللساني والمراد منه الأمر والنهي بالقول، وينتقل لهذه المرتبة مع عدم تأثير المرتبة السابقة ومنها القول اللين والوعظ والإرشاد وإن لم يكفِ لزم الانتقال للغلظة في القول والحزم في الأمر والنهي.

ثالثاً: الأمر والنهي باليد والمراد منه إعمال القدرة وفعل ما يمنع المنكر ويقيم المعروف، وقد تكون بالحيلولة بين المنكر ومن يريد فعله، أو بالتصرف في آلاته أو ممتلكاته، أو بحبسه والتضييق عليه، كل ذلك مع مراعاة الأيسر فالأيسر في الأمر والنهي.

ويجب الإشارة هنا إلى أن بعض مراتب المرتبة الثالثة لا يجوز الانتقال لها إلا بإذن الحاكم الشرعي وهو الفقيه الجامع للشرائط. وما ينبغي التنبيه عليه أن تأثير الأمر والنهي يختلف باختلاف الأمر والمأمور، وبالتالي تختلف المراتب، فربما يكون الإعراض من شخص أشد تأثيراً من الكلام من آخر، ويجب هنا على كل شخص أن يلاحظ خصوصياته وخصوصيات من يريد أمره ونهيه، ويحدد تكليفه الشخصي.

٣- وجوب الأمر والنهي كفائي:

مما قرره الفقهاء أعلى الله كلمتهم أن وجوب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفائي، وقد يتصور البعض أن معنى الكفاية هو أنه إذا قام شخص بأداء هذه الفريضة سقط التكليف عن الآخرين كما هو الحال في الصلاة على الميت، إلا أن هذا المعنى المذكور ليس تاماً، فالمراد من الكفاية هو أن يقوم من به الكفاية بأداء الفريضة فيسقط التكليف عن الآخرين، وحيث أن الصلاة على الميت تتم بشخص واحد سقط التكليف عن الآخرين، أما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد تتم في بعض الموارد بشخص ولكنها في موارد أخرى قد تحتاج لقيام الأمة كلها من أجل رد منكر معين وحينها يجب القيام على كل الأمة لكي يتحقق التأثير المطلوب بقلع المنكر من المجتمع الإسلامي، ولو تقاعس البعض عن القيام وقام البعض الذي لا تتحقق به الكفاية فإن كل من تقاعس مع توافر الشروط مأثوم بتقاعسه^(٦).

٤- شرائط وجوب الأمر والنهي:

المقصود بشرائط الوجوب هي تلك الشروط التي بانتفائها أو انتفاء أحدها يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الشروط هي:

الأول: أن يعرف الأمر والنهي المعروف والمنكر، فبدون معرفتهما لا يتمكن من الأمر والنهي فكيف يأمر بالمعروف من لا يعرفه فلربما أمر بمنكر وهو يظنه معروفاً، وكذلك الأمر بالنسبة للمنكر فربما ينهى شخص عن معروف وهو يظنه منكراً، لذلك لزم أن يعرف الأمر والنهي المعروف والمنكر وإلا وقع في المنكر لأن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف مرتكبان للمنكر حتى ولو وقع ذلك منهما جهلاً بالحكم، وهنا يجب على الغير نهيهما عما فعلاه.

وهنا ينبغي الإشارة إلى المسائل الخلافية في الفقه، فعند احتمال اختلاف الرأي الفقهي وكون ما يفعله الآخر جائزاً عنده - بحسب اجتهاده إن كان من أهل الاجتهاد أو تقليده إن لم يكن منهم - لا يجوز الإنكار عليه، لعدم العلم بكون ما فعله منكراً.

الثاني: أن يحتمل تأثير الأمر والنهي، فلو علم بعدم تأثيرهما لا يجب الأمر والنهي على المشهور، ويكفي لتحقق الوجوب الاحتمال بالتأثير حتى لو كان الاحتمال ضئيلاً بحيث يظن بعدم تأثيره.

وينبغي الإشارة إلى أن انتفاء الاحتمال بالتأثير وإن كان يسقط الوجوب من الذمة إلا أنه في كثير من الموارد لا يمنع من جواز الأمر والنهي، وكم هي الموارد التي سمعناها ورأيناها وكان احتمال التأثير فيها منعدماً ولكن لما توكل المؤمنون على الله واستعانوا به كان التأثير كبيراً وغير متوقعٍ وذلك بفضل من الله ونعمة (ومن ينصر الله ينصره).



كما أنه لو احتل التأثير لكن بتكرار الأمر أو النهي وجب التكرار إلى أن يزول احتمال التأثير.

الثالث: أن يكون العاصي مصرا على الاستمرار، فلو علم أنه تاب وأتاب فلا يجب الأمر بل لا يجوز ذلك، لما قد يسببه من إهانة المؤمن، كما أن ترك العاصي لمعصيته ينفي موضوع الأمر والنهي، والمراد من الاستمرار القصد إلى الذنب ولو مرة واحدة أخرى.

الرابع: أن يأمن الضرر النفسي أو العرضي أو المالي على نفسه وعلى غيره من المرتبطين به كأهله وأصحابه بل وعموم المؤمنين كما هو رأي بعض الفقهاء، وليس المقصود هنا مطلق الضرر بل المقصود هو الضرر المعتد به لدى العقلاء، وهذا الشرط وإن كان يرفع التكليف بالأمر والنهي عند تحققه لكنه يخضع لاستثناءات منها ما لو كان مورد الأمر والنهي من الموارد التي لا يرضى الشارع بوقوعها مهما كانت فهنا لا عبرة بالضرر فلو كان المراد نحو شعيرة من شعائر الدين أو إزهاق نفس مسلمة أو هتك عرض فلا يسقط التكليف هنا مع وجود الضرر، والموارد مختلفة فينبغي التأمل فيها.

وقد تحتاج بعض موارد الأمر والنهي لبذل مبالغ يعتد بها من المال، وفي هذه الحالة وإن كان لا وجوب للبذل إلا إنه حسن وممدوح بحيث لا يقع البازل في الحرج والمشقة الشديدة.

تنويه: ينبغي الإشارة إلى أن تعقيد الحياة الاجتماعية والسياسية في الزمن الحاضر يجعل تشخيص المواضيع صعبا ويحتاج إلى دقة وحكمة في اتخاذ القرارات الاجتماعية أو السياسية، فالمواقف الجزئية والفردية من السهل التحرك

فيها والتفاعل معها، لكن هناك من المنكرات ما يأخذ صورة واسعة ومجتمعية وهنا يبرز دور القيادات العلمائية المطلعة على أحكام الشرع الأقدس والواعية للملابسات والظروف الاجتماعية والتي تمتلك نظرة أشمل من الأفراد العاديين، مما يجعل تشخيصها للمواضيع أكثر دقة وإصابة للواقع في الأعم الأغلب.

٥- الأمر والنهي الجماعي:

قد يصدر المنكر من جهة لها نوع من السيطرة والتحكم بمجريات الأمور مما يجعل قيام الأفراد بنهيها عن منكرها فاقدا لأي احتمال بالتأثير، بل قد يؤدي في بعض الموارد للإضرار بهم، فهل تسقط فريضة النهي عن المنكر في مثل هذه الحالة؟!

لقد أشرنا في النقطة الثالثة إلى جواب هذا السؤال فكون الوجوب كفاييا يقتضي أن يقوم من به الكفاية به، فلو صدر المنكر من شخص ذي قوة وبأس ولم يكن نهي شخص له بكاف ليثنيه عن منكره فيجب أن ينهاه من به الكفاية، إلى أن يتحقق ترك المنكر.

ولو قامت جماعة بالنهي عن منكر معين ولم يؤثر نهيها، ثم احتملت تلك الجماعة أن نهيها مرة أخرى سيؤثر أو احتملت ذلك جماعة أخرى وجب النهي مرة أخرى.

٦- عدالة الأمر والنهي:

مما لا شك فيه أن فعل الأمر بالمعروف لما يأمر به وترك الناهي عن المنكر لما ينهى عنه له كبير الأثر في نفس المأمور والمنهي، وهو أسرع في التأثير عليهما، كما أن تارك المعروف أو فاعل المنكر لو تحركا للأمر والنهي محجوجان بما يصدر

منهما، فهل ذلك مانع من أن يتصدیان للأمر والنهي وسبب لسقوط التكليف عنهما؟

لا ريب أنه يجب على مثل هؤلاء الانتهاء عن تركهم المعروف أو فعلهم المنكر، لكن ذلك لا يشكل مانعا عن تكليفهم بهذه الفريضة فهي فريضة، أخرى فعلى سبيل المثال لو توفرت شروط الأمر بمعروف معين في شخص ما وذلك الشخص تارك له، فهذا الشخص مكلف بأمرين: أولهما فعل ذلك المعروف وثانيهما أمر من تركه به.

٧- تعدد المنكر:

قد يتعدد المنكر بحيث يعلم الناهي - فردا أو جماعة - أنه لا يستطيع قلع ذلك المنكر، لكنه يعلم بأنه بنهيه يؤثر في تقليل المعصية وإضعافها وجب عليه حينها النهي، فرمما كان إضعافه لوجود المعصية مقدمة لزوالها بنهيه آخر مثلا.

كما أنه قد يصدر المنكر من شخصين - أو أكثر - يكون نهي أحدهما مؤثرا في ترك الآخر بدون أن يؤثر في المنهي نفسه، فيجب النهي لذلك.

كما أنه لو علم الناهي أو احتمال أن نهيه لا يؤثر في الحال لكنه يؤثر في المستقبل وجب عليه النهي.

ولو افترض أن تأثير بالنهي عن منكر معين متوقف على ارتكاب منكر آخر، يسقط وجوب النهي إلا إذا كان المنهي عنه من الأمور التي لا يرضى المولى بوقوعها بنحو.

٨- الانزعاج والرفض القلبي:

مما ينبغي التنبيه عليه أنه يجب على جميع المؤمنين أن يرفضوا وينزعجوا من وجود المنكر وهذا أمر غير النهي عنه، بل هو مرتبة سابقة يعيشها القلب ويستشعر وجودها كلما رأى منكراً أو سمع به، فيتحرق لقلعه وتطهير الوجود منه.

وهذا الانزعاج والرفض هو خير دافع ليتحرك المؤمن لينهى عن المنكر ويرفعه، فهو يتأذى منه ولا بد له من أن يرفع ما يؤذيه.

وفقدان هذا الانزعاج مرض خطير يصيب الإنسان المؤمن فيجعله من الراضين بالمنكر وكما هو معلوم أن الراضي بفعل قوم منهم والمستجار بالله^(٧).

٩- الوقاية خير من العلاج:

قد تبدأ بعض المنكرات صغيرة ضعيفة^(٨) فلا يكثر بها أحد، وما تلبث أن تراها قد عظمت واشتدت، وهنالك يحاول المرء أن يقف في وجهها فلا يستطيع بل تراها تحيط به وهو لا حول له ولا قوة وهي في بداياتها لم تكن تحتاج لمنعها إلا لكلمة حق تقال وموقف صدق بسيط فرط فيه فصار منعها يحتاج بذل الغالي والنفيس، وقد لا يأتي بذلها بنتيجة.

وهنا يقال للعقلاء: ماذا تفعلون؟ أتركون المنكرات تحيط بكم وتشتد قوتها بصمتكم، أم أنكم تقفون فتنقدون أنفسكم والأجيال التي تلحق بكم؟

١٠- رواية مؤثرة:

عن الإمام الباقر صلوات الله عليه أنه قال: " يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقروون ويتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، ويطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون



زلات العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم^(٩) في نفس ولا مال ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله تعالى عليهم فيعمهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجار، والصغار في دار الكبار، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب^(١٠)، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم {إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم} هنالك فجاهدوا بأبدانكم وابعضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مرئيين بالظلم ظفرا حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته. قال: وأوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟! فأوحى الله تعالى إليه، داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا بغضبي^(١١).

لعمري إن ما قاله صلوات الله عليه عن يومنا ليس بغريب، فكم مستتكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يطلب لنفسه الأعذار، ويحسب نفسه من الأخيار، نعوذ بالله من غضبه وسخطه ونسأله رضاه والتوفيق لطاعته واجتناب معصيته.

الهوامش

- (١) ما طرح في الموضوع مجمل لبعض الأحكام الشرعية والملاحظات التي رأيت أهمية التنبية عليها، ويجب على كل مكلف الرجوع إلى فتوى مرجع تقليده في مقام العمل.
- (٢) آل عمران: ١٩
- (٣) النجم: ٣-٤
- (٤) عن الإمام الباقر صلوات الله عليه: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر" الكافي: ٦/٥٧/٥
- (٥) مصطلحات الفقه - المشكيني ص ٨٨
- (٦) تحرير الوسيلة ص ٤٠٠ / منهاج الصالحين - الخوئي مسألة ١٢٧٢ ص ٣٥٢
- (٧) مما أذكره أنني كنت وجمع من المؤمنين في مجلس مع سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري عافاه الله وقد كان أحد المؤمنين ينقل للشيخ بعض الحوادث المنكرة، والشيخ يستمع له ويستعيد بالله ويستجير به من المنكر كما أن قسما وجه الشيخ كانت تشير إلى عمق الألم الذي كان يعتصر سماحته فقط لسماعه بالمنكر. نسأل الله أن يمن عليه بالشفاء والعافية.
- (٨) وكثيرا ما تبدأ هذه المنكرات في صورة المعروف ثم تتدرج لتخرج عنه إلى المنكر.
- (٩) الكلم: الجرح، والمراد ما يضرهم.
- (١٠) المذاهب: الطرق.
- (١١) الكافي ج ٥ ص ٥٦.

إِنَّمَا جَرَجْتَ لِكُلِّبِ الْإِسْلَامِ فِيهِ أُمَّةٌ جَمِيدٌ ﷺ

أَرَيْتَ أَنْ أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ



ثورة الحسينؑ الثالثة

رد لمقولة: (الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)

جعفر عبد المهدي الشهابي

إن ثورة يكون قربانها قائدها، و وقودها دماء رجالها، وماهيتها إخلاص ثوارها، ورائدها تقوى أنصارها، لا يستغرب أن تخرج بهذه النضارة والنصاعة في كل أبعادها، فما أن تلقي ببصرك على جنبه من جنبات هذه الثورة المباركة إلا وترى الذروة في ما وصلت إليه، فإن نظرت إلى جانب الانتصار فإنها صارت مضرب مثل للثورات، وإن حلقت ببصرك إلى جانب التكتيك (كما يصطاح عليه في هذه الأيام) فإنها حيرت عقول الساسة المحنكين، وإن عطفت ببصرك إلى جانب الصيت الذي وصلت إليه فإنها وصلت إلى مسامع الخصماء فضلا عن الأصدقاء، وطرقت أسماع الملحددين فضلا عن الموحددين، فها هو غاندي يطلق كلمات الإعجاب والتقدير والخضوع: تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر. وإن أومأت ببصرك إلى جانب العطاء ومقداره فها هو قائد الثورة الإسلامية السيد الإمام الخميني (ره) يقول: كل ما لدينا من عاشوراء. وإن نظرت... وإن نظرت.. لرأيت عجبا، لأن ما قدمته هذه الثورة يعجز الشخص عن وصفه، فمن الطبيعي أن تخرج النتائج محيرة لذوي الأفهام، وكيف لا وقد ارتبطت هذه الثورة بالكمال المطلق، ذلك لأنها كانت قياما لله عز وجل، فحري بها أن تتوفر على هذا المستوى من الكمال، وأقولها جازما قاطعا، ولا أشك حتى بمقدار شعرة: إن أمة يكون فيها الحسين حيا في القلوب متأججا في المشاعر يستحيل أن

تخذل هذه الأمة أو أن تغيب عن موضع القرار، أو أن يتلاعب بمصيرها. وإن حاول البعض وانبرى لأجل تميع الثورة وتفريغ محتواها ووأدها في مهدها، وذلك بالتعدي على قائدها الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة رسم صورة مغلوطة عن القائد لكي تمرر على نفوس البسطاء الجهلاء من الناس، أعني بهذه المحاولة الشعار الذي أطلقه شريحاً القاضي: الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده. محاكمة للشعار:

١. يا ترى لماذا شعار (الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)؟
٢. وما ملابسات هذا الشعار وهل حقا خرج الحسين عليه السلام عن حده فيقتل بسيف جده؟ أم أنها السياسة التي صنعها ذوو النفوذ، من الذين يريدون أن يمرروا قراراتهم على البلهاء من هذه الأمة؟
٣. وهل حقا أن الإمام الحسين عليه السلام -والعياذ بالله- قد فسق ليتجرأ أمثال شريح ليقول هذه الكلمة؟ أم أنه تجرأ على الأمة كلها حتى أصبحت لا قيمة لها في ظل غياب الحقيقة، وفي ظل ضمور الوعي في أوساط الأمة؟
٤. وهل حقا هناك من هضم هذه الكلمة حتى فرضت وجودها في أرض الواقع؟
٥. وهل أن الأمة أعلنت عن فشلها في مقابل قرارات خطيرة من هذا النوع حتى بات تمرير أمثال هذه القرارات أمرا من السهولة بـمكان؟
٦. وهل حقا وصل الحد إلى تطبيق هذا القرار واقعا، ووقفت الأمة منه وقفة المتفرج؟

٧. بل هل وصل الحد إلى أن الأمة لم تكتف بكتف اليد أمام تطبيق القرار حتى شمرت عن ساعدها لتشارك في تمرير هذا القرار عمليا وذلك بالمشاركة في

قتل الإمام الحسين عليه السلام؟

كل هذه التساؤلات لا يمكن للأمة أن تتجاهلها مجال من الأحوال، وإذا خذلت الأمة الحسين عليه السلام بالأمس، فهل من ضمانات بأن لا تخذل الأمة تلاميذ الحسين عليه السلام على مدار العصور؟ إذن لا بد من وقفة للتحليل، ولا بد من محاكمة لهذا الشعار لنرى أين يكون محله من الواقع، وهنا محاولة في هذا المجال:

أولاً: يا ترى من هو الذي تفوه بهذا الشعار؟ وإلى ماذا كان يرمي بذلك؟ عندما نلاحظ هذا الشعار نرى أن المتفوه به كان لسانا من ألسنة الظلمة ألا وهو شريح القاضي، هذا الرجل الذي -كما يظهر- باع دينه بدنيا غيره، وهو أسوأ حالا ممن باع دينه بدنياه كما تشير إليه روايات أهل البيت عليهم السلام، فشريح هنا باع دينه بدنيا يزيد.

وشريح ينطق كلمته وهو حبيس هواه، وحبيس خوفه، وحبيس جهله، وحبيس طمعه، وحبيس جرمه، جراء دخوله في أعوان يزيد، وهذه ضريبة كل من يضع يده في أيدي الظالمين، أن يأتيه يوم -والعياذ بالله- يكون فيه مسلوب الإرادة، إن لم يكن قد حكم على نفسه بأن يكون مسلوب الإرادة من أول يوم دخل فيه في سلك الظالمين، وليس معنى سلب الإرادة أنه يقدم على الأمر بلا شعور، بل يكون أداة طوع لهم من دون أن يستطيع قول كلمة (لا) في موضع ال-(لا)، و (نعم) في موضع ال-(نعم)، وهذا لا يعني أنه معذور أمام الله سبحانه وتعالى، لأنه أقدم على الدخول مع الظالم باختياره، فإذا اضطر إلى الظلم فإنه لا يكون معذورا حينئذ، (فالاضطرار بسوء الاختيار لا ينافي الاختيار)، والاضطرار في مسألة خدمة الظالم، وخصوصا إذا وصل إلى الدم أو العرض ليس فيه مسامحة من قبل الله

سبحانه وتعالى، لأن الاضطرار الذي لا يعاقب الله الإنسان عليه امتنان من الله سبحانه وتعالى، ولا يشمل هذا المورد لأنه معارض بحق المظلوم.

وعلى كل حال فالشخص الذي يقع في شبك الظالم لا يأمن من أن يأتيه الخطر، ومن أين يطرق بابه الانحدار إلى الهاوية، ولعل لحظة يظلم فيها مسلماً من المسلمين يكون فيها الطرد الإلهي، وهل من ظلم أشد من أن يجراً شخص على كلمة تكون صريحة في الدعوة إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ. وبأي تبرير يصح ذلك والرسول يقول في حق الحسن والحسين ﷺ كما هو المنقول عن علماء السنة فضلاً عن ما جاء عن علماء الشيعة: (من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم. ومن أبغضهما، أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم، وله عذاب مقيم)^(١). وهذه العبارة ليست مختصة بزمن دون آخر والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وليس لديه مجاملات على حساب الدين، فكيف يا ترى وفي أي زاوية يصح أن يوضع كلام شريح؟ وماذا يا ترى يريد أن يقول؟ هل يريد أن يقول أن الحسين ﷺ - والعياذ بالله - صار كافراً، أو فسق فسقا يستحق به القتل؟ أو أنه أصبح منافقاً؟ وهذا ما يدل عليه مفهوم عبارته، وإلا فما مصير من يقتل بسيف الرسول الأكرم ﷺ إلا النار؟ فهل هذا ما أراد أن يتوصل إليه شريح من كلمته وهو أن الحسين خرج عن الدين فلا بد أن يقتل بسيف الإسلام؟ أم أن المقصود هو أن الحسين ﷺ خرج عن الحد الذي لا يطيقه يزيد فلن يتحمل يزيد ذلك وهذا الحد كما هو ظاهر؟

إن يزيد رأى في الحسين ﷺ عقبة أمام الوصول لمآربه الشيطانية ورأى في الحسين ﷺ خندقاً منيعاً يبقى من خلاله الإسلام الحمدي الأصيل، خصوصاً وأن

الحسين عليه السلام تحدى يزيد لعنه الله بلا هوادة حينما رأى أبو عبد الله عليه السلام الناس ينسلخون عن الإسلام يوماً بعد يوم، الأمر الذي جعل يزيد يرى في الحسين عليه السلام خروجاً عن الحد، ولأن شريح القاضي كان في موقع يستطيع من خلاله استقطاب الرأي العام فصار أداة لتنفيذ القرار، وهذا الكلام له مداليله، وليس أمراً خطابياً، فالمتتبع لشخصية يزيد وما كتب حولها يرى ذلك جلياً وعلى ألسنة الفريقين (سنة وشيعة)، فقد اشتهر يزيد بالفجور وشرب الخمر واللعب بالطنبور وغيرها من المنكرات والفواحش التي تكفي الواحدة منها لفسق الرجل، فأمر فسقه (لع) وعلى أقل تقدير واضح لدى العامة فضلاً عن الخاصة وإن كان أمر كفره ليس ببعيد، فمما ذكره جلال الدين السيوطي عن تاريخ الخلفاء: (وكان سبب خلع أهل المدينة يزيد أسرف في المعاصي) وأخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة الفسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة. قال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شرب الخمر وإيتائه المنكر، اشتد عليه الناس^(٣). بعد هذا كله - وهذا غيظ من فيض - من مخازي يزيد (لع)، من الذي خرج عن حده فيقتل بسيف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يزيد أم الحسين عليه السلام؟! ولكنها وللأسف الشديد ضريبة الارتباط بالظالم والانقياد في سلوكه، الأمر الذي أوقع شريحاً في هذه الورطة التي أصبحت عاراً عليه على مدى السنين والأعوام، وتبعة يتحملها معه لـ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

فلذلك نرى الأئمة عليهم السلام يشيرون إلى خطورة الارتباط بالظالم وما يترتب عليه

من ضياع الدين وحقوق أهل البيت عليهم السلام. فكما يروى عن مولانا الصادق عليه السلام:
(لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ويجي لهم الفيء، ويقاتل عنهم ويشهد
جماعتهم لما سلبونا حقنا).^(٣)

ومسألة الارتباط وأثرها في توهين الدين أمر لم ولن يقف عند حد زمن معين
بل هو أمر سيال في كل زمان ومكان، وهناك مخطط واضح فاضح لأجل مسخ هوية
طالب العلم والمتصدي لهداية الناس منذ ذلك الزمن وإلى يومنا هذا، بل إلى قيام
قائمنا الحجة المنتظر عليه السلام، وهذا أمر يتحمل تبعته طلاب العلوم الدينية قبل
غيرهم من السلطات والحكومات التي تسعى إلى ذلك إذا أمر بالقبول والانقياد،
وأمر الرفض راجع لطالب العلم أولا وأخيرا - بعد تسديد الله سبحانه وتعالى -
ووعي الأمة ودرجة رشدتها مؤمن قوي في الحد من وقوع مثل هذه النزلات التي
توجع الأمة إن لم تجابه بوعي وبصيرة وإصرار.

والحمد لله أولا وأخيرا

السلام على الحسين

وعلى علي بن الحسين

وعلى أولاد الحسين

وعلى أصحاب الحسين

الهوامش

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٧: ١٢١، عن كتاب الحسين سماته وسيرته

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠٩

(٣) ميزان الحكمة: ٦١٢، ح ١١١٦٩



الصفات الأربعة

علي أحمد عبد الوهاب الجفيري

عندما يقف الإنسان متأملاً نفسه و كيانه و معطيات تجاربه الحياتية و مكتسباته
الخبروية و نتائج أفكاره و سلوكياته و أفعاله الناشئة من عدة تصورات و رؤى
فكرية، الناجمة عن أسلوب معين في التفكير و الاستدلال و الاستنتاج، عندما
يتأمل ذلك كله، يدرك مدى ضعفه و عجزه و خطأه الكثير و عثراته الجمة
العظيمة، و زلاته الفاحشة الجسيمة، لأنه يلاحظ عندما يقف هذه الوقفة مناشئ
هذه الأفكار المستتعبة للعمل على وفقها، فيرى أن كثيرا منها كان مبتنیا على
أساس من الغفلة و الذهول عن أمور لها مدخلية عظيمة في التأثير على صحة
هذه الفكرة أو خطأ تلك، و يرى أن مسلمات لديه قد نمت على أصول ضعيفة
غير عميقة، و يلاحظ أن كثيرا من الاستنتاجات الفكرية التي تثبت في ذهنه بعيدة
عن الصواب بلحاظ تأثير الوهم و العاطفة، فيلجأ بعد ذلك إلى تصحيح ما
سقم من آراء و تقويم ما اعوج من فكر و معلومات مختزنة لديه إذا كان ممن أزاح
غشاوة التعصب عن قلبه و استسلم لإحناء أنفه أمام كبرياء الحق، و لكنه يفاجأ
في مرات عديدة أن ما اطمأن إليه من تصحيح، و ما استأنس به من تقويم، لا
يعدو كونه خطأ أضيف إلى خطأ، و عثرة زادت على عثرة، و هكذا دواليك إلا
من عصم الله سبحانه أو من أخذ بيده بالتأييد و التوفيق لطريق العصمة، أما من
لم يكن كذلك يضطر إلى الإيمان بوجوب و ضرورة لجوئه إلى قوة تقيه خطر هذا
الضعف، و أن يستمد القدرة و السلامة الفكرية من قادر عالم مطلق، و أن يلوذ
بمن يرجعه إلى الخط السليم و يجنبه تبعات اتباع الخط المستوجب للعثرة و الزلة.

و هذا واقع لا ينكره منصف و لا يسلم به إلا من تجرد عن نزعات الكبر و الأنا، و فتح بصيرته و أعدها لاستقبال الهدى، و أشرفت نافذة قلبه على خميلة العلم و المعرفة طلبا للكمال و سعيا وراء سد الخلل و النقص، هذا هو حال ابن آدم ساعة ينجو و أخرى يكبو، لأنه فقر كله و حاجة صرفة لا تشوبها القدرة إلا بمقدار ما أفاضه صاحب القدرة، و هل عاشوراء الحسين عليه السلام إلا نتيجة جهل الإنسان و عجزه؟ و هل قتل تلك الصفوة الطاهرة و سفك دمائها و دماء ذويها و محبيها و سبي نسائها إلا أثر ما أسلفناه من أن الإنسان لا يمكن له الاعتماد المطلق على نتاج عقله و الاستغناء به عن عصمة الله سبحانه؟ ما كان انحراف أمة محمد عليه السلام إلا من تأثير الوهم و العاطفة على عقول الأمة التي تكون ضعيفة دائما أمامهما من دون الإعانة الإلهية و المدد و التسديد الإلهي، و من أهم آثار هذا الانحراف ما صرنا نلامسه و نحس به في عصرنا هذا من فقد نبينا و غيبة ولينا و شدة الفتن بنا و تظاهر الزمان علينا، حتى صرنا أشد الأمم استضعافا في الأرض و أقلها خطرا و أدونها شأننا، فكان مما ابتلي به أهل هذا الزمان من مؤمن صالح و فاجر طالح الانحراف و الابتعاد عن خط و قوانين الله سبحانه، و استبدالها بنتاج العقل البشري الذي أثبت فشله و فشل أحكامه و تصديقاته و استنتاجاته في كثير من المواطن، فألزم بهذا الاستبدال المؤمنون كرها، و أخذ به المترفون طوعا إيمانا منهم بأنه البديل الأنسب للأحكام الإلهية التي اتهموها بأنها تقليدية جامدة، مما يعني أنها لم تعد قادرة على مواكبة السير الحضاري الهائل الكم و الكيف في هذا القرن، و وصموا مؤيديها بمختلف مصطلحات التخلف و الرجعية، غافلين بذلك عن كون تقدمهم و تحضرهم المادي صنيع يد الحضارة الإسلامية السماء، و ما نريد أن نصل إليه من خلال هذه الأسطر التعرف على

عدة حقائق تفند هذه الاتهامات المهزوزة، و التي لا تستند إلى أصل فكري قوي، و تبين سخف هذه الأقوال الناشئة عن بغض الإسلام و أهله، مستلهمين ذلك في النتيجة من عاشوراء الحسين عليه السلام، علنا نستطيع بذلك حماية شبابنا من التأثير بأقوال بعض من تلبس بعدة عناوين خاوية بعيدة عن خط الإسلام من خلال التأمل الصادق المعن في ما سنورده من كلام، أو أن نوصل رسالتنا إلى هؤلاء المساكين الجهلة بقولنا لهم _ إن كانوا ممن لا يكادون يفقهون حديثا _ ابتعدوا بفكركم الضعيف الذي لا يستطيع الصمود أمام صرح الإسلام المنيع إلى بلد تجدون فيه أنفسكم مع من ألقى جلباب الفطرة عن نفسه و ألقى عليها بوارى الغفلة و الانحراف عن خط الفطرة السليمة التي لم تعبت بها أيادي اغترار الإنسان بعقله القاصر، ابتعدوا عن بلد الإسلام لأنه لا ينخدع بالمصطلحات البراقة التي لا تمتلك منبعاً معصوماً أصيلاً كمنبع محمد صلى الله عليه و آله و أهل بيته الأطهار عليهم السلام، لا صوت يُسمع لكم في بلد قد نذر نفسه للإسلام، و لا كلب يلهث وراء ما تطلقونه من دعايات فاسدة تتنافى مع مبادئنا و قيمنا الإسلامية.

الحقيقة الأولى :

ما هي حقيقة الأحكام الإلهية ؟

يجهل الكثير من الناس حقيقة الأحكام الإلهية مما يدفعه إلى محاربتها بشكل عنيف شرس، و اتهامها بأنها تفتقد المعاني التي توصل الإنسان إلى قمة الحضارة و الرقي الإنساني، و قد صوروها بأنها أشبه ما تكون بالريح العاصف التي تقابل من يتجه إلى طريق التمدن الحضاري فتحول دون وصوله إلى مقصده و مبتغاه،

كما عبروا عنها بالقيود و الأصفاد الحديدية التي تكبل حرية الإنسان لتجعله إنسانا رجعيا يعيش في إطار فكري محدود غير متحرر، لا يمكنه الخروج منه لمواكبة الطفرة الحضارية القائمة، و وصفوا الإنسان الذي ينادي للقيم الإسلامية بأوصاف هي أبعد ما تكون عن الصحة و الواقع بقولهم أنه إنسان لم يدرك معنى الحرية، و أنه قد جمد عقله حتى أصابه العطب فصار غير قادر على استخدامه في الموارد التي كان من الواجب استخدامه فيها، و قد أطلقوا عليه مختلف عبارات التخلف و حاربوه بأشد ما يكون، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يأتوا ببدائل و أطروحات و رؤى فكرية قد نشأت في مهد الكفر و الإلحاد، و من ثم دعوا الناس بعد مرحلة التنظير إلى تفعيل هذه الأفكار و الالتزام بهذه المبادئ المستقاة من نبد كل ما يتعلق بالدين، و المنطلقة من أصل و شعار (الدين أفيون الشعوب)، و مما يندى له الجبين و يبعث على الاستغراب و الاستنكار، دعوة بعض من يدعي أنه مسلم إلى هذه المفاهيم و المغالطات السخيفة، و هذا ما يدعونا للتنبه على حقيقة لا يصح غض الطرف عنها، و هي أنه ليس كل من قال أنا مسلم فهو كذلك قلبا و قالبا، بل إن هناك من يدعي التزامه بدين الإسلام في حين أنه لا يعي من الإسلام إلى اسمه و رسمه، فالفرق واضح جلي بين مفهومي المسلم و الإسلامي، فبينهما نسبة العموم و الخصوص المطلق كما يصطلح المناطقة، فإن مفهوم المسلم أعم من مفهوم الإسلامي و هذا الأخير أخص من سابقه، و عليه فإن كل إسلامي مسلم و لا عكس، فهناك من قال أنه يدين بدين الإسلام مجرد لحاظات عرفية مكتسبة من التقاليد و الأعراف المحيطة، و لكنه في الحقيقة و الواقع قد انبهر بالحضارة المادية الغربية أيما انبهار، فدعاه ذلك بتأثير الزمان و المكان إلى وضع قلب غربي في قالب ظاهره الإسلام، فحذار حذار من هؤلاء، و لذلك كان

لزاما علينا أن نبين حقيقة الأحكام الإلهية لمن فكر بانتهاج منهج هؤلاء، أو لمن يحمل بعض أفكار هؤلاء في خلجات نفسه فيمنعه محيطه الملتزم من البوح بها و الإفصاح عنها، علنا ننال بذلك حظوة هداية ضال أو محتار، و إلا نطمئن لا أقل بأننا قد قمنا بتكليفنا الشرعي من أمر بمعروف و نهي عن منكر.

نعود و نسأل، ما هي حقيقة الأحكام الإلهية ؟ عندما نتمعن في منشأ الأحكام الإلهية نستطيع أن نتعرف على حقيقة هذه الأحكام و أن نعرف السر الخفي وراء إصرارنا على التمسك بها و دعوة الآخرين إلى التحلي بهذا التمسك، فإن واضع هذه الأحكام هو الله سبحانه و تعالى، مما يستتبع الكثير من المعاني الحرية بالتأمل، فحين تؤمن بأن الواضع لهذه الأحكام عالم مطلق، فلا بد لك من أن تطمئن إلى أن الجهل لا سبيل له البتة للمس هذه الأحكام و التأثير عليها، و عندما تؤمن أن واضع هذه الأحكام حكيم مطلق، لا تخشى سراية حالة العبث و اللهو و اللاهذية لتعكير صفو هذه الأحكام، و مع ملاحظة أن هذا الواضع غني مطلق، ينتفي احتمال تعرض هذه القوانين إلى الأهواء و منطلقات المصالح الشخصية و الحاجة و ما شابه، و عندما تدعن أن واضع هذه الأحكام عادل لا تعرف ساحته الظلم و الجور، تستطيع أن تنام قريح العين لأمنك من أن تنفعل القوانين التي تعلقك بأنواع الظلم و العدوان، و حين تصدق بامتناع الخطأ و الزلل على من وضع هذه القوانين و تعترف بعصمته، تقر نفسك لما تعلمه بأن هذا النوع من الأحكام لا يمكن أن تتطرقه الثغرات المهلكة و المنزقات الخطيرة، و ذلك كله يكفل لنا تجنب عناء التفكير الدائم في تبديل هذه المادة أو تلك محاولة لسد الثغرات و اجتناب المنزقات، هذه هي حقيقة الأحكام و القوانين

الإلهية، عصمة في عصمة، و صفاء في صفاء، فعجبت لمن التفت بعد ذلك لهذه الحقائق كيف يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، و لا عجب حين لا يغيب على المتأمل ما قد أصاب هذه القلوب من أمراض فتكت بها حتى أخرجتها عن إطار التفكير السليم المتجرد عن كل الجواذب الدنيوية، و أفقدتها جميع مقومات الإنصاف و الاستسلام للحق، فجعلتها قلوبا تتثاقل إلى الأرض إلى أن أخذت إليها، لا معنى بعد وضح هذه الحقائق للتشدد بالمصطلحات ذات الوهج الملفت و الباطن المفتقر لمضامين الحق، الديمقراطية مثلا من الأطروحات التي دُعي إليها كبديل لأطروحة الإسلام، الديمقراطية بمفهومها الغربي زخرف من القول لا يغني عن الحق شيئا، عجبا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن و ما تهوى الأنفس و لقد جاءهم من ربهم الهدى، لم تكن الأكثرية يوما في دين الإسلام هي الحاكمة، بل كانت العبرة في العصمة و العصمة فقط، صار بعضنا يردد هذا المصطلح من دون الالتفات لما يعنيه، إن الديمقراطية التي جعلوها بديلا للإسلام مفهوم قد خرج من بطن حضارة الطين و ارتضع من ثدي الكفر و ترعرع تحت كفالة الإنكار لله عز و جل، نحن لا نعارض هذا المفهوم على إطلاقه و لكننا لا نؤيده في نفس الوقت على إطلاقه، إن المعنى المقبول للديمقراطية هو القبول بها كآلة توصلنا إلى حل بعض الأمور التي لا يتنافى التصويت لها أو ضدها في كلا الحالتين مع تعاليم الإسلام و مبادئه، فأبدا لن نقبل أن نضع حكما إلهيا تحت طاولة البرلمان للتصويت لصالحه أو ضده، أبدا لم تكن و لن تكون أحكام الله تعالى تستمد شرعيتها من هذا المجلس أو ذاك، لا نقبل بالديمقراطية كبديل لأطروحة الإسلام و إلا خرجنا عن إيماننا و إسلامنا، بل نقبل

بها كآلية توصلنا إلى القول الفصل في إنهاء بعض الأمور التي لم يحدد الإسلام جزئياتها _ وهي ما يعبر عنها بدائرة المباحات في اصطلاحهم _ وإنما ترك المجال للعقل البشري للإبداع فيها بابتكار السبل الفضلى في تحقيق الرفاهية في العيش الدنيوي و الأخروي، كل ذلك تحت إطار الإسلام العزيز، كفانا دعوة إلى الديمقراطية على أنها الملجأ الوحيد و المفرج الفريد من نوعه القادر على تخليصنا مما نعانيه من ظلم و عدوان لا شيء إلا لأننا قد أحببنا ديننا و نبينا ﷺ و أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، تبا لذلك الإعلام المضلل الذي كان منذ القدم و لا زال أداة لتضليل شبابنا و تلقينهم المعاني المسمومة و المفاهيم المهلكة، و ليعلم الجميع أننا إسلاميون، و سنظل كذلك بإذن الله تعالى، و سنبقى نؤمن بالإسلام وحده كدستور و منهج له القدرة على ضمانه حقوقنا و ضمانه إيصالنا إلى ما جئنا لأجله في هذه الدنيا من خلافة الله على أرضه مما يكفل سعادتنا الدنيوية و الأخروية، و هذا ما لا يستطيع أي دستور نشأ عن العقل البشري المستقل ضمانه لنا أبدا.

الحقيقة الثانية :

ما هي حقيقة الأحكام الوضعية ؟

تبين لنا الحقيقة الثانية التي نريد أن نشير إليها من خلال اتضاح الحقيقة الأولى، فالرابط وثيق بينهما، فالقوانين الوضعية كما لا يخفى ما هي إلا نتاج العقل البشري، و مما نلامسه وجدانا اشتباه العقل في كثير من الأحيان لتأثير الوهم و العاطفة عليه إذا لم يرجع إلى قوة تعصمه عن الخطأ، و ذلك باعث على سلب

الثقة التامة التي من الممكن أن نوليها إلى العقل في قدرته على إيصالنا إلى ما ننشده حين وضعنا القانون بشكل مستقل، فلا بد للعقل من التحرك تحت ظل مرجع معصوم يجنبه الوقوع في هوات التأثيرات الخارجية التي قد تنتاب العقل فتؤثر عليه أثناء عملية الوضع، وقد تبين من خلال توضيح الحقيقة الأولى من هو مقصودنا بالمرجعية، فهذا النوع من المرجعيات هو الوحيد الذي يستطيع أن يدفع العقل عن مزالقي قد تؤدي به إلى الهلاك الدنيوي و الأخرى، و من حقا أن تسأل : ما هو دور العقل و موقعه إذا في ما يرتبط بهذا الجانب ؟ أقول : بالطبع إننا لا ندعو إلى تعطيل دور العقل بشكل مطلق، فالله سبحانه لم ينعم علينا بنعمة لكي نقوم نحن بتجميدها، و ما نريد أن نثبتها هنا هو أن العقل عاجز في كثير من الموارد عن إدراك العديد من الحثيات المهمة التي لها دخالتها و تأثيرها على إثبات صحة القوانين أو خطئها، و لفهم ذلك بشكل أوضح، نطرح سؤالا آخر ينفع أن يكون جوابه مقدمة لفهم جواب السؤال الأول: ما هو الهدف الذي ينشده الإنسان حين وضعه للدستور و القانون ؟ الإجابة قد تكون لأول وهلة واضحة بديهية، لكننا في الحقيقة نريد الإلفات إلى نكتة خافية على الكثيرين، و هي تكمن في الفرق بين القانونين الإلهي و الوضعي، فهناك نقطة امتياز يمتلكها القانون الإلهي لا يتوفر عليها القانون الوضعي، يوضع الدستور _ أعم من أن يكون إسلاميا إلهيا أو لا _ لكي يجعل الناس يعيشون تحت ظل القانون الذي يتعهد بإيصالهم إلى حياة نظامية دستورية بعيدة كل البعد عن حالة الفوضى و الهمجية، قريبة من حالة الاستقرار و الأمن و كفالة الحريات الشخصية و العامة من خلال تبين الحقوق و فرض الواجبات على أفراد و فئات المجتمع و إيضاح معالم و حدود الحريات الشخصية بما لا يتعارض مع العامة منها، و بذلك يسير

المجتمع بشكل منتظم هادئ نحو هدفه الذي ينشده من عيش كريم و حياة عزيزة مطمئنة، هذا هو هدف دساتير العالم كلها بما فيها الإسلامي، و لكن الإسلامي يزيد عليها في ما هو أكثر أهمية من ذلك كله و أشد خطرا منه، و هو مستقبل الإنسان الأخرى، فكل دساتير العالم يفترض فيها ألا تغفل المستقبل الديوي للإنسان، لكنها غافلة في الواقع عن المستقبل الأهم للإنسان، بعد أن اتضح ذلك نسال: هل يمكن للإنسان المسلم المؤمن باليوم الآخر أن يعتمد على عقله بشكل مستقل في صياغة دستور يضمن له التوفيق و النجاح في المستقبلين المذكورين ؟ الجواب سلبي من دون شك و لا ريب، لأن الله سبحانه هو الخالق الوحيد لهذا الكون، فهو بالتالي الأدرى بالأصلح لبني البشر في ما يرتبط بهذين العالمين، و هو سبحانه الوحيد القادر على تشخيص الأنفع لابن آدم بالنسبة لكلا العالمين، أما بالنسبة لعالم المادة فلأن الله تعالى هو خالقه و واضع قوانينه و سننه الكونية الحاكمة فيه، فلا بد من أنه الأقدر على وضع أحكام لا تتنافى مع قوانين هذا العالم لاطلاعه الكامل و إحاطته التامة بسنن هذا الكون و نواميسه، بينما الإنسان جاهل بحقيقة نفسه فكيف بحقيقة الكون ؟ و أما بالنسبة لعالم الآخرة فالكلام فيه أوضح، لأنه عالم مجهول بالنسبة للإنسان الطبيعي، و أنى له كشف أسراره و الإحاطة بمدركاته و سننه ؟ هيهات هيهات، فتبين بذلك عجز الإنسان عن وضع قانون يكفل له سعادة الدارين لجهله الكبير بهذين العالمين اللذين لهما المدخلية العظمى في التأثير على نجاح الدستور أو إخفاقه، و أن الوحيد القادر على صياغة الدستور الناجح مع ملاحظة ما تقدم هو الله سبحانه و تعالى لأنه الخالق الوحيد لكلا العالمين، بعد هذه المقدمة نجيب على السؤال

الأول المتعلق بدور و موقع العقل من ذلك كله، و نقول في مقام الجواب أنه من الواضح كما أسلفنا أن نعمة كالعقل قد حباها الله تعالى للإنسان لا بد لها أن تُفعل و تستخدم، لكن بشرط استخدامها في مكانها و موقعها الصحيح، فالله سبحانه يحدد للإنسان الرؤية الكونية الصحيحة و يرشده إلى القواعد العامة و حدودها، و من ثم يترك المجال للعقل أن يبدع بما لا يتجاوز هذه الحدود، فهو يقول سبحانه لابن آدم أنه عليك أن تؤمن بي كرب، و أن توحدني كإله، و أن تؤمن بمن أرسلته لإنذارك و بمن نصبته لهدايتك، ثم أن تؤمن باليوم الآخر، و بعد ذلك أبداع بما لا يتصادم مع هذه الأصول، فلك أن تفترض نظام دولتك قائما على ثلاثة أركان تتمثل في السلطات الثلاث شريطة ألا تبتدع أحكاما لا تمت إلى الإسلام بصلة داخل السلطة التشريعية، و شريطة ألا تتخذ الأساليب المتنافية مع أصول و فروع الإسلام عند تفعيل تشريعات هذه السلطة في داخل نطاق السلطتين التنفيذية و القضائية بعد افتراض التزام التشريعية بالشرط المتقدم، كما أنه لك اختيار طريقة الانتخابات مثلا كآلة توصلك إلى تحديد و تشخيص مصداق رئيس الدولة أو رئيس وزارتها أو تحديد مصاديق نواب الدوائر البرلمانية أو البلدية الذين يتكلمون باسم أصحاب هذه الدوائر و ما إلى ذلك من طرق تتحرك تحت إطار الشرط المتقدم، هذا هو دور العقل الصحيح الذي نحتاج إلى تفعيله لنضمن توفيقنا في الدارين.

الحقيقة الثالثة :

من هو صاحب الحق في التشريع، وصاحب الحق في إلزام الناس و
إرشادهم لاتباع هذا التشريع ؟

بعد أن تبينت لنا الحقيقتان السابقتان، يجدر بنا الإشارة إلى حقيقة ثالثة مهمة ترتبط بالحقيقة الأولى بشكل مباشر، فإننا عندما نتحدث عن قانون و تشريع، لا بد لنا أن نلتفت إلى واضح هذا التشريع، فمن هو صاحب الحق في التشريع و التنظير ليقوم الناس بعد ذلك بتفعيل بنود هذا التشريع وفقا لإرشاده؟ الإجابة واضحة جدا، فإن صاحب هذا الحق هو الله سبحانه باعتباره الخالق و المالك الوحيد لهذا الكون، فحق التصرف له وحده لا يشركه فيه أحد، ولكنه عز اسمه و جل قد أعطى هذا الحق لرسوله و خلفائه، فكان التشريع من حقه هو أولا و بالذات، ثم من حقهم ثانيا و بالعرض، فولاية التشريع تكون لهم و حدهم في طول ولاية الله تعالى لا في عرضها، ثم بعد ذلك يخلفهم الفقهاء العدول من خلال بذل جهدهم في فهم النصوص الواردة من قبل الاثنين، في القرآن الكريم بالنسبة لله عز و جل، و في الروايات الشريفة و النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ و أهل بيته ﷺ، و من حدد هذا التسلسل الطولي في الولاية هو الله تعالى نفسه حين قال في الآية الخامسة بعد الخمسين من سورة المائدة: (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون)، ثم من بعد ذلك حددها الأئمة ﷺ في الفقهاء من بعدهم حين قالوا: (و أما الحوادث...)، فكان لزاما علينا في هذا العصر أن نرجع للفقهاء العادل الذي يتوفر على بعض الشروط المذكورة في محلها تحقيقا لأمر أئمتنا ﷺ عندما أرجعونا

إليهم في صغائر أمورنا و كبائرها، فهذه حقيقة لا بد من الالتفات إليها، فحق بيان ما جاءنا من تشريع من قبل الله تعالى بواسطة النبي الأكرم ﷺ و الأئمة الأطهار عليهم السلام هو للفقهاء العدول خاصة، و كل من ادعى قدرته على فهم هذا التشريع مستغنيا بهذا الفهم عن الفقهاء، كاذب مفتر و متعد على حقوق غيره، فلا بد من الحذر منه و الابتعاد عنه، و هذا _ للأسف الشديد _ مما وقع فيه الكثير ممن يتكلم في الشؤون الإسلامية و كأنه ملم بأحكامها و روحها، من دون أن يكون كلامه مستندا إلى قول أهل العلم و الاختصاص و هم الفقهاء لا غير، غافلا بذلك عن أنه لا يتسنى لغير الفقهاء فهم روح الإسلام و أحكامه، لأن ذلك يتطلب _ في الحالة الطبيعية _ سنوات طويلة من ترك الدنيا و ملذاتها، و التفرغ التام للتحصيل و بذل الجهد الجهد مع ضم الإخلاص و الصدق في الجد و الاجتهاد، ثم بعد ذلك كله لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فمن الإجحاف و القبيح عقلا الاستهانة بجهود من بذل عمره في هذا السبيل بتكلم غير أهل الاختصاص في تخصص غيرهم، و لو كان ذلك في غير دين الله تعالى لرأيت العالم هب و استنفر كل قواه للاستنكار، و ربما فرضت على من تكلم في الطب أو الهندسة و هو ليس بطبيب أو مهندس العقوبات الصارمة لتكلمه في ما لا يعنيه، و حق لهم ذلك، فإن التكلم في هذين المثالين مثلا من دون علم قد يؤدي بحياة الناس إلى الخطر الجسيم الذي لا تحمد عقباه، و نحن هنا ننبه إلى أن التكلم في الدين من قبل غير أهل الاختصاص أيضا يؤدي بحياة الناس إلى الخطر الدنيوي و الأخروي معا، فكان بذلك أحق بالعقاب و أولى بالاستنكار، و لكن ماذا نضع و نحن في زمن قد غيرت فيه الموازين و بدلت فيه المعايير حتى صار الدين عند كثير من المسلمين من آخر الأولويات، و ربما صنفوه من غير

الأولويات أيضا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحقيقة الرابعة :

ما هو واجبنا تجاه التشريع الإلهي في ما لو تعرض للخطر ؟

بناء على الحقائق الثلاث المتقدمة، تنتج لنا حقيقة رابعة كانت هي ما نصبو إليه ليكون موضعا و محلا للتبيين من خلال هذه الأسطر، و كانت هي الدافع وراء كتابة هذه الكلمات، فبعد أن عرفنا حقيقة الحكم الإلهي، و حقيقة ما يقابله من بدائل، و عرفنا واضح هذا الحكم و الملزم به من خلال التعرف على سلسلته الطولية، بعد أن عرفنا ذلك، لا بد لنا أن ندعن لهذه الحقيقة الرابعة، و هي أنه جدير بنا أن نضحى بكل ما نملك في سبيل الالتزام و التسليم بالحقائق السابقة، لأن ذلك من صميم ديننا و قيمنا و مبادئنا، و حق لنا أن نبذل أرواحنا لضمان بقاء هذه الحقائق الثلاث، و ذلك اقتداء بنهج الحسين عليه السلام أبي الأحرار و أبي الضيم، و صوت الضمير الحي، و رمز العصمة و المبدأ و الدين، الذي قال عندما وصل إلى موقع البيضة مبينا سبب قيامه: (إن هؤلاء قد لزموا الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و أظهروا الفساد و عطلوا الحدود و استأثروا بالفيء و أحلوا حرام الله و حرموا حلاله و أنا أحق ممن غير...) نعم، إنما قام أبو عبد الله عليه السلام ثائرا بسبب هذه الحقائق الأربع، قام دفاعا عن الحكم الإلهي الذي ضاع على يدي الفاجر يزيد _ عليه لعائن الله _ لمعرفته _ عليه السلام _ معنى و حقيقة الحكم الإلهي و تلك هي الحقيقة الأولى التي قام لأجلها السبط الشهيد عليه السلام، و قام صلوات الله عليه نبذا و احتجاجا على ما قام به يزيد اللعين من تبديل لأحكام

الله عندما أحل حرام الله و حرم حلاله، و هذه هي نفس النتيجة التي تعطينا إياها الأحكام الوضعية الناشئة بعيدا عن المرجعية المعصومة، وهذه هي الحقيقة الثانية، و قام _ عليه السلام _ لأنه رأى حقه في التشريع قد ضاع، و الولاية التشريعية التي له على المؤمنين قد فقدت دورها باغتصاب هذا الفاجر كرسي الخلافة فصارت معطلة قاصرة عن الوصول إلى مرحلة تفعيلها، فكان لا بد من إرجاع الحق إلى أهله، و تلك هي الحقيقة الثالثة، و قام عليه السلام لأنه آمن باسترخاض دمه الطاهر أمام الدفاع عن دين الله سبحانه و رفض ما يخالفه و طلب حقه و تلك هي الحقيقة الرابعة، هذا ما نفهمه من قيام الحسين عليه السلام، و هذا مما نستطيع أن نستقيه من عطاء وليدة المعصومين عليهم السلام، ثورة عاشوراء المقدسة المباركة، و من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة نداء الفقهاء و العلماء الغيارى على الدين ضد تقنين أحكام الأسرة من دون ضمانات دستورية، و من دون حفظ الخصوصية المذهبية، و من دون موافقة المرجعية العليا الشيعية _ دام عزها _ على هذا التقنين، من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة هذه الوقفة الصارمة المطالبة بعدم خروج هذا التقنين عن إطاره الإسلامي الذي يحدده الفقهاء لا غير، هذا النداء الأشم، ليس نداء منبثقا من حماس ارتجالي لا أساس عقلي ديني وراءه، و ليس هو نداء يريد أن يرى فيه العلماء أنفسهم و مكانتهم في النفوس فينتشون بذلك فرحا و سرورا كما يتهمهم بذلك بعض من أعمته غشاوات الحسد و الحماقة، و ما تحشيد الشارع و تحييشه من قبل العلماء العاملين إلا إدراكا منهم لهذه الحقائق، و ما إطلاق هذه الشعارات و الصرخات المدوية إلا ترددات لأصداء نداءات أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لصالح دين الله تعالى و شرعه، و دعوة صارخة تؤكد التزامنا بديننا، و أننا نرى الحياة و لوازمها رخيصة في سبيل نصره الدين و قيامه

كما رآها أبو عبد الله عليه السلام كذلك، و لعمري إن روح الحسين عليه السلام و أرواح أهل بيته عليهم السلام و صوت استغاثات نسائه لغالية علينا و إن استرخصها هو بأبي و أمي في سبيل إحياء الدين، لأننا نرى أن الحسين عليه السلام هو الإسلام، و لكن أنى لمن غفل عن هذه الحقائق، و ذهل عن اكتشاف سر أبي عبد الله عليه السلام أن يفهم هذه المعاني النبيلة و المبادئ الشريفة، فدعهم يقولون و ينعقون، و دعهم يدعون و يتهمون كذبا و زورا، فولاؤنا لعلمائنا و فقهائنا و أئمتنا و نبينا و ديننا و ربنا، وليمت الحاقد غيظا و حنقا.

﴿ يوم محبوبك ﴾

﴿ يا أبا عبد الله ﴾

ردّ الأباطيل عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام

محمد حسن الكراني

واجهت حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته والتي كانت ولا تزال ضد قوى الكفر والنفق التشكيك منذ اليوم الأول واتهم عليه السلام بأنه يريد الملك فرد عليه السلام بقوله: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله.....) وانتهت تلك الأباطيل مع انتهاء دولة بني أمية، ولكن بقيت الروح الأموية تعود بين فينة وأخرى، فكان ممن جهد في إحيائها ابن تيمية الحراني وتبعه في زماننا الراهن شرذمة أخرى ضاربين بذلك روايات رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهج أهل البيت وأهل السنة عرض الحائط نصرة للروح الأموية.....

وجاء المدعو عثمان بن خميس الذي كان يظهر في الأيام الأخيرة على شاشه قناة المستقلة وفي المواقع الإلكترونية ويدعي أنه أعرف بمصلحة الإسلام من الإمام الحسين عليه السلام وهذا نص كلامه الذي يريده قال: (لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه مصلحة ولذلك نهاه كثير من الصحابة وحاولوا منعه ولكنه لم يرجع، وبهذا الخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده..... الخ)

أولاً: هذا هو عين كلام ابن تيمية^(١) ولكن بتعديل في تقريب الحمل.

وهو قول فاسد وواضح بطلانه حتى لو بقي الإمام الحسين عليه السلام في مكة لقتل فيها وهذا ثابت في الرواية التي نقلها ابن خميس عن سفيان وقال عنها بنفسه: (بسند صحيح)، تقول الرواية: يقول الحسين لابن عباس: (لأن أقتل في مكان كذا وكذا



أحب إليّ من أقتل في مكة)

هذا يثبت أنه كان يعلم بأنه سيقتل في مكة لو بقي فيها، وأيده ابن عباس على الخروج وفي نفس رواية سفيان الصحيحة قال ابن عباس: (فكان هذا الذي سلى نفسي به) فلو كان في خروجه مفسدة لما قال ابن عباس مقالته هذه. وهذا يثبت بأن قول ابن تيمية وابن خميس كذب وسواء خرج الحسين عليه السلام أو قعد في بلده فهو مقتول بالخروج كان لا بد منه لكي لا تستحل بدمه حرمة مكة. فلو كان في خروج الحسين عليه السلام مفسدة كما زعم هو وشيخه ابن تيمية لنهاه النبي صلى الله عليه وآله عن الخروج وأوصى إلى أبيه علي عليه السلام بذلك فلماذا لم يفعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك؟

ثم كيف يبكي النبي صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام وهو يعلم بأن خروجه عليه السلام فيه مفسدة؟ قال الهيثمي: (وعن نجي الحضرمي أنه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وما ذاك. قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وإذا عيناه تذرفان قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام قيل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات....) قال ابن كثير وقال أبو القاسم حدثنا محمد بن هارون أبو بكر..... عن أنس... بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد منكم ذلك فلينصره)

فلو كان خروج الحسين عليه السلام فيه مفسدة كما زعم ابن تيمية وأنصاره لما أمر النبي صلى الله عليه وآله بنصرته^(١).

أما نهى الصحابة له عليه السلام عن الذهاب إلى العراق إنما كان لخوفهم على الحسين عليه السلام

وشفقتهم عليه من القتل لما تردد إلى مسامعهم أخبار النبي ﷺ بمقتله في كربلاء وليس في مخالفتهم لأصل الخروج على يزيد الفاسق، فقد قال ابن كثير: وقد ورد في الحديث بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (لقد دخل على البيت ملك لم يدخل قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء).

ونزول الملك إنما يدل على خطورة وعظم الحدث وأنه مهم بالنسبة إلى الرسول الأعظم ﷺ لو أن هذا الأمر ليس فيه صلاح للأمة لنهى الرسول الإمام ﷺ عن الخروج والذهاب إلى كربلاء وأيضاً علم الرسول بخروج الإمام الحسين وسكوته ﷺ من دون لومه يدل على رضاه ﷺ.

زعم ابن خميس أنه أعرف بمصلحة الإسلام من الحسين ﷺ، قال: (لم يكن في خروج الحسين مصلحة لا في دين ولا دنيا ولذلك نهاه كثير من الصحابة وحاولوا منعه وهو قد هم بالرجوع لولا أولاد مسلم...)، ولترك ابن العماد الحنبلي ليرد على هذا القول الباطل...

يقول الحنبلي^(٣): والعلماء مجتمعون على تصويب قتال علي لمخالفه لأنه الإمام الحق ونقل الاتفاق أيضاً على تحسين خروج الحسين.

فتحسين خروجه مورد اتفاق العلماء والقول بعدم وجود مصلحة هو وقاحة وجرأة من ابن تيمية وأعوانه على مقام الإمام الحسين ﷺ ويبلغ من جرأته أنه يخطئ الحسين المطهر بنص القرآن، وسيد شباب أهل الجنة بنص جده المصطفى ﷺ كما رواه جمع من علماء أهل السنة بأسانيد صحيحة.

وقوله - المزور - أن خروج الحسين ﷺ مفسدة هذا نص عبارته وكلامه: (وكان في

خروجه من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده ولكنه أمر الله تبارك وتعالى وما قدر الله كان ولو لم يشأ الناس).

الغريب منه أنه يقول بأنه أمر الله وثم يلوم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج فإن كان جبر فلا ملامة على الإمام الحسين عليه السلام وإن كان مخيراً فهو كذلك فإنه أمر الله وقد أطاعه الحسين فماذا يقصد ابن تيمية وأزلامه؟ أم أنهم يهجرون؟

وقد رد سبط رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الترهات قبل أن يتفوه بها مبغضوه فقد نقل ابن كثير^(٤) في تاريخه: (وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين إني أسألك الله أن يلهمك رشدك وأن يصرفك عما يريدك بلغني أنك قد عزمتم على الشخوص إلى العراق وإني أعيذك الله من الشقاق فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إلي فلك عندي الأمان والبر والصلة)

فكتب إليه الحسين عليه السلام: (إن كنت أردت بكتابك بري وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة وإنه لم يشاقق من دعا إلي الله وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين)، إذا الإمام الحسين عليه السلام يقول: (لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين)

هذا رد الإمام الحسين عليه السلام إلى كل من يشكك في أصل خروجه فهل يقبل عثمان بن خنيس به؟ لا أظن.

انظر إلى نقل الذهبي في تاريخ الإسلام^(٥) قول الإمام الحسين عليه السلام: (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً) وهذه هي الحقيقة التي تتناسب مع شخصية سبط النبي صلى الله عليه وآله.

ما هي جريمة ابن رسول الله ﷺ؟

إن جريمة الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، أنه رفض بيعة يزيد لأنه سلطان غاصب جائر، وقد جعل رسول الله أفضل الجهاد أن تعلن كلمة الحق أمامه وأمام أمثاله.

ثم نسأل المنصفين:

هل الفساد هو أن تجهر بصوتك لإحقاق الحق والدين والوقوف في وجه الظلمة أم أن الفساد هو مDAHنة الظلمة ومريدي الخنوع والخضوع ليزيد وأمثاله، فصوروا بذلك أن الإسلام هو دين الضعف والذل أمام الجبابة لا دين العزة، فهل كان موقف ابن رسول الله ﷺ عند ابن تيمية وأعوانه الذين يظهرون بين فينة وأخرى أمام الرأي العام ليعربدوا أسوء من موقف أولئك الذين مدوا ليزيد ليفعل ما يشاء؟

ولهذا لم نسمع نقدا صريحاً لأنصار يزيد طوال القرون الماضية إلى الآن لا، ولكنه النصب والعداوة الذي يدفع البعض ليتجراً على مقام أهل البيت عليهم السلام ويمدح الذين ركعوا أمام يزيد وأمثاله في هذا العصر، ماذا تقول أيها القارئ العزيز في من يتفوه بهذه الكلمات وأمثالها (أن سيدنا يزيد رضي الله عنه قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه)؟ وهذا ما كانوا يرددونه، فأى عقل يقبل بأن يساوي بين الظالم والمظلوم، بين الحق والباطل، بين القاتل والمقتول، فتأمل تناقضات عجيبة وغريبة. يقول الحافظ ابن كثير ما هذا نصه: (فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وسخياً) ولكن هنا بدأ يناقض نفسه لا يحسن ما يفعله الناس من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع

ورياء،.....

الرد : أولاً : تقول ينبغي لكل مسلم أن يحزنه قتل الحسين..

ثانياً : تقول لا يحسن إظهار الحزن...

أليس هذا عين التناقض ماذا تريد أن تقول إلى المسلم ؟ هل يحزن أو لا يحزن ؟ أم

أنك فقدت الصواب وأخذت تهذي؟

ثالثاً : هل عندك علم الغيب أو الله أطلعك على أسرار وخفايا ما في قلوب

الناس حتى تقول أكثر الناس يظهرون الحزن على الحسين عليه السلام تصنعوا ورياء.

رابعاً : يذكر ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق عن أم سلمة: (كان الحسن

والحسين يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في بيتي، فنزل جبرئيل فقال : يا محمد إن

أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك وأوماً بيده إلى الحسين فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله

وضمه إلى صدره...)^(٦)

وهذا دليل واضح وجلي على مشروعية إظهار الحزن على مقتل الإمام الحسين

فالرسول الأعظم أظهر الحزن والبكاء قبل موته فما بالك بعد الموت ألا يكون

ذلك ؟ ولكن المشتكى إلى الله رب العالمين.

الهوامش

(١) منهاج السنة (٤/٥٣٠)

(٢) البداية والنهاية (٨/٢١٦).

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٦٨

(٤) ج ٨ ص ١٧٦

(٥) الجزء المتعلق بأحداث سنة (٦١-٨٠) من الهجرة ص ١٢

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٧-٣٤)

فِي ذِكْرِ الشَّهَادَةِ

علي أحمد الكريبادي

* الشهادة من المفاهيم المهمة في الإسلام، والشهيد في الإسلام هو ذلك الشخص العظيم، ذو المقام العالي، هو صاحب مقام الطهارة من الدنيا ومتعلقاتها.

* أنفاس الشهيد دروس، ودروس صادقة، تدخل القلوب وتغير محتوياتها. ولذلك كانت الجبهة من أفضل المواقع لتزكية النفس وتهذيبها، حيث الانقطاع، وقطع الأمل من سوى الله.

* وصايا الشهداء هي نبع صاف يمكن الركون لها، وكم من بهارج يمكن أن تدعي أنها سلوك إلى الله، وهي انحدار وترام في أحضان إبليس. * يقول الإمام الخميني: عندما أقرأ وصية مربية لشهيد فإني أشعر بالحقارة والضعفة.

ويقول: إن هذه الوصايا تهز الإنسان وتوقظه.

* أما الشهيد جمران فله مناجاة يعتذر فيها لجوارحه.. لعينه عن إتيابها من القراءة، ولجبهته من كثرة السجود، ولرجله من إطالة الوقوف بين يدي الله.. * قيمة الإنسان عظيمة عند الله، ولهذا كان قتل النفس قتل الناس جميعاً، وبناء على هذا كان الشهيد هو من قتل على وعي وبصيرة من أمره واتباع لقيادة إلهية عالمة. فلا يصح أن يسترخص الإنسان قيمة نفسه لمصلحة سياسية مؤقتة ارتأى التحشيد لها متعلمين أو صاحب فكر غربي.

* أبيات كتبها حول شهداء البحرين في الجبهة ضد الطاغية صدام. ولنا في



شهادتنا خير عبرة ودرس.

ما زال دم لهم في القلب يضطرم
فوق البرايا تساموا إنهم قمم
خفت، وطارت: وداعاً أيها الأمم
يهتز عرش الدنا.. سيج أيا قلم
ونعم درسا له صدق، وفيه دم
هم في الوري أنجم، هم في الوغى شيم
أدمت قلوبا وحلت عندها نعم
أعياى الفراق لها نبضاً، وجف دم
ترنو.. عساكم تطلوا أيها النجم
ونبضها في سواهم ليس يحتدم
كفوا أذى عن قلوب مضها ألم
سقاؤه الدم، والأشلاء يقتسم
دأب، وقل: ساد من فدى، فما ظلموا
ألقيت بالروح، لا حزن، ولا ندم
للمتقين بها، في الترب ترتم
وأكأس من رحيق المجد تغتم
أسماء قوم لهم في ما لهم قدم
قل باسمهم: أبتدي - تمضي - وأختتم
فخر البرية أن تفنى لحبكم
وجه البسيطة، يا جود، ويا كرم
وليس غيركم ركن ومعتصم
أنتم نجاة الوري، أنتم لهم حرم

حل الوفاء فمالوا نحو مضجهم
بيض النفوس لهم إشراقة سطعت
إن الشهيد له روح إذا كملت
ماذا أقول وهم شوس إذا نظرت
لهم دروس إلى الأخرى مآثرها
ما شاب نياتهم حرص ولا طمع
لله يا أنجما راحت مودعة
عودوا، وعودوا قلوب الأمهات فقد
راحت تناعي سماء أحلكت حزنا
ما حال أم إذا غابت أحبها
بالله رفقا أيا أنوار جبهتنا
كفوا عنقا لترب قد غدا أسفا
قالوا: تريث، فما لوم الشهيد لنا
لو كنت يا صالح تدري ما ترابهم
تلك الجنان التي وعد الكتاب أتى
حور، ونور، وولدان مخلدة
لينظروا فوق باب الخلد قد نقشت
طه، وحيدره، والظهر فاطمة
تلك النفوس قرابين وإن عظمت
يا سادة الكون يا لطف الكريم على
تالله زاغ الألى عن حبكم رغبوا
أنتم صراط الهدى، والله عاصمكم

مسك الختام، و(ما من دونكم) عدم
قد مضى الحزن، أبكى دهرها سقم
أنا الإمام الذي لله ينتقم
سيف الحسين.. أقم فالكفر قد هدموا
علّوا رؤوسا، أبيحت منكم الحرم
أو سترها تحرق الأستار والخيم
قيامه تطرب الدنيا.. فتبتسم
آيات فجرك والرايات تزدحم
يا كعبة الخلق، يا نبراس، يا علم
كهف الوري، تنجلي بالصارم الظلم
باق، فقم واقضه بالحق ينصرم

فيكم بداية قول الله: كُن، وبكم
هذي البرية من شوق لمطلعكم
تهفو ليوم ينادي فيه قائمكم:
يا ابن البتولة، يا ثار الإله، ويا
داسوا على الصدر، أدموا صدر فاطمة
حتى النساء إذا لاذت لخيمتها
يا ابن النبي أما أنت لدولتكم
يا ابن الحسين أما تبدو لناظرنا
تطوف بالبيت والعشاق حائمة
يا ابن الزكي ألا عجل ظهورك يا
هذا ندائي عجل يا ابن فاطمة

يُنْزِلُ لِقَوْلِ الْكَاسِبِينَ حَرَارَةَ فِيهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ

لَا نَبْرَةَ أَبِصَابًا

الرسول الأكرم ﷺ



مصارع عشاق

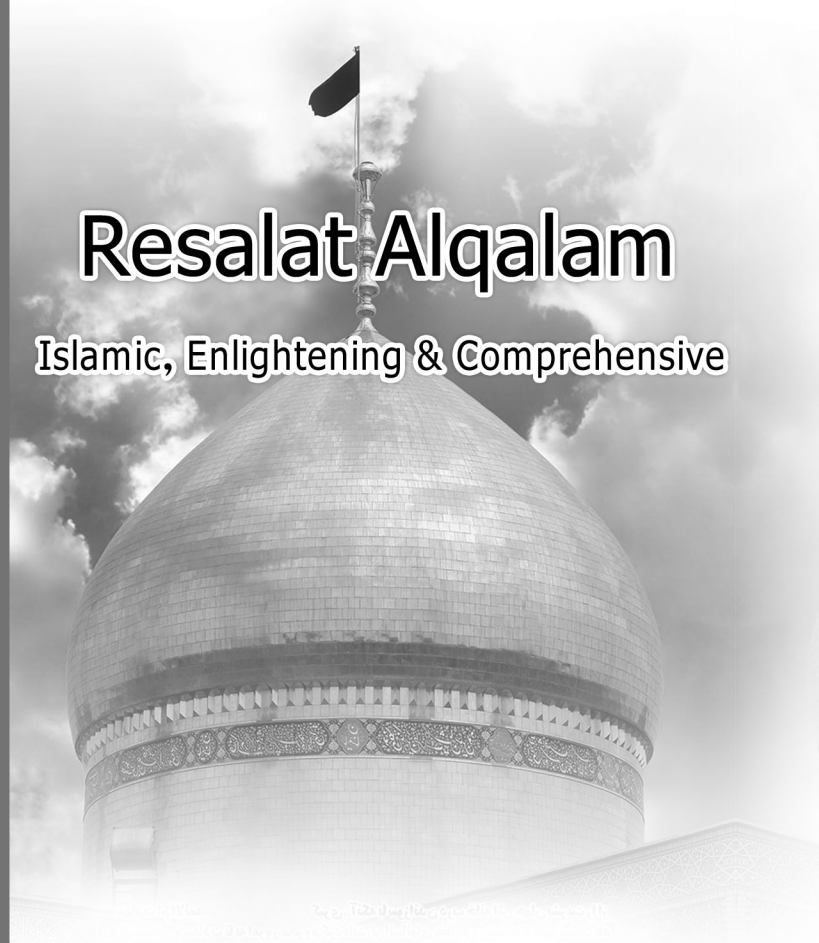
علي عبد الحسين البني

فرمى الدلاص إلى المنية أقبلا
وإلى حصون أميةٍ قد زلزا
للحب مقداراً سوى أن يقتلا
لما فدى سبط الرسول بكربلا
أو هل كفاه الدرع كلا ثم لا
من صدرها فضلا له قد كمالا
في عشقه شهدت محاني كربلا
من كفه للأرض ذب المنهلا
قد ضرها حر الهجير المهولا
فالأنس صار له بأن يترملا
بل كفه اليسرى فما برح البلا
—هم المثلث فاغتدى متبسما
فلقد رقى نحو الخلود مغسلا
قمر العشيبة بالتراب مسربلا
وإلى الكفوف السبط صار مقبلا
هذا العدو لقتلكم قد هلا
ضاعت وكنت بحفظها متكفلا

حب الحسين أجنّ عابس في الوري
ومضى إلى ساح الوغى متبسما
في قلبه سكن الحسين فما رأى
إن كان عابس قد رمى درعا له
ماذا رمى العباس حبا للهدى
هذا ابن أمّ قد سقته بجبها
عشق الحسين وكان طفلا يا فعا
بالسبط لما أن تعلق قلبه
عاف الشراب وحارب النفس التي
عاف الحياة وما بها من لذة
فلحفظ (عرش الله) مد يمينه
لله لما أن هوى في عينه السـ
ولأن هوى فوق التراب مخرجا
يا ساعد الله الحسين وقد رأى
فأتى إليه والدموع تفرقت
أأخي ما بين اللثام تركتني
أأخي هذي زينب من بعدكم



- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:
Fadhel Abdjaleel Al Zaki
Jaffer Abdulmahdi Shehab
Saeed Hassan Al Madeh



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom